القوى المؤثرة في سلطة الخليفة الأموي

٤١- ٦٤هـ/ ٦٦١- ٦٨٤م

دراسة تاريخية

خلود بنت سالم بن محمد باحشوان

رسالة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على درجة دكتوراه الفلسفة في الآداب تخصص: التاريخ

قسم التاريــخ

كلية الآداب والعلوم الاجتماعية

جامعة السلطان قابوس

سلطنة عمان

سبتمبر ٢٠٢١م

القوى المؤثرة في سلطة الخليفة الأموي

٤١- ٦٤هـ/ ٦٦١- ٦٨٤م

دراسة تاريخية

خلود بنت سالم بن محمد باحشوان

رسالة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على درجة دكتوراه الفلسفة في الآداب تخصص: التاريخ

قسم التاريــخ
كلية الآداب والعلوم الاجتماعية
جامعة السلطان قابوس
سلطنة عمان

سبتمبر ٢٠٢١م

لجنة الرسالة

اسم الطالبة: خلود بنت سالم بن محمد باحشوان **الرقم الجامعي:** ١٧/٥٩٠٢٠

عنوان الرسالة: القوى المؤثرة في سلطة الخليفة الأموي ٤١- ٦٤هـ/ ٦٦١- ٦٨٤م

لجنة الرسالة:

١. **المشرف الرئيس:** د. محمد عبدالله القدحات

الدرجة العلمية: أستاذ مشارك

القسم: التاريخ

الكلية: كلية الآداب والعلوم الاجتماعية

التوقيع: .... **التاريخ:** ....

٢. **عضو لجنة الإشراف:** د. بدر بن هلال العلوي

الدرجة العلمية: أستاذ مساعد

القسم: التاريخ

الكلية: كلية الآداب والعلوم الاجتماعية

التوقيع: .... **التاريخ:** ....

لجنة مناقشة الرسالة

لجنة مناقشة الرسالة:

١. **رئيس اللجنة:** د. علي بن سعيد البلوشي

الدرجة العلمية: أستاذ مشارك

القسم: الجغرافيا

الكلية/ المؤسسة: كلية الآداب والعلوم الاجتماعية- جامعة السلطان قابوس

التوقيع: .... **التاريخ:** ....

٢. **المشرف الرئيس:** د. محمد عبدالله القدحات

الدرجة العلمية: أستاذ مشارك

القسم: التاريخ

الكلية: كلية الآداب والعلوم الاجتماعية

التوقيع: .... **التاريخ:** ....

٣. **العضو (ممثل رئيس القسم):** د. فاطمة بلهواري

الدرجة العلمية: أستاذ مساعد

القسم: التاريخ

الكلية: كلية الآداب والعلوم الاجتماعية

التوقيع: .... **التاريخ:** ....

٤. **الممتحن الخارجي:** أ. د. سلامة صالح النعيمات

الدرجة العلمية: أستاذ

القسم: التاريخ

الكلية/ المؤسسة: كلية الآداب- الجامعة الأردنية

التوقيع: .... **التاريخ:** ....

٥. **الممتحن الخارجي:** د. عبدالله بن سعود أمبوسعيدي

الدرجة العلمية: أستاذ مشارك

القسم: المتطلبات العامة

الكلية/ المؤسسة: كلية العلوم التطبيقية بنزوى- جامعة التقنية والعلوم التطبيقية

التوقيع: .... **التاريخ:** ....

إهـــداء

إلى روح أبي..

الذي غاب فصار كل الموجود

نقص لا يعرف التمام،

وإن بدا كاملا

برا وامتنانا

شكـــــر وتقديـــــــر

إنه لمن دواعي سروري وأنا في هذا المقام أن أتقدم بخالص الشكر والامتنان إلى أستاذي الدكتور محمد عبدالله القدحات، الذي تفضل مشكورا بالإشراف على هذه الرسالة التي ما كانت لتخرج بهذه الصورة لولا جهوده ومتابعته المستمرة، وحرصه الجم على إخراجها بالشكل الذي يليق بصبره واهتمامه وملاحظاته القيمة وتركيزه على كل حرف من حروفها، هذا فضلا عن رعايته الكريمة لي خلال فترة إعداد هذه الرسالة؛ فقد كان خير معين لي منذ التحاقي ببرنامج الدكتوراه في سبتمبر ٢٠١٧م حتى هذه اللحظة؛ فجزاه الله خير الجزاء.

كما يتوجب عليّ الشكر والعرفان والامتنان للمشرف المشارك أستاذي الفاضل الدكتور بدر بن هلال العلوي الذي رافقني طيلة مسيرتي العلمية في قسم التاريخ من البكالوريوس وحتى الدكتوراه، فله مني عميق الشكر ووافر التقدير والاحترام.

ولا يفوتني أن أتقدم بامتناني العظيم لكل من تعاون معي وبذل الكثير من وقته وجهده وحرصه لأن أتمم هذه الدراسة وهم أساتذتي في قسم التاريخ، وزملائي بمركز البحوث الإنسانية بجامعة السلطان قابوس، وأفراد عائلتي وعلى رأسهم أمي العزيزة التي لا أوفيها ولا أبلغ مقامات البر بها وإن اجتهدت، فلهم مني جميعا الشكر والعرفان على دعمهم اللا محدود ماديا ومعنويا.

كما يفرض علي الجميل أن أبعث أسمى عبارات التقدير والوفاء لأستاذي الفاضل ومعلمي الأول الأستاذ الدكتور فاروق عمر فوزي الذي أعتز به أينما كان وحلّ، وافتخر بأني تلميذته وطالبة علمه والسائرة على نهجه ما حييت.

وفي النهاية لا أنسى رفيقة دراستي وأيامي أختي الفاضلة جميلة العمري التي صاحبتني في كل خطوة من خطواتي الدراسية حتى يومي هذا، فلها مني أصدق الدعوات بالخير والتوفيق والسداد.

الملـخص

القوى المؤثرة في سلطة الخليفة الأموي (٤١- ٦٤هـ/ ٦٦١- ٦٨٤م)

خلود بنت سالم بن محمد باحشوان إشراف: د. محمد عبدالله القدحات

هدفت هذه الدراسة إلى الكشف عن العوامل المؤثرة في سلطة الخليفة الأموي، وذلك بتحديد مستويات صنع القرار في العهد السفياني، وبيان القوى الرسمية والقوى غير الرسمية المؤثرة في سلطة الخليفة الأموي في العهد السفياني، وتتبع العوامل والظروف التي أسهمت في صنع القرار في العهد نفسه. وقُسمت الدراسة إلى: مقدمة، وتمهيد، وأربعة فصول، ونتائج الدراسة وتوصياتها، بالإضافة إلى قائمة المصادر الأولية والمراجع الحديثة التي اعتمدت عليها الدراسة. وتناول التمهيد العوامل المؤثرة في انتقال الحكم إلى بني أمية، بينما تطرق الفصل الأول إلى سلطات الخليفة وصلاحياته في العصر الأموي (٤١- ٦٤هـ/ ٦٦١- ٦٨٤م)، وقد اشتمل الفصل على: مفهوم السلطة في الإسلام، يليه الشرعية وسلطة الخليفة الأموي، ويعقبهما مستويات صنع القرار واتخاذه في الدولة الأموية، أما الفصل الثاني فتضمن: القوى الرسمية المؤثرة في سلطة الخليفة الأموي (٤١- ٦٤هـ/ ٦٦١- ٦٨٤م)، مبيِّنًا تأثير كل من: ولاية العهد، والأمراء الأمويين، وكبار القادة العسكريين، والعمال والولاة، والقضاة والكتّاب في سلطة الخليفة الأموي في العهد السفياني. واختصَّ الفصل الثالث بـ: القوى غير الرسمية المؤثرة في سلطة الخليفة الأموي (٤١- ٦٤هـ/ ٦٦١- ٦٨٤م)، والتي تمثلت في: زعماء القبائل، وبطانة الخليفة وحاشيته، والشعراء، والموالي وأهل الذمة. أما الفصل الرابع فقد استعرض: العوامل المؤثرة في سلطة الخليفة الأموي (٤١- ٦٤هـ/ ٦٦١- ٦٨٤م)، وهي: المعارضة (الأحزاب والتيارات السياسية)، والأحوال الاقتصادية، والأوضاع العسكرية (الجبهات والثغور على حدود الدولة الإسلامية) وتأثيرها في سلطة الخليفة الأموي في الفترة موضوع الدراسة.

اعتمدت الباحثة في دراستها على المنهج التاريخي الوصفي التحليلي القائم على جمع الروايات التاريخية وتحليلها ومن ثم مقارنتها للتوصل إلى نتائج الدراسة.

خَلُصت الدراسة إلى عدد من النتائج كان أبرزها: تعدد مستويات السلطة في العهد السفياني من الدولة الأموية، وأن سلطة الخليفة الأموي في اتخاذ القرارات كانت محكومة نسبياً بعدة عوامل وقوى مؤثرة؛ أي أنها لم تكن مطلقة إطلاقًا تامًّا كما يبدو للكثير من الناس، إضافةً إلى تفاوت نسبِ تأثير القوى المؤثرة في سلطة الخليفة في العصر الأموي تِبْعًا للظروف والأحداث ومستجدات التطورات السياسية، مع وجود الكثير من التداخل والتشابك في موضوع القوى المؤثرة في سلطة الخليفة الأموي في الفترة الزمنية موضوع البحث.

Abstract

The Influencing Forces on the Reign of Umayyad Caliph (41-64 A.H/ 661-684 C.E)

Khalood Bint Salim Bin Muhammed Ba Hashwan

Supervised by: Dr. Muhammed AbduAllah Al Qadahat

The study aimed at discovering the influencing factors in the rule of Umayyad Caliph. It identifies the levels of decision-making during Sufyani era, states the official and unofficial forces that affected the rule of Umayyad Caliph during Sufyani era, and traces the factors and circumstances that contributed to making decisions during Sufyani era. The study includes an introduction, a preface, four chapters, and a conclusion, in addition to a list of primary sources and recent references used in this research. The preface includes: the influencing factors in governance transfer to Umayyads. Chapter one deals with the power and authority of caliph in Umayyad era (41-64 A.H/ 661-684 C.E), the concept of power in Islam, the legitimacy and power of Umayyad Caliph, and the levels of decision-making in the Umayyad state. Chapter two talks about: the official forces influencing the reign of Umayyad Caliph (41-64 A.H/ 661-684 C.E) including: mandate of covenant, Umayyad princes, senior military leaders, workers, governors, judges, and writers during Sufyani era. Chapter three presents the informal forces affecting the reign of Umayyad Caliph (41-64 A.H./ 661-684 C.E.) including tribes’ leaders, lineage of caliph, entourage, poets, and loyalists. Chapter four examines the factors affecting the reign of Umayyad Caliph (41-64 A.H./ 661-684 C.E.) including opposition (political parties and currents), economic situation, conditions of military fronts, and outposts on the borders of the state.

In her study, the researcher adopted the historical descriptive analytical method that is based on collecting, analyzing, and then comparing historical narratives to reach the study's results.

The study concluded that there are multiple levels of authority during the Sufyani era in Umayyad state. Moreover, the power of Umayyad Caliph in making decisions is relatively governed by a number of influencing factors and forces which were not absolute as it seems to people. There is disparity in the forces influencing the reign of caliph during the Umayyad era according to the circumstances and events taking place including political developments. The results of the study reveal that there is much overlap and intertwine in the topic of the influencing forces on the Reign of Umayyad Caliph (41-64 A.H./ 661-684 C.E).

قائمة المحتويـــات

دليل الرموز

الرمز/ الاختصار	الدلالة
ت	توفي
ج	الجزء
د ت	دون تاريخ
د ن	دون ناشر
د م	دون مكان النشر
ص	الصفحة
س	السنة
مج	مجلد
ع	العدد
م	ميلادي
هـ	هجري
P	الصفحة =Page
Ibid	المرجع نفسه
Vol	الجزء =Volume

المقدمـــــــة

قامت الدولة الأموية سنة ٤١هـ/ ٦٦١م علـى يـد الخليفـة معاويـة بـن أبـي سـفيان (٤١-٦٠هـ/ ٦٦١- ٦٨٠) الذي حاول- بكل ما أوتي من قوة- أن ينتزع الخلافـة مـن منافسـيه، حـاملاً لواء المطالبة بدم الخليفة المقتول عثمان بـن عفـان (٢٣- ٣٥هـ/٦٤٣- ٦٥٥م)، وبـذلك اسـتطاع الخليفة معاوية أن يجتذب أتباعه ويؤسس خلافة أموية في بلاد الشام متخذا من دمشق عاصمة له، بل وزاد به الأمر أن بايع ابنه يزيد بولاية العهد في سنة ٥٦هـ/ ٦٧٦م، وبتلـك الخطـوة الجريئـة أستطاع الخليفة معاوية أن يضمن بقاء الخلافة فـي أسـرته وأصـبحت الأسـرة الأمويـة أول أسـرة حاكمة بالتوريث في تاريخ الدولة الإسلامية.

إن قرار توريث الخلافة في الأسرة الأموية ليس القرار الوحيد الهام الـذي أتخـذه الخليفـة معاوية، ولكنه يمثل واحد من أخطر القرارات السياسية في العصـر الأمـوي؛ إذ نـتج عنـه الكثيـر من الصراعات الدموية، وكان أحد أسباب سقوط خلافة بني أمية فـي المشـرق الإسـلامي بعـد أن دامت قرابة قرن من الزمان.

جدير بالذكر أن اتخاذ الخليفة معاوية لهذا القرار السياسي وغيره من القـرارات الأخـرى المؤثرة في في تاريخ الدولة الأموية كالقضاء على الثورات، وتعيين الولاة، وإشـراك القبائـل فـي الأمور السياسية والإدارية للدولة، وتوجيه الجيوش، والاستعانة بالشعراء في التعبيـر عـن بعـض المبادئ والأفكار التي تمثل سياسة الدولة، وغيرهـا مـن الأمـور ذات العلاقـة، لـم يكـن ذلـك كلـه اعتباطاً ولا صدفة محضة، بل تداخلت وتشابكت الكثيـر مـن الظـروف والأحـوال التـي أدت إلـى ذلك، وبالتالي نتج عنها أيضا الكثير من التطورات السياسية التي أثرت في تاريخ العصر الأموي عموما والفترة السفيانية خصوصا.

مما سبق يمكن القول أن سلطة الخليفة الأموي في اتخاذ القرارات- حتى المصيرية منها- كانت محكومة نسبياً بالكثير من العوامل والقوى المؤثرة ولم تكن مطلقة تماماً كما يبدو للكثير من الناس؛ فالخليفة ما كان ليتخذ- في أغلب الأحيان- أي قرار سياسي دون التأثر بـالكثير مـن القـوى والعوامل القريبة والبعيدة سواء أكان ذلك اختيارًا أم جبرًا، ولعل من أهم القوى المؤثرة في سلطة الخليفة الأموي: ولاية العهد، والأمـراء الأمويـون، وكبـار القـادة العسـكريين، والعمـال والـولاة، والقضاة والكتّاب، وزعماء القبائل، وبطانة الخليفة وحاشيته، والشعراء، والمـوالي وأهـل الذمـة، سواء أكانت تلك القوى رسمية فرضتها الظروف والتنظيم في بلاط الخلافة أم قوى غيـر رسـمية بسبب علاقتها وقرابتها من الخليفة.

كما لا يمكن إغفال العوامل التي كان لها الفضل في إيصال معاوية لكرسي الحكم، أو العوامل التي أسهمت في انتقال الحكم للبيت الأموي، فقد كان لولاية معاوية الطويلة على الشام منذ عهد الخليفة عمر بن الخطاب ومن ثم عثمان بن عفان أثر في تعزيز موقفه وتكوين الكثير من الأنصار الذين لعبوا دورًا في وصوله للحكم فيما بعد، وليس الوصول فحسب، بل في إبقاء الخلافة في البيت الأموي في كل موقف كاد أن يفقد بني أمية حكمهم فيه، وكذلك تمثل قضية الثأر لعثمان التي تبناها معاوية سبب آخر مؤثر في وصول الأمويين للحكم، وأخيرا فقد كان للتطورات السياسية والأحداث التي فرضتها الظروف بعد مقتل عثمان وتولي علي بن أبي طالب الخلافة، وما حدث من منافسة معاوية لعلي وعدم القبول به خليفة، وموقعة الجمل وصفين ومن ثم التحكيم من دور في تعزيز موقف معاوية ودعمه في تسريع وصوله للحكم.

حقيق بالإشارة هنا أن القوى والعوامل المؤثرة في سلطة الخليفة في العصر الأموي تتفاوت من حيث مدى ونسبة تأثيرها وفقاً للظروف والأحداث وبعض العوامل الأخرى كشخصية الخليفة نفسه، وخلفيته الاجتماعية من حيث نسب الأم؛ فقد كان لقبيلة كلب مثلا، دور في تعزيز الخليفة يزيد وقبله معاوية بسبب المصاهرة والنسب، وما نتج عن ذلك من علاقات قوية بالمشيخات القبلية الشامية، وهذا فضلا عن عوامل أخرى كتوجه الخليفة وطموحه السياسي، والأحداث التي تستجد في كل عهد من عهود الخلفاء كالمعارضات السياسية، وما تفرضه الأحوال العامة للدولة من الحاجة للفتوحات وإنفاذ الجيوش وإرسال الحملات في بعض الأحيان، وكذلك الحاجة لدعم الشرعية وتوكيد الجبرية الأموية في أحيان أخرى، وغيرها من المستجدات التي تظهر كنتيجة طبيعية وحتمية لحركة التاريخ وظروف العصر.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية هذه الدراسة في أنها تكشف عن مدى تأثير القوى السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية وغيرها في سلطة الخليفة الأموي، وكذلك في بيان حدود سلطة وصلاحيات الخليفة الأموي في اتخاذ القرارات السياسية في ظل وجود تلك القوى وحجم تأثيرها في قرار الخليفة، وذلك من خلال تتبع الروايات التاريخية التي تمثل سلطة الخليفة في الفترة السفيانية (٤١- ٦٤هـ/ ٦٦١- ٦٨٠م) من العصر الأموي، هذا فضلا عن أنها تعد أحد الدراسات التي تسعى للتوصل إلى تأثير التطورات السياسية في الفترة موضوع الدراسة على سير الأحوال والأمور في الدولة الإسلامية، وبالتالي تحديد مدى وحدود تأثير كل قوة من القوى المؤثرة في سلطة الخليفة الأموي سواء أكانت تلك القوى رسمية أوغير رسمية.

مشكلة الدراسة:

تتمثل مشكلة هذه الدراسة في كون سلطة الخليفة الأموي- رغم أنها مطلقة في ظاهرها- محكومة في الواقع بالكثير من القوى والمؤثرات والظروف التي يجب على الخليفة وضعها في الاعتبار بصورة أو بأخرى عند ممارسة سلطاته المباشرة وغير المباشرة، وعليه يمكن وصفها بأنها مطلقة نسبياً بفعل تأثير الكثير من القوى والعوامل الداخلية والخارجية، ونظراً لأهمية تلك القوى سواء أكانت ظاهرية أم خفية، ودورها الفعال في التأثير على القرار السياسي في الدولة الأموية، وأثرها الكبير في رسم ملامح الأحداث السياسة للدولة الأموية، هذا فضلا عن أن سلطة الخليفة وصلاحياته لا يمكن تحديدها إلا من خلال سبر أغوار أمهات كتب التاريخ ودراسة الأحداث التاريخية وما سبقها من قرارات من قبل الخلفاء، فقد جاءت هذه الدراسة لتسعى إلى الكشف عن حدود وصلاحيات سلطة الخليفة الأموي في الفترة السفيانية، وبيان العوامل والقوى المؤثرة في تلك السلطة عن طريق دراسة وتحليل الروايات التاريخية، وبالتالي التوصل إلى معرفة الكيفية التي أستطاع بها الخليفة الأموي تطويع تلك القوى والمؤثرات لخدمة سياسته وممارسة صلاحياته في إدارة شؤون الحكم، وكذلك الخروج بمادة تاريخية مجموعة ومنظمة وموثقة حول سلطة الخليفة الأموي والقوى المؤثرة فيها بصورة مباشرة أو غير مباشرة. وسعت هذه الدراسة إلى الإجابة على التساؤلات الآتية:

١. ما مستويات صنع القرار في الفترة السفيانية من العصر الأموي؟
٢. ما القوى الرسمية المؤثرة في سلطة الخليفة الأموي في العهد السفياني؟
٣. ما دور القوى غير الرسمية في التأثير على سلطة الخليفة الأموي في العهد السفياني؟
٤. ما هي العوامل المؤثرة في سلطة الخليفة في العصر الأموي ٤١- ٦٤هـ/ ٦٦١- ٦٨٤م؟

أهداف الدراسة:

هدفت هذه الدراسة إلى تحقيق الآتي:

١. تتبع مستويات صنع القرار في العهد السفياني.
٢. بيان القوى الرسمية المؤثرة في سلطة الخليفة الأموي في العهد السفياني.
٣. تقصي دور القوى غير الرسمية في التأثير على سلطة الخليفة الأموي في العهد السفياني.
٤. الكشف عن العوامل المؤثرة في سلطة الخليفة في العصر الأموي ٤١- ٦٤هـ/ ٦٦١- ٦٨٤م.

منهج الدراسة:

لتحقيق أهداف هذه الدراسة تم استخدام المنهج التاريخي الوصفي التحليلي الذي يقوم في المقام الأول على تحليل الروايات التاريخية، وذلك من خلال سبر أغوار أمهات كتب التاريخ ذات العلاقة بموضوع الدراسة، وتتبع مواطن صنع القرار في الدولة الأموية وذلك بجمع الروايات التاريخية وتحليلها ومن ثم مقارنتها ببعضها البعض، والتوصل إلى القوى الرسمية وغير الرسمية وكذلك العوامل المؤثرة في قرارات وسلطات الخليفة في فترة العهد السفياني من العصر الأموي.

حدود الدراسة:

يتمثل الإطار الزماني لهذه الدراسة في الفترة التاريخية الممتدة من بداية حكم الخليفة معاوية بن أبي سفيان سنة ٤١هـ/ ٦٦١م، وحتى نهاية حكم الخليفة معاوية بن يزيد بن معاوية سنة ٦٤هـ/ ٦٨٤م، وأما بالنسبة للإطار المكاني فيتمثل في الحدود الجغرافية للأراضي التي كانت تحت الحكم الأموي في المشرق الإسلامي في تلك الفترة الزمنية ٤١- ٦٤هـ/ ٦٦١-٦٨٤م.

الدراسات السابقة:

ليس هناك دراسة سابقة- على حد علم الباحثة- متطابقة بصورة مباشرة مع هذه الدراسة، ولكن يمكن اعتبار الدراسات الآتية هي الدراسات السابقة الأكثر ارتباطًا وتقاربًا مع موضوع هذه الدراسة **(الترتيب زمني من الأقدم إلى الأحدث)**:

١. حمدان، سمير محمود عبد اللطيف. **الخلافة نشأتها وتطورها في المدينة زمن الراشدين.** رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، ١٩٧٥م.

تعد هذه الدراسة من أقدم الدراسات التي قامت عليها دراستنا هذه، وذلك بسبب قرب موضوعها من موضوع البحث، وعلى الرغم من اختلاف الفترة الزمنية بين الدراستين إلا أنها أفادت دراستنا في الموضوعات الخاصة بطبيعة السلطة في فترة صدر الإسلام قبيل وصول الأمويين للخلافة، وعلاقة اختيار عثمان بن عفان بطموح الأمويين السياسي، ودور أصحاب الشورى في إيصال بني أمية للسطة، وغيرها من التفسيرات التي يرونها المؤرخون أحد أسباب الحكم الأموي كتفضيل المبدأ القبلي على المبدأ الإسلامي، بالإضافة إلى أنها لفتت انتباه الباحثة إلى إشارات تعتبر بعيدة زمنيا عن قيام

دولة بني أمية ولكنها تكشف الطموح المبكر لبني أمية في الحصول على الحكم في الدولة الإسلامية.

٢. عبد اللطيف، زهير غنايم. **نظرية الأمويين السياسية في الخلافة والحكم.** رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، ١٩٨٨م.

تعد من الدراسات الهامة التي تناولت نظرية الأمويين في الخلافة والحكم، وقد استعانت بها الباحثة في المواضيع ذات العلاقة بالفكر السياسي الأموي، والأساليب التي تبناها الأمويون من أجل إضفاء الشرعية على خلافتهم، وكيفية انتقال الحكم إلى البيت الأموي ووصول الأمويين للسلطة وكيف أسهم الخلاف الذي وقع بين الخليفة علي ومعاوية وموضوع الثأر لعثمان في ذلك، وذلك لأنها ركزت على أسس الخلافة في العصر الأموي، ونظرية الجبرية الأموية، والتوريث، ودور القبائل في تأييد الحكم الأموي، وكذلك الأسس التي استند عليها الأمويين في ادعائهم بأحقيتهم في الخلافة، وعلاقة الدولة الأموية بالفرق السياسية والدينية، والشعراء في العصر الأموي، والفقهاء وغيرهم ممن يمثلون قوى مؤثرة في سلطات الخلفاء الأمويين.

٣. فوزي، فاروق عمر. **الجيش والسياسة في العصر الأموي ومطلع العصر العباسي.** دار مجدلاوي، عّمان، ٢٠٠٥م.

تناولت هذه الدراسة موضوع العلاقة بين الجيش والسياسة في العصر الأموي، وتكمن أهميتها بالنسبة لموضوع دراستنا في أنها بحثت في تأثير الجيش في السياسة الأموية، ودور القادة العسكريين في التأثير في سلطة الخليفة الأموي، والصلاحيات التي تمتع بها الجيش في العصر الأموي، هذا فضلا عن دور المقاتلة في وصول الأمويين إلى السلطة، وأثر الجند، ودورهم في السياسة العامة في العصر الأموي بما في ذلك قضية ولاية العهد، وبذلك أسهمت هذه الدراسة في إثراء الجزء المختص بتأثر القادة العسكريين في سلطة الخليفة الأموي.

٤. جوبان، محمد محفوظ. "دور قبائل يمن الشام في تأسيس الحكم الأموي في الفترة من ٤١- ٦٥هـ". **الكراسات التونسية**، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تونس، ٢٠٠٧م، ع٢٠١، ص ٥٧- ٩٤.

تحدثت هذه الدراسة عن دور القبائل اليمانية في الحكم الأموي، فقد كان للقبائل الشامية وخاصة اليمانية دور كبير في وصول البيت الأموي للحكم، وذلك بسبب علاقتهم الطويلة بمعاوية بن أبي سفيان في فترة ولايته على الشام، وقد اعتمدت الباحثة على هذه الدراسة في الموضوعات ذات العلاقة بأثر القبائل الشامية في وصول الأمويين للسلطة من خلال وجود معاوية في ولاية الشام، وكذلك دور الشاميين في المشاركة في الحملات العسكرية التي قام بها الأمويين ضد الأقاليم المعارضة كالحجاز والعراق، ودورهم في ولاية العهد ليزيد وإبقاء الخلافة في البيت الأموي.

٥. باحشوان، خلود بنت سالم. **نظام ولاية العهد في الدولة الأموية ٤١- ١٣٢هـ/ ٦٦١-٧٥٠م (في الأصل رسالة ماجستير).** دار مجدلاوي، الأردن، ٢٠١٣م.

تتمثل أهمية هذه الدراسة في كونها تناولت موضوع ولاية العهد الأموية منذ أن قرر الخليفة معاوية تعيين ابنه يزيد وليًا لعهده وحتى سقوط الدولة الأموية. وترتبط هذه الدراسة بموضوع القوى المؤثرة في سلطة الخليفة الأموي إلى حد كبير؛ نظراً لكون قرار الاستخلاف من القرارات التي أحدثت الكثير من التغييرات الجوهرية وأدت إلى التأثير في تاريخ دولة بني أمية ككل، هذا فضلاً عن أن قرار كهذا سبقه الكثير من المشاورات والمحاولات، وأسهم في حدوثه واتخاذه الكثير من الأفراد والجماعات الذين يمثلون قوى وعوامل مؤثرة في سلطة الخليفة الأموي، وبالتالي نتج عنها ظهور نظام ولاية العهد، واستعانت الباحثة بهذه الدراسة في المواضيع المتعلقة بالاستخلاف قبل العصر الأموي، وكذلك في دور التوريث في سلطة الخليفة الأموي في الفترة موضوع الدراسة.

٦. عمامو، حياة. **السلطة وهاجس الشرعية في صدر الإسلام.** التنوير للطباعة والنشر، تونس، ٢٠١٤م.

تعد أحد الدراسات التي أعتمدت عليها الباحثة في موضوع مفهوم السلطة ومسألة العلاقة بين السلطة والشرعية في نظام الحكم المبكر في الإسلام وكذلك في العصر الأموي؛ كون الشرعية هاجس شغل المسلمين ومبرر من مبررات ممارسة السلطة في الإسلام، وأثرت هذه الدراسة بالكثير من التفسيرات في فهم الفرق بين مفهومي السلطة والقوة، وكيف تطورت تلك المفاهيم في الدولة الإسلامية ما بين فترتي (النبوة والخلافة الراشدة) و(الخلافة الأموية)، وأسباب هذا التطور المفاهيمي، بالإضافة

إلى الألقاب التي استخدمت في تلك الفترات الزمنية، وعلاقة الألقاب والرمزيات بتطور السلطة.

٧. الزويد، هدى فهد. "مصاهرات بني أمية وأثرها السياسي والإداري على الدولة الأموية". **مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية،** جامعة السلطان قابوس، مسقط، ٢٠١٨م، مج٩، ع٢، ص ٢٧- ٤١.

تناولت هذه الدراسة مصاهرات الخلفاء الأمويين وأثر تلك المصاهرات على النظام السياسي والإداري في الدولة الأموية، وتكمن أهمية هذه الدراسة في أن الباحثة استندت عليها في المواضيع المتعلقة بدور زعماء قبيلة كلب وخاصة البحدليين في التأثير على السياسية الأموية، وأثر المصاهرات مع الخلفاء الأمويين في تعزيز الحكم الأموي، كما أفادت هذه الدراسة في تبيان دور شيوخ كلب في تعزيز القضايا الأموية كولاية العهد ليزيد، وبالتالي إبقاء وحفظ الخلافة في البيت الأموي.

تقسيمات الدراسة:

تنقسم هذه الدراسة إلى مقدمة وأربعة فصول ونتائج الدراسة وتوصياتها، تضمنت المقدمة أهمية وإشكالية الدراسة وأهداف ومنهجية الدراسة، بينما تناول الفصل الأول سلطات وصلاحيات الخليفة في العصر الأموي ٤١- ٦٤هـ/ ٦٦١- ٦٨٤م.

أما الفصل الثاني فتطرق إلى القوى الرسمية المؤثرة في سلطة الخليفة الأموي ٤١- ٦٤هـ/ ٦٦١- ٦٨٤م، وكان الفصل الثالث عن القوى غير الرسمية المؤثرة في سلطة الخليفة الأموي ٤١- ٦٤هـ/ ٦٦١- ٦٨٤م، والفصل الرابع تناول العوامل المؤثرة في سلطة الخليفة الأموي ٤١- ٦٤هـ/ ٦٦١- ٦٨٤م.

التمهيد

العوامل المؤثرة في انتقال الحكم إلى بني أمية

أولا: معاوية بن أبي سفيان واليًا على الشام.

ثانيا: مقتل عثمان ومطالبة معاوية بدم عثمان.

ثالثا: التحكيم وانتقال الحكم إلى بني أمية.

التمهيد

العوامل المؤثرة في انتقال الحكم إلى بني أمية

تمثل فكرة انتقال الحكم إلى بني أمية انطلاقة جديدة وتطور سياسي لتاريخ الدولة الإسلامية، فقد كان لهذا الأمر أبعاد ومنعطفات كثيرة لم تكن بالحسبان قبل ذلك، ولعل من أهمها وأشدها تبيانا، أن هذا الانتقال يعني تغليب العصبية القبلية على الإسلام، والميل نحو الملك الدنيوي أكثر من المثالية التي مثلها العصرين النبوي والراشدي، هذا فضلا عن الكثير من الاعتبارات ذات العلاقة بموضوع الخلاف الأموي الهاشمي والعلاقات الشامية الكوفية الحجازية، وظهور المعارضات السياسية، وتغييب فكرتي الشورى والانتخاب وبالمقابل ظهور التوريث، وغيرها من التطورات ذات الأثر العميق في التاريخ الإسلامي كـ الفتنة الثانية، وانتهاك قدسية البلد الحرام، وتقديم المطامع الشخصية والمادية على المصلحة العامة، وظهور الحزبية في الإسلام.

ومن المعلوم أن انتقال الحكم إلى البيت الأموي لم يحدث بين ليلة وضحاها، بل تلاحمت عدة ظروف وتوالت الكثير من الأحداث التي أدت إلى ذلك، ولعل من العوامل التي أثرت في انتقال الحكم إلى بني أمية ما يأتي:

أولا: معاوية بن أبي سفيان واليًا على الشام:

أسلم معاوية بن أبي سفيان يوم فتح مكة[١]، وأشارت الروايات التاريخية[٢] إلى أن الرسول- صلى الله عليه وسلم- عينه كاتبا للوحي، وأشترك معاوية مع أخيه يزيد في قيادة الجيش الذي أنفذه الخليفة أبوبكر الصديق- رضي الله عنه- (١١- ١٣هـ/ ٦٣٢- ٦٣٤م) لفتح بلاد الشام، وكان هذا الجيش واحدا من أربع حملات أُرسلت لهذا الغرض بقيادة عمرو بن العاص، وأبو

---

(١) البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م). **أنساب الأشراف**. تحقيق: سهيل زكار ورياض زركلي، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٦م، ج٥، ص ٢١. (سيشار إليه فيما بعد: البلاذري، **أنساب الأشراف**).

(٢) ابن خياط، أبي عمر خليفة بن خياط بن أبي هبيرة (ت ٢٤٠هـ/ ٨٥٤م). **تاريخ خليفة بن خياط**. تحقيق: أكرم ضياء العمري، دار طيبة، الرياض، ١٩٨٥م، ص ٩٩. (سيشار إليه فيما بعد: ابن خياط، **تاريخ**)؛ المسعودي، أبي الحسن علي بن الحسين (ت ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م). **التنبيه والإشراف**. تحقيق: عبدالله إسماعيل الصاوي، مكتبة الشرق الإسلامية، القاهرة، ١٩٣٨م، ص ٢٤٦. (سيشار إليه فيما بعد: المسعودي، **التنبيه والإشراف**)؛ ابن كثير، أبي الفدا إسماعيل (ت ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م). **البداية والنهاية**. تحقيق: مأمون محمد الصاغرجي ومحمود عبد القادر الأرناؤوط، ط٢، دار ابن كثير، دمشق، ٢٠١٠م، ج٨، ص ٧. (سيشار إليه فيما بعد: ابن كثير، **البداية والنهاية**).

عبيدة عامر بن الجراح، وشرحبيل بن حسنة، بالإضافة إلى يزيد بن أبي سفيان، وذلك سنة ١٣هـ/ ٦٣٤م[١].

وبعد وفاة يزيد بن أبي سفيان في طاعون عمواس[٢] سنة ١٨هـ/ ٦٣٩م[٣]، قام الخليفة عمر بن الخطاب (١٣- ٢٣هـ/ ٦٣٤- ٦٤٤م) بتعيين معاوية بن أبي سفيان عاملًا من قبله على جند دمشق وخراجها[٤]، ومن ثم أقره عثمان وأصبح واليا على الشام والجزيرة وثغورهما سنة ٢٦هـ/ ٦٤٦م[٥]، وظل معاوية في منصبه حتى نهاية عهد الخليفة عثمان بن عفان (٢٣- ٣٥هـ/ ٦٤٤- ٦٥٦م)[٦].

وكان للمدة التي قضاها معاوية واليًا على الشام قبل توليه الخلافة، والتي تقدّر بعشرين عامًا، الأثر الواضح في معرفة معاوية وفهمه للظروف والأحوال المحيطة به سواء في الشام أو

---

(١) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ/٩٢٢م). **تاريخ الطبري.** تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧١م، ج٣، ص ٣٨٧. (سيشار إليه فيما بعد: الطبري، **تاريخ**).

(٢) هو طاعون وقع في ولاية بلاد الشام الإسلامية التابعة للخلافة الراشدة في أيام خلافة عمر بن الخطاب سنة ١٨ هـ/٦٣٩م بعد فتح بيت المقدس، وسُمي هذا العام بعام الرمادة؛ لما حدث به من المجاعة في المدينة المنورة أيضًا. ويُعتبر هذا الطاعون أحد امتدادات طاعون جستنيان. وهو أول وباء يظهر في أراضي الدولة الإسلامية. انظر: ابن الأثير، أبي الحسن علي بن محمد الشيباني الجزري (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م). **الكامل في التاريخ.** تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠١٢م، ج٢، ص ٣٧٤. (سيشار إليه فيما بعد: ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**).

(٣) المسعودي، أبي الحسن علي بن الحسين (ت ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م). **مروج الذهب ومعادن الجوهر.** تحقيق: كمال حسن مرعي، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٥م، ج٣، ص ٣٩. (سيشار إليه فيما بعد: المسعودي، **مروج الذهب**).

(٤) ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع (ت ٢٣٠هـ/٨٨٤م). **كتاب الطبقات الكبير.** تحقيق: علي محمد عمر، الشركة الدولية للطباعة، القاهرة، ٢٠٠٠م، ج٦، ص ٢٣. (سيشار إليه فيما بعد: ابن سعد، **الطبقات**).

(٥) **المصدر نفسه**، ج٦، ص ٢٤؛ جوبان، محمد محفوظ. "دور قبائل يمن الشام في تأسيس الحكم الأموي في الفترة من ٤١- ٦٥هـ". **الكراسات التونسية**، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تونس، ٢٠٠٧م، ع٢٠١، ص ٥٧- ٩٤. (سيشار إليه فيما بعد: جوبان، "دور قبائل يمن الشام في تأسيس الحكم الأموي").

(٦) ابن حجر العسقلاني، الحافظ أحمد بن علي (ت ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م). **الإصابة في تمييز الصحابة.** تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوّض، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥م، ج٦، ص ١٢٠. (سيشار إليه فيما بعد: ابن حجر العسقلاني، **الإصابة**)؛ اليعقوبي، حاتم كريم جياد والحيدري، عباس عاجل جاسم. "سياسة الدولة الأموية تجاه قبائل الشام والعراق: معاوية بن أبي سفيان أنموذجا". **مجلة الكلية الإسلامية**، الجامعة الإسلامية، ٢٠١٢م، مج٦، ع١٧، ص ٤٥٣- ٤٨٠. (سيشار إليه فيما بعد: اليعقوبي والحيدري، "سياسة الدولة الأموية تجاه قبائل الشام والعراق").

على مستوى الدولة الإسلامية ككل، فقد استطاع معاوية في سنوات ولايته أن يستميل الكثير من الأنصار من القبائل الشامية[١].

بالإضافة إلى أن معاوية استعان بأشخاص آخرين لتزويده بمعلومات عن القبائل القاطنة خارج حدود الشام، ففي رواية تاريخية[٢] أن معاوية استدعى ذات مرة صعصعة بن صوحان العبدي[٣]، وسأله عن أهل الكوفة والبصرة والحجاز وديار ربيعة ومضر، وكان صعصعة يجيبه بكلام يدل على خبرته العميقة والدقيقة في أحوال تلك القبائل، وهذا الأمر أعان معاوية على تكوين تصور عن السياسة التي سيتبعها وحققت له النجاح فيما بعد[٤].

وتشير الروايات أيضا إلى الكثير من الظروف التي أهلت معاوية لمطامحه في الخلافة، ومما ورد أنه في فترة ولاية معاوية على الشام، قدم أبو سفيان إلى معاوية وهو بالشام، ومعه ابناه عتبة وعنبسة، فكتبت هند بنت عتبة[٥] إلى معاوية: "قد قدم عليك أبوك وأخواك، فاحمل أباك على فرس وأعطه أربعة آلاف درهم، واحمل عتبة على بغل وأعطه ألفي درهم، واحمل عنبسة على حمار وأعطه ألف درهم، ففعل معاوية ذلك"[٦].

ومن هنا نستنتج أن شخصية هند بنت عتبة لعبت دور كبير في التأثير على معاوية، فقد كان للتهيئة والتربية التي أذكتها هند في عقلية ابنها الأثر العميق في تكوين شخصيته الطامحة والمتعطشة للسلطة فيما بعد، ولا عجب أن يكون لتلك العلاقة بين معاوية وأمه هند أكبر الأثر في

---

(١) اليعقوبي والحيدري، "سياسة الدولة الأموية تجاه قبائل الشام والعراق"، مج٦، ع١٧، ص ٤٥٣- ٤٨٠.

(٢) **المرجع نفسه**، مج٦، ع١٧، ص ٤٥٣- ٤٨٠.

(٣) صعصعة بن صوحان بن حجر بن الحارث، من سادات عبد القيس وخطباءهم وذوي رأيهم، كان من أنصار علي في حروبه، ووفد على معاوية، نفاه المغيرة بن شعبة عن الكوفة إلى البحرين وتوفي بها، وقيل توفي في الكوفة سنة ٥٦هـ/ ٦٧٥م. انظر: ابن قتيبة، محمد بن عبدالله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ/ ٨٨٨م). **المعارف**. تحقيق: ثروت عكاشة، دار المعارف، القاهرة، د ت، ص ٤٠٢. (سيشار إليه فيما بعد: ابن قتيبة، **المعارف**)؛ ابن سعد، **الطبقات**، ج٨، ص ٣٤٠.

(٤) اليعقوبي والحيدري، "سياسة الدولة الأموية تجاه قبائل الشام والعراق"، مج٦، ع١٧، ص ٤٥٣- ٤٨٠.

(٥) هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف، زوجة أبي سفيان، وأم الخليفة معاوية بن أبي سفيان، صاحبة رأي وحزم، اشتهر عنها مراثيها لقتلى بدر من مشركي قريش، ووقفت يوم أحد مع بعض النساء اللواتي مثلنّ بقتلى المسلمين، أسلمت يوم فتح مكة، توفيت سنة ١٤هـ/ ٦٣٥م. انظر: الزركلي، خير الدين. **الأعلام**. دار العلم للملايين، بيروت، ٢٠٠٢م، ج٨، ص ٩٨. (سيشار إليه فيما بعد: الزركلي، **الأعلام**).

(٦) ابن سعد، **الطبقات**، ج٦، ص ٢٤.

جعل معاويـة يرسـم لنفسـه مسـتقبلا لا يقبـل أن يكـون فيـه أقـل مـن رأس القـوم أو علـى رؤوس العرب[1].

إضافة إلى ما سبق، فقد كان معاوية واثقا من أنه أحق الناس بالحكم لاعتبارات تميزه عن أهل زمانه، هذا فضلا عن أنه داهية ومحنك استخدم أسلوب الوهم لعامة الناس كي يحصـل علـى تأييدهم على الرغم من وجود الأفضل والأحق منه خاصـة فـي ظـل وجـود أبنـاء الصـحابة، ففـي رواية أنه قال: "إني والله لست بخيركم، وإن فيكم من هو خير مني، عبدالله بن عمر وعبدالله بـن عمرو بن العاص وغيرهما من الأفاضل، ولكني عسيت أن أكون أنكاكم في عـدوكم وأنعـتكم لكـم ولاية وأحسنكم خلقا"[2].

وهذه الرواية رغم أنها غيـر منطقيـة مـن ناحيـة أن يقـدّم معاويـة عبـدالله بـن عمـرو بـن العاص على نفسه؛ وذلك لأن معاوية يرى في عمرو بـن العـاص وآل عمـرو منافسـين لـه وكـان يخشى عمرو بن العاص، ولكن يمكن قبولها من جانب أن معاوية كان معتدًا بنفسه، ولأن الرواية تشبه إلى حد كبير ما قاله معاوية للناس حين أراد العهد ليزيـد بأنـه هـو أفضـل النـاس وأصـلحهم على الرغم من وجود أبناء الصحابة[3].

ولعل من أهم العوامل التي أثرت ودعمت معاوية لكي يصل إلى الحكم، هو أنـه اسـتطاع استمالة القبائل الشامية حتى غدا له الكثير من الأنصار الذين يعتد بهم، وتزوج معاوية من ميسون بنت بحدل[4] وبذلك ضمن وقوف قبيلة كلب إلـى جانبـه، فضـلا عـن أن تقريـب معاويـة لزعمـاء وشيوخ القبائل اليمانية من كلب وجذام وكندة وغيرها ساعده في الوصول إلى مبتغاه؛ فقد حظيـت

---

(١) للمزيد من التفاصيل. انظر: ابـن سـعد، **الطبقـات**، ج٦، ص ٢٣؛ ابـن عسـاكر، الحـافظ أبـو القاسـم علـي بـن الحسن (ت ٥٧١هـ/ ١١٧٥م). **تاريخ مدينـة دمشـق.** تحقيـق: عمـر بـن غرامـة العمـروي، دار الفكـر، بيـروت، ١٩٩٥م، ج٥٩، ص ٦٦. (سيشار إليه فيما بعد: ابن عساكر، **تاريخ دمشق**)؛ ابـن كثيـر، **البدايـة والنهايـة**، ج٨، ص ١٧٢.

(٢) ابن سعد، **الطبقات**، ج٦، ص ١٩.

(٣) ابن خياط، **تاريخ**، ص ٢١٣؛ ابن أعثم الكوفي، أبي محمد أحمد (ت ٣١٤هـ/ ٩٢٦م). **كتاب الفتوح.** تحقيـق: علي شيري، دار الأضواء، بيروت، ١٩٩١م، ج٤، ص ٣٣٦. (سيشار إليه فيما بعد: ابن أعثم الكوفي، **الفتوح**).

(٤) هي ميسون بنت بحدل بن أنيف بن دلجـة الكلبيـة، وكانـت امـرأة لبيبـة وإحـدى مشـاهير النسـاء فـي العصـر الأموي. انظر: الزبيري، المصعب بن عبـدالله بـن المصـعب (ت ٢٣٦هـ/ ٨٥٠م). **نسـب قـريش.** تحقيـق: ليفـي بروفنسال، دار المعارف، القـاهرة، ١٩٥٣م، ص ١٢٧. (سيشـار إليـه فيمـا بعـد: الزبيـري، **نسـب قـريش**)؛ ابـن عساكر، **تاريخ دمشق**، ج٧٠، ص ١٣٠؛ العقيلي، عمـر سـليمان. **يزيـد بـن معاويـة: حياتـه وعصـره.** المديريـة العامة للمطبوعات، الرياض، ١٩٨٨م، ص ١٠. (سيشار إليه فيما بعد: العقيلـي، **يزيـد**)؛ دسـوقي، محمـد عـزب. **القبائل العربية في بلاد الشام منذ ظهـور الإسـلام إلـى نـهايـة العصـر الأمـوي.** الهيئـة المصـرية العامـة للكتـاب، القاهرة، ١٩٩٨م، ص ٤١٤. (سيشار إليه فيما بعد: دسوقي، **القبائل**).

قبائل يمن الشام في عهد معاوية بالكثير من الامتيازات مثل: صدر المجلس، وحق العطاء، والإقطاعيات التي أعطيت لهم، والدليل على أثرهم الشديد على معاوية، أنه لم يبدأ بالمطالبة بدم عثمان حتى ضمن موافقة شيوخ وزعماء قبائل يمانية الشام، وعلى رأسهم شرحبيل بن السمط الكندي الذي كان شيخ زعماء يمانية الشام، وبذلك استطاع أن يبدأ أولى تحركاته في سبيل أهدافه(١).

ثانيا: مقتل عثمان ومطالبة معاوية بدم عثمان:

بويع علي بن أبي طالب (٣٥- ٤٠هـ/ ٦٥٦- ٦٦٠م) بالخلافة بعد مقتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان، وواجه الخليفة علي في بداية خلافته عددًا من المشاكل والصعاب كان أهمها أن قتلة الخليفة عثمان لا يزالون متواجدين في المدينة، ولكنه لم يستطيع محاسبتهم، فعندما طلب منه بعض الصحابة إقامة الحدود عليهم أجابهم بقوله: "كيف أصنع بقوم يملكوننا ولا نملكهم"(٢).

وفي ظل ذلك الوضع المتأزم كان الخليفة علي يخطط لإعادة النظر في الجهاز الإداري للدولة، فأقدم على عزل ولاة الخليفة عثمان بن عفان، وبالرغم من أن بعض الصحابة كعبدالله بن العباس والمغيرة بن شعبة نصحوا علي بألا يعّدل في النظام الإداري، وأن يبقي الولاة في مناصبهم(٣)، تماشيا مع سياسة الخلفاء الذين سبقوه، حيث كانوا يقرون العمال على ولاياتاهم وبعد مرور سنة يعزلون من يشاءون منهم، إلا أن الخليفة علي بن أبي طالب أصر على موقفه(٤).

وروي أن ابن عباس والحسن بن علي نصحوا الخليفة علي بن أبي طالب في أول ولايته بأن يكتب إلى معاوية: "فأقره على عمله ولا تحركه، وأطمعه فإنه سيطمع ويكفيك نفسه وناحيته، فإذا بايع الناس لك أقررته أو عزلته، قال: فإنه لا يرضى حتى أعطيه عهد الله وميثاقه أن لا أعزله، فقالا: لا نعطه عهدا ولا ميثاقا"(٥)، فبلغ ذلك معاوية، فأقسم "والله لا ألي له شيئا أبدا ولا أبايعه ولا أقدم عليه"(٦). وأرسل الخليفة علي بن أبي طالب إلى الشام سهيل بن حنيف واليا من

(١) جوبان، "دور قبائل يمن الشام في تأسيس الحكم الأموي"، ع٢٠١، ص ٥٧- ٩٤.

(٢) الطبري، **تاريخ**، ج٥، ص ١٥٨.

(٣) الدينوري، أبي حنيفة أحمد بن داؤود (ت ٢٨٢هـ/ ٨٩٥م). **الأخبار الطوال.** تحقيق: عبد المنعم عامر، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، د ت، ص ١٤٢. (سيشار إليه فيما بعد: الدينوري، **الأخبار الطوال**).

(٤) جوبان، "دور قبائل يمن الشام في تأسيس الحكم الأموي"، ع٢٠١، ص ٥٧- ٩٤.

(٥) ابن سعد، **الطبقات**، ج٦، ص ٢٤.

(٦) **المصدر نفسه**، ج٦، ص ٢٤.

قبله، ولكن رجال معاوية منعوه من دخولها[1]، وهذا يعني أن معاوية رفض الإعتراف بخلافة علي[2]، مما جعل الخليفة علي يعد العدة ويتأهب لمحاربة معاوية المعارض في الشام، وفي تلك الأثناء تفاجأ علي بن أبي طالب بموقف كل من طلحة والزبير وأم المؤمنين عائشة- رضي الله عنهم- الذي طالبوه بدم عثمان من قتلته، وانتهى المطاف به أن خاض معهم معركة الجمل سنة ٣٦هـ/ ٦٥٦م التي دامت قرابة سبعة أشهر[3].

وكتبت نائلة بن الفرافصة[4] إلى معاوية كتابا تصف فيه كيف دُخل على عثمان، وكيف قُتل، وبعثت إليه بقميص عثمان الذي قُتل فيه ملطخا بدمه، فقرأ معاوية الكتاب على أهل الشام، "وأمر بقميص عثمان فطيف به في أجناد الشام، ونعى إليهم عثمان، وأخبرهم بما أُتي وأُستحل من حرمته، وحرضهم على الطلب بدم عثمان، فبايعوه على الطلب بدم عثمان"[5].

ومن هذه الرواية يتضح أن استنهاض نائلة لمعاوية كان أحد العوامل التي أثرت في معاوية ليثأر لعثمان، هذا فضلا عن شعور معاوية بأنه ولي عثمان، وأن نائلة حين كتبت إليه كانت تضع فيه الثقة بأنه يستحق أن يكون وليا لعثمان وصاحب ثأره ومن ثم يصل إلى ما يرى نفسه حقيق به، وهو نقل الحكم إلى البيت الأموي، وخصوصا أن معاوية كان ضامنا للدعم والنصرة من القبائل الشامية- سيما- اليمانية والكلبية خصوصا.

ومن الأمور التي يجب اعتبارها في في مسألة حرص معاوية على الثأر لعثمان باعتباره ولي المقتول، أن انتخاب عثمان بالأساس كان بمثابة انتصار للمبدأ القبلي على المبدأ الإسلامي، ونجاحا لطبقة الأشراف من قريش في الإمساك بزمام الأمور، وكان بنو أمية يمثلون القوة الاقتصادية والاجتماعية السائدة في المجتمع المكي والمدني آنذاك، لذلك رأى معاوية في قرارة

---

(١) الطبري، **تاريخ**، ج٤، ص ٤٤٣.

(٢) جوبان، "دور قبائل يمن الشام في تأسيس الحكم الأموي"، ع٢٠١، ص ٥٧- ٩٤.

(٣) الدينوري، **الأخبار الطوال**، ص ١٤٤.

(٤) نائلة بنت الفرافصة بن الأحوص الكلبية، زوجة الخليفة عثمان بن عفان، دافعت عن عثمان حين داهم الثوار داره، فقعطت أصابعها. انظر: الزركلي، **الأعلام**، ج٧، ص ٣٤٣.

(٥) ابن سعد، **الطبقات**، ج٦، ص ٢٤.

نفسه أنه من الضروري إبقاء السلطة والهيمنة في البيت الأموي والسعي لتحقيق أهدافه، بدءًا من عدم الاعتراف بخلافة علي، وكان الستار الشرعي لذلك كله هو (الأخذ بثأر عثمان المقتول)[1].

كما أن تقريب الخليفة عثمان بن عفان لأقربائه ومنحهم الاقطاعيات[2] والأعطيات والأموال، عمل على تشجيع تلك الفئة من بني أمية إلى السعي لاستعادة مجدها الاقتصادي والسياسي القديم، هذا فضلا عن أن تلك الفئة كانت تملك الكثير من الثروات الطائلة بسبب ممارستها التجارة في البلاد المفتوحة، وذلك عزز بدوره طموح معاوية في الأخذ بثأر عثمان واستعادة نفوذ أسرته[3].

ونتيجة لما سبق؛ فقد بذل الأمويين كل ما بوسعهم لأجل أن تصير الخلافة إليهم متخذين من الثأر لعثمان سبيلا إلى ذلك، والذي يدل على أن المطمع الأول والأخير الخلافة والنفوذ وليس الثأر لعثمان، أن معاوية تخلى عن دم عثمان فور وصوله إلى السلطة، ففي رواية أن معاوية قدم المدينة إلى دار عثمان، فبكت عائشة بنت عثمان، فقال معاوية: "ابنة أخي إن الناس أعطونا طاعة تحتها حقد، وأظهرنا لهم حلما تحته غضب، ومع كل إنسان سيف وهو يرى أنصاره، فإن نكثنا بهم نكثوا بنا، ولا ندري أعلينا يكون أو لنا، ولأن تكوني ابنة عم أمير المؤمنين خير من أن تكوني امرأة من عرض المسلمين"[4].

وفي رواية أن سعيد بن عثمان بن عفان طلب من معاوية أن يوليه خراسان، وكان ذلك سنة ٥٦هـ/ ٦٧٦م، فرفض معاوية ذلك بحجة أن عليها عبيد الله بن زياد[5]، فعاتبه سعيد: "أما لقد اصطنعك أبي ورفاك حتى بلغت باصطناعه المدى الذي لا يجارى إليه ولا يسامى، فما شكرت بلاءه، ولا جازيته بآلائه، وقدمت علي هذا- يعني يزيد بن معاوية- وبايعت له؛ ووالله لأنا خير

---

(١) البكر، منذر عبد الكريم. "الصراع السياسي والاقتصادي حول السلطة في بداية العصر الأموي". **مجلة المورد**، وزارة الثقافة والإعلام- دائرة الشؤون الثقافية، العراق، ١٩٧٤م، مج٣، ع٣، ص ١٢٨- ١٣٢. (سيشار إليه فيما بعد: البكر، "الصراع السياسي والاقتصادي").

(٢) كان الخليفة عثمان بن عفان "أول من اقطع العراق". انظر: البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م). **فتوح البلدان**. تحقيق: عبدالله أنيس الطباع وعمر أنيس الطباع، مؤسسة المعارف، بيروت، ١٩٨٧م، ص ٣٨٢. (سيشار إليه فيما بعد: البلاذري، **فتوح البلدان**).

(٣) البكر، "الصراع السياسي والاقتصادي"، مج٣، ع٣، ص ١٢٨- ١٣٢.

(٤) البلاذري، **أنساب الأشراف**، ج٤، ص ١٢.

(٥) ابن قتيبة، محمد بن عبدالله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ/ ٨٨٨م). **الإمامة والسياسة**. (منسوب إليه)، تحقيق: علي شيري، دار الأضواء، بيروت، ١٩٩٠م.ج١، ص ٢١٣. (سيشار إليه فيما بعد: ابن قتيبة، **الإمامة والسياسة**)؛ ابن الجوزي، **المنتظم**، ج٥، ص ٢٨٧.

منه أباً وأماً ونفساً"[1]. ونتيجة لذلك رد عليه معاوية بما يؤكد أنه وابنه يزيد أحق بالأمر من سعيد بن عثمان، وكان مما جاء فيه: "أما بلاء أبيك فقد يحق علي الجزاء به، وقد كان من شكري لذلك أني طلبت بدمه حتى تكشفت الأمور، ولست بلائم لنفسي في التشمير؛ وأما فضل أبيك على أبيه فأبوك والله خيرٌ مني وأقرب برسول الله صلى الله عليه وسلم؛ وأما فضل أمك على أمه فما ينكر، امرأةٌ من قريش خير من امرأة من كلب، وأما فضلك عليه فوالله ما أحب أن الغوطة دحست (ملئت) ليزيد رجالاً مثلك"[2].

ومن الروايتين الآنفتين يتضح الأمر بأن قميص عثمان الملطخ بدمه كان أحد أساليب الاستعطاف، وذريعة تذرع بها معاوية بن أبي سفيان لأجل الوصول إلى السلطة، وإزاحة منافسيه بتهمة التواطؤ مع قتلة عثمان، وما إن وصل إلى السلطة حتى تخلى عن كل الأسباب التي من أجلها يمكن أن يضيع ما بين يديه، واكتفى بأن يكون أمير المؤمنين وخليفة المسلمين، ودليل ذلك قوله لعائشة بنت عثمان: "ولأن تكوني ابنة عم أمير المؤمنين خير من أن تكوني امرأة من عرض المسلمين"[3].

وهذا يكشف الوجه الحقيقي المتعطش للسلطة والساعي وراء هدف واحد هو (الخلافة)، غير مباليا بآل بيت عثمان ولا بالثأر لعثمان، وبذلك كان الثأر لعثمان أحد الأسباب التي أوصلت معاوية إلى ما يريد، مضطرا إقناع الناس بأنه ولي المقتول والأولى بثأره، وكان معاوية مدركا أن الناس غير قابلين به ولا مؤيدين له وأنه لم يُنتخب ولا نالها عن رضا، وفي قول معاوية حين خطب في أهل المدينة عام الجماعة ما يؤكد ذلك: "فإني والله ما وليتها بمحبة علمتها منكم، ولا مسرة بولايتي، ولكني جالدتكم بسيفي هذا مجالدة"[4].

ثالثا: التحكيم وانتقال الحكم إلى بني أمية:

نال معاوية بن أبي سفيان (٤١- ٦٠هـ/ ٦٦١- ٦٨٠م) الخلافة بسبب مواتاة الظروف له في فترة نزاعه مع الخليفة علي بن أبي طالب (٣٥- ٤٠هـ/ ٦٥٥- ٦٦٠م)، ومهما كانت تلك الظروف، فقد كان للدهاء والسيف أثرهما في وصول معاوية للحكم، ونجح معاوية في إغفال

---

(١) الطبري، **تاريخ**، ج٥، ص ٣٠٥.

(٢) الطبري، **تاريخ**، ج٥، ص ٣٠٥.

(٣) **المصدر نفسه**، ج٥، ص ٣٠٥.

(٤) ابن عبد ربه، أحمد بن محمد الأندلسي (ت ٣٢٨هـ/ ٩٣٩م). **العقد الفريد**. تحقيق: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣م، ج٤، ص ١٧١. (سيشار إليه فيما بعد: ابن عبد ربه، **العقد الفريد**).

مبادئ (الانتخاب والسبق والخدمة في الإسلام)[1]، وأكد على أهمية (القوة والنفوذ) في الوصول إلى الحكم، هذا فضلا أن معاوية نجح في تغليب التقاليد العربية على المبادئ الإسلامية[2].

وإذا أردنا أن نرى الأمر من زاوية أخرى، فيمكن الاستشهاد برأي الدوري في أن معاوية أسهم في تطور الخلافة الإسلامية، وذلك لأنه أدخل مبدأ الوراثة في الحكم والخلافة[3]. كما أشار إلى أن البعض يرى أن معاوية لم يكن الأول في انتهاج فكرة التوريث، فهم يدللون على رأيهم هذا ببيعة أهل الكوفة للحسن بن علي[4]، وهي بمثابة توريث مباشر من الأب إلى الابن، ولكن الحقيقة والواقع أثبت أن معاوية هو أول خليفة قال بفكرة التوريث ودعا إليها؛ فالملحوظ من خلال محاولات معاوية لإقناع أهل الأمصار بالبيعة ليزيد، أن فكرة الانتخاب كانت لا تزال في اعتبار معاوية نظريًا، ولكنها فقدت كل قيمتها عمليًا[5].

بالإضافة إلى ذلك فقد كان للقبائل الشامية دور في تطور الصراع بين معاوية وعلي، فما كاد معاوية ينتهي من معركة الجمل حتى ألتقى بعلي في معركة صفين سنة ٣٧هـ/ ٦٥٧م[6]، التي ظهر فيها دور القبائل اليمانية الشامية في تأييد معاوية وحرصها على نصرته، وتميز جيش معاوية في معركة صفين عن جيش علي بأن جيش معاوية كان أكثر تنظيما وتماسكا بسبب الأواصر والروابط التي كانت بينه وبين يمانية الشام منذ زمن بعيد، وبالمقابل كان جيش علي أقل ترابطا من جيش معاوية، فقد أنقسم الجيش على نفسه بين مؤيد ومعارض عندما رُفعت المصاحف، وهذا الانقسام الداخلي في جيش علي أضعفه، وبالمقابل نتج عن ذلك وصول معاوية إلى مبتغاه[7].

---

(١) كان هناك نزاع بين ثلاثة مبادئ قبيل استقرار نظام الوراثة في الحكم في العصر الأموي. المبدأ الإسلامي: الذي يؤكد اختيار أصلح المسلمين وأفضلهم، المبدأ القبلي: الذي يعترف بسيادة القبيلة ويقبل باختيار أقدر أفرادها حنكة وأكبرهم سنا وأكثرهم خدمة، مبدأ الوراثة المباشرة: من الأب إلى الابن. انظر: الدوري، عبد العزيز. **النظم الإسلامية**. مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٨م، ص ٤٠. (سيشار إليه فيما بعد: الدوري، **النظم الإسلامية**).

(٢) **المرجع نفسه**، ص ٣٨.

(٣) **المرجع نفسه**، ص ٣٨.

(٤) **المرجع نفسه**، ص ٣٨.

(٥) **المرجع نفسه**، ص ٣٨.

(٦) للمزيد من التفاصيل. انظر: ابن مزاحم، نصر المنقري (ت ٢١٢هـ/ ٨٢٧م). **وقعة صفين**. تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٠م، ص ١٧. (سيشار إليه فيما بعد: ابن مزاحم، **وقعة صفين**).

(٧) جوبان، "دور قبائل يمن الشام في تأسيس الحكم الأموي"، ع٢٠١، ص ٥٧- ٩٤.

كما تهيأت لمعاوية ظروف أخرى أوصلته إلى سدة الحكم، منها المتعلقة بضعف موقف الخليفة علي بن أبي طالب وخذلان أصحابه له، فقد دخل معاوية معركة صفين أميرا، وخرج منها خليفة غير شرعي[١]، وهذا يعني أن الحظ والظروف معا تحالفا لصالحه، وهذا بدوره ساعده في أن يطالب بحقه ويحاول إثبات شرعيته وعلاقته بدم عثمان، وحق الأمويين في الخلافة، وغيرها من الأدلة والبراهين التي استعملها الأمويين في إثبات أحقيتهم، وسنتناول ذلك لاحقا.

وكان لموضوع نقل العاصمة من المدينة إلى الكوفة أثر في تعزيز موقف معاوية عند أهل الشام، وبالمقابل أُعتبر هذا مأخذا على الخليفة علي الذي نقل عاصمته عن المدينة التي فيها كبار الصحابة وأهل الحل والعقد، واختار الكوفة التي اشترك بعض أهلها في قتل الخليفة عثمان، وفوق ذلك انضمام أهل الكوفة إلى الخليفة علي الآن وهو يدافع عن حقه الشرعي، وهم في الأصل كانوا مشتركين في مقتل عثمان، دعم موقف معاوية وجعل أهل الشام يتجرأون في الهجوم على الخليفة علي[٢].

كما أن قبول الخليفة علي للتحكيم من الأساس[٣]، وعدم إطاعته عندما اختار عبدالله بن العباس ليمثله في التحكيم[٤]، وإجباره على تعيين أبي موسى الأشعري ممثلا له: "والله لا يحكم فيها مضريان حتى تقوم الساعة"[٥]، يعد بمثابة تنازل علي عن الخلافة حتى إعلان نتيجة التحكيم، وبذلك أصبح كأنه ينتظرنتيجة التحكيم التي سيتبيّن من خلالها هل سترد إليه خلافته أم ستنقلها لغيره، وهذا بالطبع أضعف موقف علي وعزز موقف خصمه معاوية[٦].

---

(١) جوبان، "دور قبائل يمن الشام في تأسيس الحكم الأموي"، ع٢٠١، ص ٥٧- ٩٤.

(٢) **المرجع نفسه**، ع٢٠١، ص ٥٧- ٩٤.

(٣) ابن قتيبة، **الإمامة والسياسة**، ج١، ص ١٤٥.

(٤) ابن أعثم الكوفي، **الفتوح**، ج٤، ص ١٩٨.

(٥) ابن مزاحم، **وقعة صفين**، ص ٥٠٠؛ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر (ت ٢٨٤هـ/ ٨٩٧م). **تاريخ اليعقوبي**. تحقيق: عبد الأمير مهنا، شركة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ٢٠١٠م، ج٢، ص ٩١. (سيشار إليه فيما بعد: اليعقوبي، **تاريخ**).

(٦) جوبان، "دور قبائل يمن الشام في تأسيس الحكم الأموي"، ع٢٠١، ص ٥٧- ٩٤.

بالإضافة إلى ما سبق، فإن اسم علي بن أبي طالب كتب في وثيقة التحكيم بدون لقب أمير المؤمنين[١]، وهذه النقطة تعني الإنتقاص من حق الخليفة علي السياسي، وفي الجانب الآخر انتصارا لمعاوية سياسيا؛ لأنها جعلت منه ندا للخليفة[٢].

وتشير المصادر إلى دور وتأثير الزعامات القبلية- لا سيما يمانية الشام- في انتقال الحكم للبيت الأموي، فقد كان مالك بن هبيرة بن خالد بن مسلم السكوني[٣] أول من بايع معاوية بالخلافة، وكان ممن بايع بعد ذلك سعيد بن الأسود بن جبلة الكندي، وذلك عند عودة معاوية إلى الشام بعد معركة صفين[٤]، وعلى الرغم من أن معاوية حينئذ كان لا يزال خليفة غير شرعي، إلا أن تأييد أهل الشام له بمبايعته بالخلافة أسهم بشكل أو بآخر في تسريع انتقال الحكم إلى البيت الأموي.

وبعد انعقاد مؤتمر التحكيم في أذرح وما آل إليه أمر الحكمين ونتيجة التحكيم، وعدم توصلهم إلى قرار يحسم النزاع نهائيا، لجأ معاوية إلى أسلوب استفزازي، حيث وجه حملات عسكرية بهدف السيطرة على بعض المناطق، فأرسل جيشًا إلى مصر سنة ٣٨هـ/ ٦٥٨م بقيادة عمرو بن العاص الذي استطاع السيطرة عليها، وكان والي مصر آنذاك محمد بن أبي بكر من قبل الخليفة علي[٥]، وأرسل معاوية حملات أخرى باتجاه بعض مناطق العراق سنة ٣٩هـ/ ٦٥٩م كالأنبار وهيت[٦] والموصل ونصيبين[١] وسنجار[٢]، ورغم أن تلك الحملات لم تستطع

---

(١) ابن مزاحم، **وقعة صفين**، ص ٥٠٨؛ ابن قتيبة، **الإمامة والسياسة**، ج١، ص ١٥١.

(٢) جوبان، "دور قبائل يمن الشام في تأسيس الحكم الأموي"، ع٢٠١، ص ٥٧- ٩٤.

(٣) هو أحد قادة الجيش الأموي، ويعد من زعماء القبائل اليمانية في الشام، وكان معاوية قد أرسله في شتاء سنة ٤٧هـ/ ٦٦٧م إلى أرض الروم. انظر: ابن عائذ، محمد الدمشقي (ت ٢٣٣هـ/ ٨٤٧م). **كتاب الصوائف (المستخرج)**. استخرجه: سليمان عبد الله السويكت. هذا البحث استخراجٌ لروايات مبثوثة في كتاب تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، المعلومات البيلوغرافية ص ١٢. (سيشار إليه فيما بعد: ابن عائذ، **كتاب الصوائف**)؛ الدينوري، **الأخبار الطوال**، ص ٢٢٤؛ الطبري، **تاريخ**، ج٥، ص ٢٧٤.

(٤) ابن حزم، أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي (ت ٤٥٦هـ/ ١٠٦٣م). **جمهرة أنساب العرب**. تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة، د ت، ص ٤٢٧. (سيشار إليه فيما بعد: ابن حزم، **جمهرة**)؛ جوبان، "دور قبائل يمن الشام في تأسيس الحكم الأموي"، ع٢٠١، ص ٥٧- ٩٤.

(٥) ابن تغري بردي، جمال الدين أبي المحاسن يوسف الأتابكي (ت ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م). **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**. تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، د ت، ج١، ص ١٤٢. (سيشار إليه فيما بعد: ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**).

(٦) بلدة من نواحي بغداد تقع على الفرات بقرب الأنبار. انظر: الحموي، شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله (ت ٦٢٢هـ/ ١٢٢٥م). **معجم البلدان**. دار صادر، بيروت، ١٩٧٧م، ج٥، ص ٤٢١. (سيشار إليه فيما بعد: الحموي، **معجم البلدان**).

السيطرة على أيا منها[٣]، ولكن معاوية حقق هدفه في تشتيت جهود الخليفة علي وإرباك وضعه بحكم قرب تلك المناطق من الكوفة عاصمة الخليفة[٤].

ومن التصرفات التي قام بها معاوية أيضا لإرباك خصمه الخليفة علي، أنه أرسل مندوبا ينوب عنه لإقامة شعائر الحج، وهو يزيد بن شجرة الرهاوي، وكان ذلك سنة ٣٩هـ/ ٦٥٩م[٥]، وطلب منه معاوية أن يأخذ البيعة له من الحجاج الذين يفدون من كل الأمصار الإسلامية، وبالمقابل أرسل الخليفة علي مندوبا عنه وهو عبدالله بن العباس، وأدى ذلك إلى إحداث إرباك للحجاج، لدرجة أن بعض الصحابة كأبي سعيد الخدري وغيره، اضطروا إلى التدخل لحل الإشكالية سلميا، وذلك عندما اقترحوا أن يقيم الحج طرف ثالث محايد، فاختاروا شيبة بن عثمان بن أبي طلحة بن عبيد الله[٦].

ونظرا لتوتر العلاقة بين الخليفة علي ومعاوية، فقد اتفقا على عقد هدنة بين الطرفين، يكون بمفادها العراق والحجاز وما يتبعهما للخليفة علي، وتكون الشام ومصر والمناطق التابعة لها لمعاوية، على أن لا يتعدى أحدهما على الآخر[٧].

وكان لهذا الاتفاق أبعاد سياسية مهمة أثرت في وصول معاوية للحكم فيما بعد؛ فعقد هذه الهدنة أو الإتفاقية يعد اعتراف بمعاوية ندًا للخليفة علي بن أبي طالب، وبمثابته أصبح لمعاوية وهو الأمير سلطة وصلاحية كالخليفة وكأنه خليفة ثان، كما أن اعتراف علي- وهو الخليفة الشرعي- لمعاوية بمصر والشام يعد نصرًا لمعاوية، وتعزيزًا لموقفه، وتأكيدًا لطموحه السياسي في الحصول على الخلافة، هذا فضلا عن أن الدولة انقسمت بموجب تلك الهدنة إلى قسمين: قسم يحكمه الخليفة الشرعي علي بن أبي طالب، وقسم آخر يحكمه معاوية الأمير[٨]، ولا يمكن إغفال

---

(١) من بلاد الجزيرة الفراتية تقع على شاطئ الفرات. انظر: الحموي، **معجم البلدان**، ج٥، ص ٢٨٨؛ ياسين، محمد نجمان. **أرض الصوافي**. دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٤م، ص ٩٦. (سيشار إليه فيما بعد: ياسين، **أرض الصوافي**).

(٢) مدينة مشهورة من نواحي الجزيرة الفراتية. انظر: الحموي، **معجم البلدان**، ج٣، ص ٢٦٢.

(٣) ابن الأثير، أبي الحسن علي بن محمد الشيباني الجزري (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م). **الكامل في التاريخ**. تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠١٢م، ج٣، ص ٢٤٤. (سيشار إليه فيما بعد: ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**).

(٤) جوبان، "دور قبائل يمن الشام في تأسيس الحكم الأموي"، ع٢٠١، ص ٥٧- ٩٤.

(٥) ابن خياط، **تاريخ**، ص ١٩٨.

(٦) ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج٤، ص ٢٤٦.

(٧) الطبري، **تاريخ**، ج٥، ص ١٤٠.

(٨) جوبان، "دور قبائل يمن الشام في تأسيس الحكم الأموي"، ع٢٠١، ص ٥٧- ٩٤.

ما كان لهذا التقسيم من أثر على التطورات السياسية في تاريخ الدولة الأموية لاحقا، وخصوصا تلك التطورات المتعلقة بالمعارضة السياسية والحزبية الإقليمية فيما بعد.

وظل الوضع السياسي متوترا بين الطرفين رغم الاتفاق، وذلك لأن معاوية لم يلتزم بالاتفاق، فقد أرسل معاوية بسر بن أبي أرطأة[١] على رأس جيش سنة ٤٠هـ/ ٦٦٠م إلى الحجاز واليمن، وقال له: "سر حتى تمر بالمدينة، فاطرد أهلها، وأخف من مررت به، وانهب مال كل من أصبت له مالا ممن لم يدخل في طاعتنا، وأوهم أهل المدينة أنك تريد أنفسهم، وأنه لا براءة لهم عندك، ولا عذر، وسر حتى تدخل مكة، ولا تعرض فيها لأحد، وارهب الناس فيما بين مكة والمدينة، واجعلهم شرادات، ثم امض حتى تأتي صنعاء، فإن لنا بها شيعة، وقد جاءني كتابهم"[٢]، فخرج بسر وتمكن من أخذ البيعة لمعاوية من أهل المدينة ومكة، أما بالنسبة لليمن فكان عليها عبيد الله بن العباس، وما إن سمع بقدوم جيش بسر بن أرطأة حتى هرب من اليمن، مما استدعى الخليفة علي أن يرسل جيشًا بقيادة جارية بن قدامة السعدي لاستعادة اليمن، ونجح في ذلك[٣].

وفي تلك الأثناء قُتل الخليفة علي بن أبي طالب على يد عبد الرحمن بن ملجم سنة ٤٠هـ/ ٦٦١م، وبويع الحسن بن علي بالخلافة، وما لبث الحسن أن تنازل لمعاوية عن الخلافة بشروط اشترطها[٤]؛ حقنا لدماء المسلمين، وعلى إثر ذلك دخل معاوية الكوفة، وبويع له فيها بالخلافة، وسمي ذلك العام بعام الجماعة[٥].

---

(١) بسر بن أبي أرطأة، أحد قادة العصر الأموي، من رجال معاوية، شهد فتح مصر وولاه معاوية على البصرة بعد مقتل علي وصلح الحسن، غزا الروم وبلغ القسطنطينية، توفي في دمشق وقيل المدينة سنة ٨٦هـ/ ٧٠٥م. انظر: الزركلي، **الأعلام**،ج٢، ص ٥١.

(٢) اليعقوبي، **تاريخ**، ج٢، ص ٩٩.

(٣) **المصدر نفسه**، ج٢، ص ٩٩.

(٤) الدينوري، **الأخبار الطوال**، ص ٢١٨.

(٥) ابن خياط، **تاريخ**، ص ٢٠٣.

الفصل الأول

سلطات وصلاحيات الخليفة في العصر الأموي

٤١- ٦٤هـ/ ٦٦١- ٦٨٤م

أولا: مفهوم السلطة في الإسلام.

ثانيا: الشرعية وسلطة الخليفة الأموي.

ثالثا: مستويات صنع القرار واتخاذه في الدولة الأموية.

الفصل الأول

سلطات وصلاحيات الخليفة في العصر الأموي

٤١- ٦٤هـ/ ٦٦١- ٦٨٤م

نتجت أحداث الفتنة التي راح ضحيتها الخليفة عثمان بن عفان عن خلافات شبت بين فئتين من المسلمين، إحداها يمثلها الخليفة علي بن أبي طالب الذي بويع من قبل جماعة المسلمين[١]، والأخرى يتزعمها معاوية بن أبي سفيان بن حرب الذي حمل قميص عثمان المقتول مطالبا بدمه[٢]، وساعيا إلى تحقيق طموحات سياسية لا يمكن أن تتحقق بالشرعية التي تتطلبها الظروف والأحوال في الدولة الإسلامية آنذاك، ما لم يحمل معاوية قميص ابن عمه المقتول ظلما، فقد استخدم معاوية لزمن طويل الأخذ بالثأر من قتلة عثمان ذريعة قوية للخروج على الخليفة علي بن أبي طالب[٣]، وبذلك تبلورت قضية الفتنة في التاريخ الإسلامي، وظهرت على الواقع آنذاك مستجدات جديدة تعد نواة للحزبية السياسية والمذهبية الدينية[٤] في التاريخ الإسلامي.

ومن تلك المستجدات التي يمكن التطرق لها: انقسام المسلمين إلى فرق تلتف حول شخصيات تحت ظل الدولة الواحدة، وهو ما لم يحدث بتاتاً قبل ذلك، فقد ظهر مفهومي "الشيعة"[٥] و"الأنصار"[١] بصورة واسعة كلما حضر اسمي علي ومعاوية، وظهرت فيما بعد

---

(١) الطبري، **تاريخ**، ج٤، ص ٤٢٧.

(٢) ابن سعد، **الطبقات**، ج٦، ص ٣٤؛ ابن خلدون، عبد الرحمن (ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٦م). **تاريخ ابن خلدون.** تحقيق: خليل شحادة وسهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٠م، ج٢، ص ٦٢٥. (سيشار إليه فيما بعد: ابن خلدون، **تاريخ**).

(٣) الطبري، **تاريخ**، ج٤، ص ٥٦٠؛ الملاح، هاشم يحيى. "أساليب تداول السلطة في الدولة العربية الإسلامية". **مجلة آداب الرافدين**، ١٩٧٦م، ع٧، ص ٧- ٣٣. (سيشار إليه فيما بعد: الملاح، "أساليب تداول السلطة").

(٤) انظر: الشهرستاني، أبي الفتح محمد عبد الكريم بن أبي بكر (ت ٥٤٨هـ/ ١١٥٣م). **الملل والنحل.** تحقيق: عبد العزيز محمد الوكيل، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٦٨م، ج١، ص ١٤٦. (سيشار إليه فيما بعد: الشهرستاني، **الملل والنحل**)؛ جعيط، هشام. **الفتنة.** ترجمة: خليل أحمد خليل، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠٠٠م، ص ٥٥. (سيشار إليه فيما بعد: جعيط، **الفتنة**).

(٥) الشهرستاني، **الملل والنحل**، ج١، ص ١٤٦؛ الصدر، السيد محمد باقر. **نشأة التشيّع والشيعة.** تحقيق: عبد الجبار شراره، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، بيروت، ١٩٩٣م، ص ٩٢. (سيشار إليه فيما بعد: الصدر، **نشأة التشيع**)؛ الغامدي، أحمد بن سعد بن حمدان. **التشيع نشأته ومراحل تكوينه.** دار الفوائد، مكة المكرمة، ٢٠١٠م، ص ٢٢. (سيشار إليه فيما بعد: الغامدي، **التشيع**).

شخصيات معارضة كلها تتبع نفس المرجعية السياسية والفكرية، ولكنها تخالفهم في بعض الجوانب المتعلقة بالخلافة والسلطة مما أعطاها دافعا للخروج عليها، فظهرت شخصيات الحسين بن علي وعبدالله بن الزبير[٢]، هذا فضلا عن الشخصية التي تمسك بزمام الأمور عامة كمعاوية بن أبي سفيان أو يزيد بن معاوية وغيرهما.

وبهذا يمكن القول أن معاوية هو أول من سن سنة الخروج على الجماعة في الإسلام، لأنه كان معترضا على خلافة علي[٣]، وبعدها ظهرت فكرة الحزبية والمذهبية في الإسلام[٤]، والقصد مما سبق أن هذه الطريقة التي مثلها معاوية أدت إلى ظهور أشخاص نهجوا نفس النهج في الخروج على الجماعة الإسلامية، مع تمسكهم بنفس الشروط العامة التي قامت عليها دولة الإسلام سواء في مجال الدين أو السياسية، ولهذا نجدهم يجتمعون جميعا في موسم الحج حاملين كل لواءه[٥] ومحتفظين بالسلم المؤقت الذي تفرضه حرمة الزمان والمكان، وهذا يؤكد أنهم متفقين في الخطوط العريضة، ولكن نقطة الخلاف بينهم يمكن تضييقها في مسألة (الأحقية والشرعية).

ويعد موضوع الأحقية من المواضيع التي نوقشت بإسهاب في تاريخ الفكر السياسي الإسلامي، فقد ظل موضوع الأحقية بالخلافة والأولوية في تولي السلطة في الإسلام يراود العقل

---

(١) على الرغم من أن مفهومي "الشيعة" و"الأنصار" مترادفان لغويا، إلا أن مفهوم الشيعة ارتبط بعلي على امتداد العصور التاريخية سواء أكان هذا الارتباط سياسيا أم عقائديا كما هو الحال في يومنا هذا، في حين أن مفهوم الأنصار الأكثر شيوعا عندما يتعلق الأمر بمعاوية، وربما ذلك لأجل تمييز شيعة علي عن شيعة معاوية من وجهة نظر الباحثة، لأنه بمجرد أن تقع العين على كلمة شيعة يتبادر إلى ذهن القارئ شيعة علي، وكأن المفهوم تطور ليرتبط بعلي أكثر من غيره وإن كان الأصل اللغوي واحد. انظر: الفراهيدي، الخليل بن أحمد (ت ١٧٠هـ/ ٧٨٦م). **كتاب العين.** تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣م، ج٢، ص ٣٧٢. (سيشار إليه فيما بعد: الفراهيدي، **العين**)؛ ابن منظور، أبي الفضل جمال الدين محمد بنت مكرم الأنصاري (ت ٧١١هـ/ ١٣١١م). **لسان العرب.** تحقيق: عبدالله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، د ت، مج٤، ص ٢٣٧٧. (سيشار إليه فيما بعد: ابن منظور، **لسان العرب**)؛ الغامدي، **التشيع**، ص ٢٢.

(٢) بن حسين، بثينة. **الفتنة الثانية في عهد الخليفة يزيد بن معاوية.** منشورات الجمل، بيروت، ٢٠١٣م، ص ٣٧. (سيشار إليه فيما بعد: بن حسين، **الفتنة الثانية**).

(٣) انظر: الطبري، **تاريخ**، ج٤، ص ٤٤٤.

(٤) انظر: الشهرستاني، **الملل والنحل**، ج١، ص ١٤٦؛ جعيط، **الفتنة**، ص ٥٥.

(٥) ففي سنة ٦٨هـ/ ٦٨٧م وقفت أربعة ألوية بعرفة: لواء محمد بن الحنفية في أصحابه، ولواء نجدة بن عامر الحنفي زعيم الخوارج النجدات، ولواء بني أمية، ولواء ابن الزبير في أصحابه. للمزيد من التفاصيل حول ذلك. انظر: ابن سعد، **الطبقات**، ج٧، ص ١٠٤؛ اليعقوبي، **تاريخ**، ج٢، ص ١٨٠؛ العارضي، وجدان فريق عناد. **إمارة الحج في الدولة العربية الإسلامية ٨- ١٣٢هـ/ ٦٢٩- ٧٥٠م.** دار أمجد للنشر والتوزيع، عمّان، ٢٠١٦م، ص ١٥٥. (سيشار إليه فيما بعد: العارضي، **إمارة الحج**).

والمخيلة العربية منذ بدايات القرن الهجري الأول وحتى يومنا هذا. حقيقة الأمر أن موضوع الصراع على الرئاسة الدينية والسياسية في أرض الإسلام ليس وليد الإسلام، بل يمتد إلى فترة ليست بقريبة عهد بالإسلام(١)، ولكن أن تكون تلك الزعامة أو الرئاسة مبنية على الأحقية المدعومة بالشرعية، فهذا الأمر ارتبط ارتباطا كبيرا بالسلطة في الإسلام.

مثلت قضية السلطة، والشرعية التي تقوم عليها، هاجسا(٢) شغل المسلمين، وهذا الهاجس أعطى هذه القضية بُعدا تاريخيا عميقا؛ فقد اختلفت الشرعية من ظروف سياسية لأخرى في الدولة الإسلامية، فهناك جماعة تربطها بالأحقية التي تقوم على القرابة (النسب والدم) من النبي وآل بيته(٣)، وجماعة أخرى تراها من ناحية الأحقية التي تستند على العدالة والتقوى والشورى والسابقة وخدمة الإسلام، وهناك جماعة ثالثة تراها تستند على مبادئ جبرية متعلقة بخلافة الله في الأرض(٤)، وهكذا تعددت أنماط السلطة في الدولة الإسلامية، والتي نتجت عن أفكار ومبادئ آمنت بها الفرق والجماعات، وتلك الأفكار تستند إلى قناعات صوّرها لهم منظّري ورواد الجماعة التي ينتمون إليها(٥).

أولا: مفهوم السلطة في الإسلام:

يعد مفهوم "السلطة" من أكثر المفاهيم "عسرا على التحديد" كما تصفه عمامو، وتبرر ذلك بأن مسألة العلاقة بين السلطة والشرعية في نظام الحكم المبكر في الإسلام، تجعل الباحث

---

(١) انظر: ابن حبيب، أبي جعفر محمد الهاشمي البغدادي (ت ٢٤٥هـ/ ٨٥٩م). **المحبّر**. تحقيق: إيلزه ليختن شتيتر، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ١٩٤٢م، ص ١٦٥. (سيشار إليه فيما بعد: ابن حبيب، **المحبّر**)؛ المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤٢م). **النزاع والتخاصم فيما بين بني أمية وبني هاشم.** تحقيق: حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٨م، ص ٣٨. (سيشار إليه فيما بعد: المقريزي، **النزاع والتخاصم**)؛ فوزي، فاروق عمر. **الخلافة الأموية.** دار الشروق، عمّان، ٢٠٠٩م، ص ٥٢. (سيشار إليه فيما بعد: فوزي، **الخلافة الأموية**).

(٢) انظر: عمامو، حياة. **السلطة وهاجس الشرعية في صدر الإسلام.** التنوير للطباعة والنشر، تونس، ٢٠١٤م، ص ٦. (سيشار إليه فيما بعد: عمامو، **السلطة وهاجس الشرعية**).

(٣) ابن قتيبة، **الإمامة والسياسة**، ج١، ص ٢٨؛ الطبري، **تاريخ**، ج٣، ص ٢٢٠.

(٤) عبد الجبار، عماد الدين القاضي (ت ٤١٥هـ/ ١٠٢٥م). **فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة ومباينتهم لسائر المخالفين.** تحقيق: فؤاد سيد، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٧٤م، ص ١٤٣. (سيشار إليه فيما بعد: عبد الجبار، **فضل الاعتزال**)؛ نوري، موفق سالم. "تحولات مفهوم السلطة السياسية في الدولة الإسلامية". **مجلة أكاديمية المملكة المغربية**، ٢٠٠٣م، ع٢٠، ص ١٩٧- ٢٢٥. (سيشار إليه فيما بعد: نوري، "التحولات").

(٥) الملاح، "أساليب تداول السلطة"، ع٧، ص ٧- ٣٣.

يقف أمام جملة من "إشكاليات تحديد المفاهيم" التي لا يبدو الخوض فيها سهلا ولا مضمون النتائج[١]. وقد عبر فوكو M. Foucault عن مفهوم السلطة بأنها "علاقات القوى المتعددة"[٢].

والسلطة في اللغة من الفعل سلط، وتعنى الحُكم والسيطرة والقوة والغلبة، والسُّلطان هو الحُجَّةُ والبُرهان وقدرة المِلِك، والسُّلطانُ إنما سمي سُلطانا، لأنه حُجةُ الله في أرضه[٣].

والسلطة بمعناها الواسع تعني شكل من أشكال القوة، فهي الوسيلة التي من خلالها يستطيع شخص ما التأثير في سلوك شخص آخر، وبما أن القوة- بطبيعتها- نسبية ومتحولة بصورة دائمة وغير مستقرة[٤]، فهي بذلك تختلف عن السلطة في الوسائل المتباينة التي من خلالها يتحقق الإذعان والطاعة؛ فإذا كانت القوة هي القدرة على التأثير على سلوك الآخرين، فإن السلطة تعني الحق في القيام بذلك، لذا يمكن القول أن القوة تعني الحكم والسلطة هي الحق في الحكم[٥].

ومما سبق يمكن القول أن هذه الدراسة تهدف إلى تحديد وتتبع والكشف عن أثر القوة (الحكم) في السلطة (الحق في الحكم)، وذلك باعتبار أن القوى الرسمية وغير الرسمية والعوامل التي سنتناولها فيما يلي تعد بمثابة الأحكام والقوانين التي تفرض على السلطة، ورغم أن السلطة تمتلك الأحقية في الحكم والصلاحيات في ذلك، ولكن تلك القوى قد تحكم تلك الأحقية وبالتالي تؤثر فيها أو تحد منها أو توجهها نحو أهداف معينة.

وتتنوع السلطة في معانيها ودلالاتها باختلاف مواضع استخدامها؛ فهي شخصية وفردية للإشارة إلى ما يمتلكه الشخص من صلاحيات، كما تستخدم مرات أخرى للتعبير عن وظائف

---

(١) عمامو، **السلطة وهاجس الشرعية**، ص ٦- ٧.

(٢) فوكو، ميشيل. "في السلطة". ترجمة: عبد السلام بنعبد العالي، **مجلة الفكر العربي المعاصر**، مركز الإنماء القومي، بيروت، ع ٣٣، ١٩٨٥م، ص ٦١- ٦٣. (سيشار إليه فيما بعد: فوكو، "في السلطة")؛ دلموز، جيل. **المعرفة والسلطة: مدخل لقراءة فوكو.** ترجمة: سالم يفوت، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٨٧م، ص ٧٨. (سيشار إليه فيما بعد: دلموز، **المعرفة والسلطة**).

(٣) ابن منظور، **لسان العرب**، مج٣، ص ٢٠٦٥؛ مسعود، جبران. **الرائد.** ط٧، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٢م، ص ٤٤٧. (سيشار إليه فيما بعد: مسعود، **الرائد**)؛ عبد الجليل، رعد. "مفهوم السلطة السياسية: مساهمة في دراسة النظرية السياسية". **مجلة دراسات دولية**، مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية- جامعة بغداد، ٢٠٠٨م، ع٣٧، ص ١١٩- ١٤٤. (سيشار إليه فيما بعد: عبد الجليل، "مفهوم السياسة").

(٤) عبد الجليل، "مفهوم السياسة"، ع٣٧، ص ١١٩- ١٤٤.

(٥) النائب، احسان عبد الهادي. مفهوم السلطة وشرعيتها: إشكالية المعنى والدلالة. **أعمال المؤتمر العلمي الدولي الأول: رضا الناس هو مصدر لشرعية الحكومات**، د م، مايو، ٢٠١٧م، ص ٦٣- ٨٠. (سيشار إليه فيما بعد: النائب، مفهوم السلطة).

معينة للدولة، فهناك سلطة تشريعية وسلطة تنفيذية وسلطة قضائية. والسلطة علاقة إنسانية بين أطراف مشتركة، وكذلك علاقة تنظيمية بقدر ما يحمله تنظيم معين من أدوار واختصاصات من أجل تحقيق وظائف أو أغراض معينة(١).

وبما أن مفهوم السلطة قد يختلف من مجتمع لآخر، ومن تقاليد سياسية لأخرى، فقد تعددت تعريفات السلطة في الاصطلاح وفقا للغرض والدور الذي يقصد به، وبعد الاطلاع على جملة من التعريفات يمكن القول أن السلطة اصطلاحا هي: القوة الطبيعية أو الحق الشرعي في التصرف وإصدار الأوامر في مجتمع ما أو القوة والقدرة التي تمكِّن من السيطرة على الناس، والضغط عليهم ورقابتهم، للحصول على طاعتهم، وتوجيه جهودهم نحو نواح معينة(٢).

وعودا إلى مسألة العلاقة بين السلطة والشرعية جدير بالذكر أن الشرعية هي التي تبرر الخوض والطاعة لقوة السلطة، ولأن السلطة "لا بد أن تُطاع"، فإنها يجب أن تكون ذات طابع أخلاقي ومعنوي، وتقوم على أحقية وشرعية(٣).

وقد أرجعت عمامو التعقيد في العلاقة بين السلطة والشرعية في صدر الإسلام إلى اختلاف السلطة في فترة الخلافة الراشدة عنها في الفترة الأموية، وذلك لأن مفهوم السلطة في الفترة الأولى تضمن معنى القيادة والرئاسة غير أنه افتقد إلى معنى الهيمنة والقوة وفرض الطاعة، وذلك لغياب الوسائل التي من شأنها تكريس ذلك، وبدأت تلك الوسائل تبرز مع قيام الدولة الأموية(٤).

وتعقيبا على ذلك، نرجح أن يكون ذلك الاختلاف في معنى السلطة في فترة الخلافة الراشدة عنه في الفترة الأموية، بسبب اختلاف الطريقة التي وصل بها الخلفاء الراشدين إلى الحكم، عن النهج الذي سار عليه معاوية كي يصل إلى السلطة ومن ثم يبقيها في أسرته، فقد كان وصول الراشدين للحكم بشكل أقرب للمفاجأة التي حتمتها الظروف كوفاة النبي- صلى الله عليه وسلم- وإمامة أبوبكر الصديق- رضي الله عنه- المسلمين في الصلاة أثناء مرضه، فقد توفي النبي- صلى الله عليه وسلم- سنة ١١هـ/ ٦٣٢م، ولم يستخلف من بعده أحد بصورة مباشرة،

---

(١) عبد الجليل، "مفهوم السياسة"، ع٣٧، ص ١١٩- ١٤٤.

(٢) الطبيب، مولود زايد. **علم الاجتماع السياسي.** جامعة السابع من أبريل، بنغازي، ٢٠٠٧م، ص ٧٦. (سيشار إليه فيما بعد: الطبيب، **علم الاجتماع).**

(٣) النائب، مفهوم السلطة، ص ٦٣- ٨٠.

(٤) عمامو، **السلطة وهاجس الشرعية،** ص ١٢.

وأشارت الروايات[1] إلى أن النبي- صلى الله عليه وسلم- أمر أبا بكر أن يصلي بالناس في فترة مرضه الأخير، وبذلك استشف المسلمون أنه- عليه الصلاة والسلام- يقدم أبا بكر الصديق لخلافة المسلمين من بعده، ولكنه لم يفرض عليهم هذا الخيار بل ترك الأمر شورى للمسلمين.

وكذلك عندما أحس أبوبكر الصديق- رضي الله عنه- بدنو أجله واختياره لعمر بن الخطاب تعيينا مباشرا بعد استشارة الصحابة[2]، وقصة الشورى بالنسبة لاختيار عثمان بن عفان، وأيضا اتفاق المسلمين على بيعة علي بن أبي طالب بعد مقتل عثمان، والملحوظ أن ذلك كله حدث دون أن يكون لدى واحد منهم وقت كاف لأن يطمع أو يرجو لنفسه الوصول إلى الحكم، هذا فضلا عن أن تكوين وطبيعة شخصيات الخلفاء الأربعة كان نموذجيا وأقرب للمثالية التي من اللامعقول أن يكون لهم أي مطمع في أمر من أمور الدنيا كالحكم؛ فالحكم من وجهة نظرهم أمانة ومسؤولية وتكليف أكثر من تشريف ومطمح من مطامحهم.

هذا طبعا بخلاف معاوية بن أبي سفيان الذي عاش في بلاد الشام، وتعامل مع الزعامات القبلية، وتعرف على حضارة الروم وطقوسهم بحكم قرب بلاد الشام من الحدود البيزنطية، بالإضافة إلى عوامل أخرى كمجيئ معاوية من بيت زعامة في قريش، وطبيعة شخصية أبي سفيان ومقامه في مكة، وغيرها من الظروف التي جعلت معاوية ينهج نهج مدروس منذ زمن ساعيا وطامعا في أن يكون على رأس السلطة في الدولة الإسلامية يوما ما؛ لذا نفسر اختلاف وتدرج معنى السلطة في الخلافة الراشدة عنها في الخلافة الأموية، من القيادة والرئاسة كتكليف فرضته الظروف وأجمعت عليه مصلحة المسلمين إلى الهيمنة والقوة وفرض الطاعة والرغبة في مُلك الدنيا.

أضف إلى ذلك، أن مفهوم السلطة في صدر الإسلام اختلف في أمر التداول، فلم يكن تداول السلطة في فترة التأسيس كما هو الحال في الفترات اللاحقة من تاريخ الدولة الإسلامية، فقد كانت سلطة الرسول- صلى الله عليه وسلم- سلطة نبوّة، بينما كانت سلطة الخليفة أبي بكر الصديق سلطة خلافة، والفرق بين السلطتين: القرآن، فقد تميزت سلطة النبوة عن سلطة الخلافة بـ (الوحي)[3]، وقد ورد أن أبي بكر الصديق- رضي الله عنه- رفض لقب "خليفة الله" ولم يقبل

---

(١) ابن قتيبة، **الإمامة والسياسة**، ج١، ص ٢٠؛ الطبري، **تاريخ**، ج٣، ص ١٩٦.

(٢) الطبري، **تاريخ**، ج٣، ص ٤٢٨.

(٣) جودة، جمال. "الخلافة في صدر الإسلام". **مجلة جامعة النجاح للأبحاث- العلوم الإنسانية**، فلسطين، ٢٠٠٤م، مج١٨، ع١، ص ٥١- ٨٢. (سيشار إليه فيما بعد: جودة، "الخلافة").

إلا أن يُنادى بـ "خليفة رسول الله"[١]، في حين نجد الخليفة عمر بن الخطاب يتلقب بلقب "أمير المؤمنين"[٢]، وهذا مستند على أساس أنه أميرا على جمهور المؤمنين بالإسلام[٣].

ولا بد من التعريج هنا على أن الروايات صورت لقب الخلافة وكأنه الأصل، ولقب الإمارة وهو المستحدث، إلا أن هذا لا يمكن قبوله تاريخيا، لأن العكس هو الصحيح، وذلك لأن عمر بن الخطاب استحدث مصطلح "أمير المؤمنين" ليحل محل مصطلح "أمير الجماعة"، وهذا أمر طبيعي يتناسب مع التطورات السياسية التي حدثت في الدولة الإسلامية[٤].

وتتمثل نقطة الاختلاف[٥] بين لقبي "خليفة"[٦] و"أمير المؤمنين" في أن الأول يؤكد على العلاقة بين صاحب السلطة الإسلامية ومؤسس عقيدة الدين الإسلامي بوصفه رسول الله، فيكون بذلك خليفته الذي وجب على المؤمنين طاعته، في حين أن لقب أمير المؤمنين يعبر عن أن صاحب السلطة الإسلامية هو القائد العسكري الأعلى وعلى رأس الإدارة المدنية[٧].

وجدير بالقول أن الخليفتين الثالث والرابع عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب تلقبا بلقب "الإمام"، وهو لقب يوحي بمهام الخليفة الدينية بوصفه قائد المسلمين الذي يؤمهم في الصلاة الجامعة[٨]. وتستدل دراسة عمامو على أن عثمان أول من تلقب بلقب الإمام في الإسلام بما جاء في قول علي لعثمان في حادثة الدار: "وأحذّرك أن تكون إمام هذه الأمة المقتول..."[٩]، وأيضا إلى ما جاء في الكتاب الذي اختلقه معاوية في أنه بعث به إليه قيس بن سعد والي علي على

---

(١) ابن سعد، **الطبقات**، ج٣، ص ١٦٨؛ البلاذري، **أنساب الأشراف**، ج١، ص ٥٢٩؛ جودة، "الخلافة"، مج١٨، ع١، ص ٥١- ٨٢؛ عمامو، **السلطة وهاجس الشرعية**، ص ١٢.

(٢) ابن سعد، **الطبقات**، ج٣، ص ٢٦٢؛ ابن الجوزي، أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت ٥٩٧هـ/ ١٢٠١م). **مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب**. تحقيق: حلمي محمد إسماعيل، دار ابن خلدون، الإسكندرية، ١٩٩٦م، ص ٦٠. (سيشار إليه فيما بعد: ابن الجوزي، **مناقب عمر بن الخطاب**).

(٣) ابن سعد، **الطبقات**، ج٣، ص ٢٦٢؛ عمامو، **السلطة وهاجس الشرعية**، ص ١٩.

(٤) جودة، "الخلافة"، مج١٨، ع١، ص ٥١- ٨٢.

(٥) عمامو، **السلطة وهاجس الشرعية**، ص ٢٧.

(6) Pay, Salih, "The Journey of Caliphate from 632 to 1924", **International Journal of Business and Social Science,** 2015 AD, Vol. 6, No. 4, P. 107- 117. (It's will be pointed to later: Pay, "The Journey of Caliphate").

(7) Arnold, Sir. T.W., **The Caliphate,** The Clarendon Press, Oxford, 1924 AD, P. 39. (It's will be pointed to later: Arnold, **The Caliphate**).

(٨) عمامو، **السلطة وهاجس الشرعية**، ص ٢٢.

(٩) الطبري، **تاريخ**، ج٤، ص ٣٣٧.

مصر؛ ليربك العلاقة بينهما: "فإني لما نظرت رأيت أنه لا يسعنى مظاهرة قوم قتلوا إمامهم مسلما مُحرما برّا تقيا، فنستغفر الله عز وجلّ لذنوبنا، ونسأله العصمة لديننا. ألا وإني قد ألقيت إليك بالّسلم، وإني أجبتك إلى قتال قتلة عثمان، إمام الهدى المظلوم"[١].

كما أرجعت عمامو عدم استعمال هذا اللقب بكثرة مع الخليفة عثمان بالمقارنة مع الخليفة علي بن أبي طالب إلى ظروف الأزمة التي عاشها الأول في فترة خلافته والتي أدت إلى مقتله، وأيضا ترى أن علي نودي بهذا اللقب كثيراً؛ لأجل التحريض على بيعته التي تخلف عنها الكثير من الناس رغم خصاله وعمق شرعيته التي لا تضاهيها شرعية أيّ من كان[٢].

جدير بالذكر أن كل الأدلة التي أوردتها عمامو تصور لنا تطور اللقب في تاريخ الدولة الإسلامية، إلا أنها لا يمكن اعتبارها دليلا قطعيا على أن لقب الإمام أُستخدم حقا في تلك الفترة من تاريخ الدولة الإسلامية، فقد يكون ذلك نوع من الدعاية السياسية من قبل الأمويين بالنسبة لعثمان، وكذلك ربما يكون بسبب ما يتضمنه هذا اللقب من معنى ديني وبالتالي استخدم لأغراض الشرعية وإثبات الأحقية، وأيا كان الغرض فليس من الضرورة قبول ذلك على أنه حقيقة مسلّم بها تماما.

وقد أشار الأخطل[٣] - شاعر بني أمية- في بيت من أبياته إلى أن الخليفة عثمان بن عفان تلقب لقب الإمام[٤]:

هُـــمُ سَعَوا بِابنِ عَفّانَ، الإمـــامِ، وَهُم   بَعدَ الشِماسِ[٥] مَرَوها[٦]، ثُمَّتَ اِحتَلَبوا

(بحر البسيط)

(١) البلاذري، **أنساب الأشراف،** ج٣، ص ١٦٣؛ الطبري، **تاريخ،** ج٤، ص ٥٥٣.

(٢) عمامو، **السلطة وهاجس الشرعية،** ص ٢٢.

(٣) هو غياث بن غوث بن الصلت التغلبي، توفي سنة ٩٢هـ/ ٧١٠م، اتخذه الخليفة عبد الملك بن مروان (٦٥-٨٦هـ/ ٦٨٤- ٧٠٦م) شاعر بني أمية. انظر: ابن عساكر، **تاريخ دمشق،** ج٤٨، ص ١٠٥؛ عثمان، معتصم شرف الدين محمد علي. **الشعر السياسي في العصر الأموي.** رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، أم درمان، ٢٠١٨م، ص ١٨. (سيشار إليه فيما بعد: عثمان، **الشعر السياسي**).

(٤) الأخطل، غياث بن غوث (ت ٩٢هـ/ ٧١٠م). **شعر الأخطل.** تحقيق: فخر الدين قباوة، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٦م، ص ٧١. (سيشار إليه فيما بعد: الأخطل، **شعر**).

(٥) الشماس: النفور والإستعصاء ويقصد بها الفتنة. انظر: **المصدر نفسه،** ص ٧٢.

(٦) مروها: مسحوا ضرعها للحلب. انظر: **المصدر نفسه،** ص ٧٢.

وإن كان لقب إمام- من وجهة نظر عمامو- صار متطابقا إلى حد كبير فيما بعد مع لقب "خليفة الله"، وذلك لأن استعماله تطور في فترات إسلامية لاحقة حتى صار يتضمن معنى القداسة والعظمة والمكانة فوق البشرية عند بعض الفرق الإسلامية[١]، وهو مما لا تتطلبه الحاجة هنا للتطرق إليه.

وبعد ذلك تطور مفهوم السلطة إلى معنى (الحكم المطلق) الذي يستمد نفوذه من الله بوصف القائم عليه "خليفة الله"، ومن هذا المنطلق يتوجب الإجماع على بيعته وطاعته طاعة مطلقة حتى في اختيار من سيتولى الأمر من بعده[٢].

ويرى جودة أن وجود أهل الذمة كرعايا في الدولة الإسلامية كان له دور في تعميق دلالة لقب "خليفة الله"، فقد كان القياصرة والأكاسرة في القرن السادس الميلادي، يؤكدون دائما على فكرة الجبر وأنهم يستمدون سلطاتهم من خلال مشيئة الرب، وأن الله هو الذي اختارهم لهذا المنصب دون الناس، وأن أفعالهم صادرة عن إرادة الله ومشيئته[٣].

وحقيقة أن السلطة العامة في الإسلام أُصطلح عليها بـ "الحاكمية"، ودليل ذلك الكثير من آيات القرآن الكريم التي تزيد على مائتي آية، وفي مقدمتها قوله تعالى: {إن الحكم إلا لله}[٤]. وتعني الحاكمية: نزع جميع سلطات الأمر والنهي وعموم التشريع من أيدي البشر منفردين أو مجتمعين، ليكون ذلك من اختصاص الله وحده، وإن الحاكم يمارس سلطة الله بوصفه وكيلا ومؤتمنا عليها، بحيث لا تتجاوز هذه المهمة حدود تطبيق شرع الله تطبيقا غير مخل ولا محرف، دون أن يضفي عليه أي صفات ذات طبيعة قدسية أو الادعاء بأنه يحكم بموجب حق إلهي مطلق[٥].

وتتجلى الحاكمية الإلهية أيضا في السلطتين السياسية والقضائية، فهي معبرة عن سيادة الله تعالى، وهي بمفهوم أكثر شمولا: "نزع السلطان الذي يزاوله الكهان ومشيخة القبائل والأمراء

---

(١) عمامو، **السلطة وهاجس الشرعية**، ص ٢٦.

(٢) **المرجع نفسه**، ص ٥: ٧.

(٣) جودة، "الخلافة"، مج١٨، ع١، ص ٥١- ٨٢.

(٤) القرآن الكريم، **سورة يوسف:** الآية ٤٠.

(٥) نوري، "تحولات"، ع٢٠، ص ١٩٧- ٢٢٥.

والحكام، والسلطان على الضمائر، والسلطان على العشائر، والسلطان على واقعيات الحياة، والسلطان في المال، والسلطان في القضاء، والسلطان في الأرواح والأبدان... ورده إلى الله"[١].

وكانت السلطة في العصر الأموي ملكية بصورة واضحة جدا، وإن كانت تحتفظ بالتقاليد العربية في السيادة القبلية، إلا أنها لم تبرز فيها الرمزية الدينية بشكل ملحوظ كما هو الحال في العصر العباسي[٢] مثل: ارتداء البُردة، والتلقب بالألقاب ذات الدلالات الدينية مع تسويق مبدأ التفويض الإلهي للخلفاء[٣]. وإن كان موضوع التفويض الإلهي للخلفاء شبيه إلى حد كبير بلقب "خليفة الله"[٤] الذي أُستخدم في العصر الأموي.

ومما سبق يتضح أن السلطة في الأصل مستمدة من الله تعالى وخلافته في تطبيق شرعه وسياسة أمور الدين والدنيا[٥]، ولكن مع مرور الزمان تطور هذا المفهوم ليشمل التفويض الإلهي مضافا إليه تقديس القائم عليه، وهذا يخالف الأصل في الحاكمية التي يُشترط فيها ألا يتصف القائم فيها بأي قدسية.

وجدير بالذكر هنا أن هذا التطور في مفهوم السلطة والخلافة في الدولة الإسلامية هو أمر طبيعي فرضته حركة التاريخ وضرورة التغيير التي يتحتم حدوثها تبعا للتطور التاريخي؛ لذا فمن المنطقي أن نرى عدة أشكال لمعنى السلطة مع حركة التاريخ ومرور الزمان.

---

(١) الناصري، محمد. "مفهوم الحاكمية: مناقشات جديدة". **مجلة الكلمة**، منتدى الكلمة للدراسات والأبحاث، ٢٠١٢م، س١٩، ع٧٦، ص ١٦٤- ١٧٦. (سيشار إليه فيما بعد: الناصري، "مفهوم الحاكمية").

(٢) للمزيد من التفاصيل حول الدلالات الدينية في ألقاب الخلفاء العباسيين. انظر المبحث السادس الموسوم: ألقاب الخلفاء العباسيين ودلالتها الدينية- السياسية من كتاب: فوزي، فاروق عمر. **دراسات في التاريخ الإسلامي**. دار مجدلاوي، عمّان، ٢٠٠٥م، ص ٣٦٣. (سيشار إليه فيما بعد: فوزي، **دراسات**).

(٣) البغيلي، محمد. نقد النظرية السياسية في الإسلام من بوابة المعارضة والاستخلاف وتداول السلطة. **أعمال ندوة: في ضرورة تجديد الخطاب الديني**، اتحاد كتاب المغرب ووزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، يونيو ٢٠١٥م، ص ٩- ١٣. (سيشار إليه فيما بعد: البغيلي، نقد النظرية).

(٤) استخدم هذا اللقب في العصر الأموي، ولكنه شاع في العصر العباسي. انظر: ابن قتيبة، **الإمامة والسياسة**، ج٢، ص ١٣٢؛ البلاذري، **أنساب الأشراف**، ج٥، ص ٢٢٥ وج٨، ص ٦٩؛ ابن فضل الله العمري، شهاب الدين أحمد بن يحيى (ت ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م). **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**. تحقيق: كامل الجبوري ومهدي النجم، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٠م، ج٢٤، ص ٢٧٨. (سيشار إليه فيما بعد: ابن فضل الله العمري، **مسالك الأبصار**)؛ فوزي، فاروق عمر. **تاريخ النظم الإسلامية**. دار الشروق للنشر والتوزيع، عمّان، ٢٠٠٩م، ص ٧٢. (سيشار إليه فيما بعد: فوزي، **تاريخ النظم**).

(5) Azmeh, Wayel, "Misconceptions About the Caliphate in Islam", **Digest of Middle East Studies,** 2016 AD, Vol. 25, No. 2, P. 227- 263. (It's will be pointed to later: Azmeh, "Misconceptions About the Caliphate in Islam").

إن موضوع الحكم المطلق يقودنا إلى الحديث عما عُرف عند المؤرخين وكتّاب السياسة الشرعية بـ "الجبرية الأموية" وهو ما سنتطرق إليه لاحقا.

ثانيا: الشرعية وسلطة الخليفة الأموي:

مارس الرسول- صلى الله عليه وسلم- جميع سلطات وصلاحيات الحاكم السياسي[1]، وكانت صلاحياته تتمثل في: تعيين الولاة والعمال، واتخاذ قرارات السلم والحرب كالتخطيط للمعارك وإنفاذ الجيوش، وممارسة القضاء، وتوزيع الفيء والغنائم، ومنح الرسول بعض سلطاته كما أوكل بعض المهام إلى أشخاص معينين من صحابته وأهل ثقته في حالة سفره أو خروجه للقتال[2].

وكانت سلطات الخليفة أبوبكر الصديق- رضي الله عنه- وبقية الخلفاء الراشدين من بعده كذلك تحكمها القواعد والأصول الإسلامية، ولكنهم مارسوا جميع صلاحياتهم المتمثلة في إمضاء الأمور الشرعية والسياسية والإدارية والعسكرية والمالية في الدولة الإسلامية[3].

وفي العصر الأموي صارت سلطات وصلاحيات الخليفة الأموي تحكمها الكثير من القوى والعوامل الأخرى بالإضافة إلى القواعد والأصول الإسلامية التي هي أساس السلطة في الإسلام، وبالتالي غدت تلك القوى والعوامل تؤثر فيها بشكل أو بآخر، مما استدعى الأمر البحث والتقصي وجاءت هذه الدراسة للكشف عن مدى تأثير تلك القوى.

وقد ارتبطت سلطة وصلاحيات الخليفة في العصر الأموي بموضوع الجبرية الأموية ارتباطا وثيقا، وذلك لأن التسلط (من السلطة) في الإسلام مشروط بتوفر الأحقية أو الشرعية إن صح التعبير؛ لذا حرص الأمويون على إضفاء طابع شرعي على خلافتهم، وخصوصا أنهم

---

(١) عيسى، رياض. **الحزبية السياسية منذ قيام الإسلام حتى سقوط الدولة الأموية.** د ن، د م، ١٩٩٢م، ص ٤٤. (سيشار إليه فيما بعد: عيسى، **الحزبية السياسية**).

(٢) ابن هشام، أبي محمد عبدالملك الحميري المعافري (ت ٢١٣هـ/ ٨٢٨م). **السيرة النبوية.** مؤسسة المعارف، بيروت، ٢٠٠٥م، ص ٣١٩ و٥٥٨؛ (سيشار إليه فيما بعد: ابن هشام، **السيرة**)؛ نوري، "التحولات"، ع٢٠، ص ١٩٧- ٢٢٥.

(٣) نوري، "التحولات"، ع٢٠، ص ١٩٧- ٢٢٥؛ Pay, "The Journey of Caliphate", Vol. 6, No. 4, P. 107- 117

ابتدعوا موضوع الوراثة في الحكم الذي لم يكن مقبولا ولا متعارف عليه في تاريخ المسلمين قبل وصول الأمويين إلى السلطة[١].

ودعا الأمويون للجبر مؤكدين على أحقيتهم بالخلافة، فأعلنوا للناس أن الله أختارهم للخلافة ولحكم المسلمين، وأكدوا على فكرة الجبر بآيات قرآنية لإيجاد مصدر شرعي لخلافتهم[٢]، وكان هذا التأكيد أيضا لدفع الرعية للطاعة ولزوم الجماعة، وإبعاد الناس عن المشاركة في الثورات المعارضة، وذلك بتبيان أن الثورات والانشقاق نهايته الفشل لأنه يعني الخروج على إرادة الله التي قررت وصول الأمويين للخلافة[٣]. فحين حوصر عثمان بن عفان سنة ٣٥هـ/ ٦٥٥م، وطلب منه المعارضين التنازل عن الخلافة، وأن يدعها للأمة لتختار ما تريد، علّق على ذلك قائلاً: "أما قولكم: تخلع نفسك، فلا أنزع قميصا قمّصنيه الله عز وجل وأكرمني به، وخصني به على غيري"[٤].

وليس هذا الدليل الوحيد الذي حفظته لنا المصادر في أن الأمويين اعتمدوا فكرة الجبر لإثبات شرعيتهم، فيذكر أن معاوية بن أبي سفيان خاطب أهل الكوفة بعد تنازل الحسن بن علي- رضي الله عنه- عن الخلافة، وبيعتهم له، قائلاً: "ما قاتلتكم لتصلّوا ولا لتصوموا ولا لتحجّوا ولا لتزكوا، وقد أعرف أنكم تفعلون ذلك، ولكن إنما قاتلتكم لأتأمر عليكم، وقد أعطاني الله ذلك وأنتم كارهون"[٥].

(١) للمزيد من التفاصيل حول موضوع الاستخلاف قبل العصر الأموي. انظر: باحشوان، خلود بنت سالم. **نظام ولاية العهد في الدولة الأموية ٤١- ١٣٢هـ/ ٦٦١- ٧٥٠م.** دار مجدلاوي، عمّان، ٢٠١٤م، ص ٢١. (سيشار إليه فيما بعد: باحشوان، **نظام ولاية العهد**).

(٢) يوجه سوي، خير الدين. **تطور الفكر السياسي عند أهل السنة.** دار البشير للنشر والتوزيع، بيروت، د ت، ص ٦١. (سيشار إليه فيما بعد: يوجه سوي، **تطور الفكر السياسي**).

(٣) عبد اللطيف، زهير غنايم. **نظرية الأمويين السياسية في الخلافة والحكم.** رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، ١٩٨٨م، ص ٣٤٩. (سيشار إليه فيما بعد: عبد اللطيف، **نظرية الأمويين**).

(٤) ابن سعد، **الطبقات**، ج٣، ص ٦٣؛ ابن خياط، **تاريخ**، ص ١٧٠؛ الطبري، **تاريخ**، ج٤، ص ٣٧٦؛ ابن أعثم الكوفي، **الفتوح**، ج٢، ص ٤١٦؛ جودة، "الخلافة"، مج١٨، ع١، ص ٥١- ٨٢؛ انظر أيضا: التميمي، سيف بن عمر (ت ١٨٠هـ/ ٧٩٦م). **كتاب الردة والفتوح وكتاب الجمل ومسير عائشة.** تحقيق: قاسم السامرائي، دار أمية للطباعة، الرياض، ١٩٩٧م، ص ١٧٥. (سيشار إليه فيما بعد: التميمي، **كتاب الردة**).

(٥) ابن أبي شيبة، أبي بكر عبدالله بن محمد بن إبراهيم (ت ٢٣٥هـ/ ٨٤٦م). **المصنف.** تحقيق: حمد عبدالله الجمعة ومحمد إبراهيم اللحيدان، مكتبة الرشيد، الرياض، ٢٠٠٤م، ج١٠، ص ٣٥٣. (سيشار إليه فيما بعد: ان أبي شيبة، **المصنف**)؛ جودة، "الخلافة"، مج١٨، ع١، ص ٥١- ٨٢.

كما أجاب معاوية الأحنف بن قيس التميمي[1] حين حثه على التريث في بيعة يزيد، قائلًا: "يا أبا بحر؛ فإن خيرة الله تجري، وقضاء الله يمضي، وأحكام الله تنفذ، لا معقب لحكمه، ولا راد لقضائه؛ وإن يزيد فتى قد بَلوْناه، ولم نجد في قريش فتى هو أجدر بأن يُجتمع عليه منه"[2].

ولم يقتصر الأمر على ذلك، فقد سار الشعراء في العصر الأموي على هذا النهج وأكدوا على فكرة الجبر التي تبنتها السلطة الأموية، فكان الجبر يظهر في أشعارهم، ومثال على ذلك قول جرير في مدح عمر بن عبد العزيز[3]:

نال الخلافــةَ إذْ كَانَـتْ لَهُ قـــدرًا كَما أَتى رَبَّهُ موسى عَلى قَدَرِ

(بحر البسيط)

وعلى الرغم من أن توريث يزيد الخلافة يعد سابقة أموية صرفة، إلا أنه يبدو من مجريات الأحداث أن موضوع الوراثة ذو علاقة بالأحقية والشرعية في العقلية الأموية، فقد كانا أبو سفيان وخالد بن سعيد بن العاص من الشخصيات التي تأخرت عن بيعة أبي بكر الصديق بالخلافة، وذلك لأنهما يريان ضرورة إبقاء الخلافة في بني عبد مناف من قريش، بسبب ما عُرفوا به من القوة والعزة[4]، وهذا الأمر له دلالات يمكن اعتبارها مؤشر لقدم الطموح الأموي لحكم المسلمين يوما ما، وهذا الطموح أو الرغبة في الحكم والسيادة لم يظهر فقط في أيام معاوية، بل تمتد جذوره لزمان بعيد، فهو مرتبط ارتباط عميق بموضوع الزعامة والرئاسة الأموية منذ ما قبل الإسلام في المجتمع المكي.

---

(١) سيد بني تميم، يُضرب به المثل في الحلم، وُلد في البصرة ووفد على عمر حين آلت إليه الخلافة ومكث عنده فترة، ثم عاد إلى البصرة، شهد الفتوح في خراسان وأعتزل الفتنة يوم الجمل، ثم شهد صفين مع علي، ووصفه معاوية بقوله: هذا الذي إذا غضب، غضب له مئة ألف لا يدرون فيم غضب. توفي سنة ٧٢هـ/ ٦٩١م. انظر: الزركلي، **الأعلام**، ج١، ص ٢٧٦.

(٢) الحصري القيرواني، أبي إسحاق إبراهيم بن علي (ت ٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م). **زهر الآداب وثمر الألباب.** تحقيق: علي محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العربية، د م، ١٩٥٣م، ج٢، ص ٦٤٥. (سيشار إليه فيما بعد: الحصري القيرواني، **زهر الآداب**)؛ عبد اللطيف، **نظرية الأمويين**، ص ١٣٤.

(٣) جرير، ابن عطية الخطفي (ت ١١٤هـ/ ٧٣٢م). **ديوان جرير.** تحقيق: نعمان محمد أمين طه، دار المعارف، د م، ١٩٨٦م، ص ١٠٨١. (سيشار إليه فيما بعد: جرير، **ديوان**)؛ عبد اللطيف، **نظرية الأمويين**، ص ١٣٤-١٣٨.

(٤) البلاذري، **أنساب الأشراف**، ج١، ص ٥٨٨؛ الطبري، **تاريخ**، ج٣، ص ٢٠٩؛ المقريزي، **النزاع والتخاصم**، ص ٣٨؛ حمدان، سمير محمود عبد اللطيف. **الخلافة نشأتها وتطورها في المدينة زمن الراشدين.** رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، ١٩٧٥م، ص ٣٨. (سيشار إليه فيما بعد: حمدان، **الخلافة**).

وتشير رواية إلى أن أبا سفيان صخر بن حرب دخل على عثمان بن عفان حين بويع بالخلافة، فقال: "قد صارت إليك بعد تيم وعدي[١] فأدرها كالكرة"، وفي رواية "فَتَزقُّفوها تَزَقُّف[٢] الكرة- واجعل أوتادها بني أمية، فإنما هو الملك وما أدري ما جنة ولا نار"[٣].

يتضح من الرواية السابقة مدى حرص أبي سفيان أن تظل السلطة في الأسرة الأموية، وهذا يرجعنا إلى الخلاف والمنافرة الهاشمية الأموية على الزعامة والرئاسة وما يندرج تحتها من وظائف السدانة[٤] منذ ما قبل الإسلام؛ فأبو سفيان في هذا الموقف ربما كان خائفا من أن تؤول الخلافة إلى بني هاشم- لا سيما- في ظل وجود مرشحين هاشميين ذوي حضور قوي كعلي بن أبي طالب والعباس بن عبد المطلب وابنه عبدالله بن عباس وغيرهم من آل بيت النبي.

فقد كان أمية بن عبد شمس بن عبد مناف سيدا من سادات قريش، ويعادل في الشرف والرفعة عمه هاشم بن عبد مناف، وكانا يتنافسان في رئاسة قريش، وكان أمية تاجرا كثير المال، وأعقب كثيرا من الأولاد، و(المال والعصبة) يعدان من أسباب السيادة في المجتمع الجاهلي[٥].

ويبدو من الرواية السابقة أيضا وكأن أبو سفيان لم يصدق أن صارت الخلافة إليهم، حتى شدد على ضرورة الحفاظ عليها في البيت الأموي، وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على طموح الأمويين منذ زمن بعيد في أن تكون لهم، وشرعيتهم في ذلك القرشية إلى جانب الجبرية وغيرها، وهذا سبب كاف من وجهة بني أمية لتُساق إليهم الزعامة ممثلة بالخلافة، هذا فضلا إلى جانب

---

(١) أي بعد أبوبكر الصديق وعمر بن الخطاب- رضي الله عنهما-، فالأول ينتسب إلى بني تيم بن مرة من قريش، والثاني إلى بني عدي بن كعب من قريش أيضا. انظر: ابن سعد، **الطبقات**، ج٣، ص ١٥٥ و٢٤٥.

(٢) تزقف الكرة كتلقفها. والتلقف هو أخذ الكرة باليد أو بالفم. انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مج٣، ص ١٨٤٤.

(٣) المقريزي، **النزاع والتخاصم**، ص ٥٦؛ فوزي، **الخلافة الأموية**، ص ٥٢.

(٤) المقصود بالسدانة هنا وظائف مكة الرئيسية من حجابة وسقاية ورفادة ولواء وندوة، التي كان يديرها قصي بن كلاب منذ منتصف القرن الخامس الميلادي، وبعد وفاة قصي تنافس عليها أولاده بنو عبد الدار وبنو عبد مناف (عبد شمس وهاشم والمطلب ونوفل)، وبمرور الزمن تنافست عليها البطون حتى بلغت المنافسة أشدها بين أمية بن عبد شمس بن عبد مناف من جانب، وعمه هاشم بن عبد مناف وابنه عبد المطلب بن هاشم من جانب آخر، وغدت السقاية في يد الهاشميين، واللواء في يد الأمويين. انظر: المقريزي، **النزاع والتخاصم**، ص ٣٨؛ فوزي، **الخلافة الأموية**، ص ٥٢.

(٥) المقريزي، **النزاع والتخاصم**، ص ٣٨؛ فوزي، **الخلافة الأموية**، ص ٥٢؛ عبدالله، منيرة محمد. "أساليب الخليفة معاوية بن أبي سفيان للتأسيس لولاية العهد". **مجلة دراسات حوض النيل**، جامعة النيلين- إدارة البحوث والتنمية والتطوير، ٢٠١٧م، مج١٠، ع٢٠، ص ٧- ٢٥. (سيشار إليه فيما بعد: عبدالله، "أساليب الخليفة معاوية").

شعورهم بأن الإسلام أفقدهم بعض مما كان لديهم من سؤدد في منذ زمن ما قبل الإسلام، فـأرادوا أن يستعيدوا نفوذهم وصلاحياتهم في المجتمع المكي ولكن بصبغة شرعية إسلامية.

ولم يقتصر الأمر على الصراع في الفترة التي سبقت الإسلام، فقد كان وصول الأمـويين إلى الخلافة، مبنيا على الكثير من الاعتبارات ومرتكزا على خلفيات لحـوادث ومشـاهد تاريخيـة، أسهم الطموح الأموي في استغلالها بصورة أو بأخرى لتكـون وسـيلة مشـروعة ومبـرر مكتسـب لتولي بني أمية زمام الأمور في الدولة الإسلامية، وربمـا تكـون أقـرب الحـوادث حضـورا لـذهن الباحث هي قصة أصحاب الشورى الستة الذين اختارهم الخليفـة عمـر بـن الخطـاب، لتعيـين مـن سيتولى الخلافة من بعده، فقد ظهر فيها أن المنافسة على منصـب الخلافـة كانـت منحصـرة بـين بيتين من بيوتات قريش، وهما: بنو هاشم ويتزعمهم علي بن أبـي طالـب، وبنـو أميـة ويتـزعمهم عثمان بن عفان[١]، وهذا الأمر كان له دوره فيما بعد في إذكاء الطمـوح الأمـوي للمواصـلة علـى نفس السبيل الذي أدى بهم إلى تولي الخلافة.

وعلى شاكلة ذلك، كان موضوع الثأر لعثمـان أحـد المشـاهد التـي تبنتهـا العقليـة الأمويـة للوصول لنفس المبتغى؛ فقد خطب معاوية في أهل الشام بعـد مقتـل عثمـان، فقـال لهـم: "يـا أهـل الشام، قد علمتم أني خليفة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وخليفة عثمان، وقد قتل وأنا ابن عمـه ووليه، والله تعالى يقول: {ومن قُتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا}[٢] وأنا أحب أن تُعلمـوني مـا في نفوسكم من قتل خليفتكم"[٣].

وفي رواية: حين قدم معاوية المدينة وألتقى بأبناء الصحابة "قعد في حلقة فيها: ابن عمر، وابن عباس، وعبد الرحمن بن أبي بكر، فأقبلوا عليه وأعرض ابن عباس، فقـال: وأنـا أحـق بهـذا الأمر من هذا المعرِض وابن عمه. فقال ابن عباس: ولِمَ؟ ألتقدم في الإسلام، أم سـابقة مـع رسـول الله، أم قرابة منه؟ قال: لا، ولكن ابن عم المقتول، قال: فهذا أحق به- يريد ابن أبي بكـر- قـال: إن

(١) الملاح، "أساليب تداول السلطة"، ع٧، ص ٧- ٣٣.

(٢) القرآن الكريم، **سورة الإسراء:** الآية ٣٣.

(٣) ابن أبي الحديد، أبو حامد عز الدين بن هبة الله بن محمد المدائني (ت ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م). **شرح نـهج البلاغة.** تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القـاهرة، ١٩٥٩م، ج٣، ص ٩٣. (سيشـار إليـه فيمـا بعد: ابن أبي الحديد، **شرح نـهج البلاغة**)؛ عكاشة، رائد. "النص والخلافـة". **المجلـة الأردنيـة فـي اللغـة العربيـة وآدابها،** ٢٠٠٦م، مج٢، ع٣، ص ١٢٥- ١٣٩. (سيشار إليه فيما بعد: عكاشة، "النص والخلافة").

أباه مات موتا؟ قال: فهذا أحق به- يريد ابن عمر- قال: إن أباه قتله كافر، قال: فذاك أدحض لحجتك، أن كان المسلمون عتبوا على ابن عمك فقتلوه"[١].

وعلى الرغم غرابة الروايتين الآنفتين والشك الذي يحوم حول صحتهن، إلا أن هذا لا ينفي الحقيقة المثبتة من خلال مجرى الأحداث التي أجمعت عليها المصادر في أن بني أمية كانوا يعتبرون أنفسهم الأحق بها بسبب قرابتهم من الخليفة عثمان بن عفان، ولأنه قتل مظلوم لذا فقد زادهم مقتله ظلما شرعية في انتزاع حقه في الثأر والحكم.

وقد عبر الشعراء في العصر الأموي فيما بعد عن هذه الأحقية المسندة تاريخيا على القرابة والأخذ بالثأر لعثمان المقتول ظلما، فقال الفرزدق[٢]:

وَما زِلتُ أَرجو آلَ مَروانَ أَن أَرى. لَهُم دَولَةً وَالدَهرُ جَمٌّ دَوائِرُه. لَدُن قُتِلَ المَظلومُ أَن يَطلُبوا بِهِ.

وَما زِلتُ أَرجو آلَ مَروانَ أَن أَرى	لَهُم دَولَةً وَالدَهـرُ جَـمٌّ دَوائِرُه
لَـدُن قُتِلَ المَظلـومُ أَن يَطلُبوا بِهِ	وَمولى دَمِ المَظلومِ مِنهُم وَثائِرُه

(بحر الطويل)

ويرى الأخطل نفس النظرة الأموية، وأنهم ورثة عثمان، وأنهم وصلوا إلى الخلافة بعد جهد وتعب، فيقول[٣]:

كانوا مَـوالِيَ حَقٍّ، يَطلُبونَ بِـهِ،	فَأَدرَكوه، وما مَلّـوا، ولا لَغِبـوا[٤]
إن تَكُ لِلحَـقِّ أَسبابٌ[٥]، يُمدُّ بِها،	فَفـي أَكُفِّهِمِ الأَرسـانُ[٦]، وَالسَبَبُ

---

(١) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م). **تاريخ الخلفاء**. تحقيق: اللجنة العلمية بمركز دراسات المنهاج للدراسات والتحقيق العلمي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الدوحة، ٢٠١٣م، ص ٣٣٢. (سيشار إليه فيما بعد: السيوطي، **تاريخ الخلفاء**)؛ عكاشة، "النص والخلافة"، مج٢، ع٣، ص ١٢٥- ١٣٩.

(٢) الفرزدق، همام بن غالب (ت ١١٤هـ/ ٧٣٢م). **ديوان الفرزدق**. تحقيق: علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م، ص ٢٢١. (سيشار إليه فيما بعد: الفرزدق، **الديوان**)؛ عكاشة، "النص والخلافة"، مج٢، ع٣، ص ١٢٥- ١٣٩.

(٣) الأخطل، **شعر**، ص ٧١؛ عكاشة، "النص والخلافة"، مج٢، ع٣، ص ١٢٥- ١٣٩.

(٤) اللغب هو الإعياء والتعب. انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مج٥، ص ٤٠٤٦.

(٥) الأسباب هي الحبال. انظر: الأخطل، **شعر**، ص ٧١.

(٦) الأرسان يراد بها زمام الأمور. انظر: **المصدر نفسه**، ص ٧١.

هُـمُ سَعَوا بِاِبنِ عَفّانَ، الإِمامِ، وَهُم بَعدَ الشّماس[1] مَرَوها[2]، ثُمَّتَ اِحتَلَبوا

(بحر البسيط)

وكذلك يرى عدي بن الرقاع العاملي[3] أيضا، إذ يقول[4]:

فأصْبَحَ الأمــــــرُ بعدَ الله قادَتـُـهُ بنو الألــىَ غَضِبُوا مِنْ قَتـْـلِ عُثمانـــا

(بحر البسيط)

وقد اعتبر فلهوزن أن مقتل الخليفة عثمان حدثا جسيما فـي التـاريخ الإسـلامي، ووصـف هذه الحادثة بأنها فتحت "باب الفتنة ولم ينسد بعد ذلك ابداً انسداداً تاما"[5]، وقياسا على ذلك يمكن القول أن هذه الحادثة فتحت بابا شرعيا- لم يُسد فيما بعد- ليمر من خلاله بنو أمية ممثلين بمعاوية للمطالبة بحقهم في الخلافة حتى نالوها.

ولا بد من الإشارة إلى العوامل التـي أوصـلت بنـي أميـة إلـى السلطة والتـي تتمثـل فـي الخلفية الاجتماعية والثقافية والسياسية للفرد الأموي منذ عصر ما قبـل الإسـلام، فـإذا اعتبرنـا أن معاوية نموذج للفرد الأموي الطموح للرئاسة، يمكن القـول أن العوامـل تتمثـل فيمـا يـأتي: ولايـة الشام- كما أشرنا آنفا-؛ فالشام كان مستقرا لأنصار بني أمية، وذلك لأن معاوية تـولى جنـد الشـام منذ زمن خلافة عمر بن الخطاب، ثم استلم ولاية الشام كلها في خلافة عثمان بن عفـان[6]، وكـان قبله أخيه يزيد الذي قاد حروب الردة والفتوحات الإسلامية وشاركه معاوية في ذلك[7].

---

(١) الشماس: النفور والإستعصاء ويقصد بها الفتنة. انظر: الأخطل، **شعر**، ص ٧١.

(٢) مروها: مسحوا ضرعها للحلب. انظر: **المصدر نفسه**، ص ٧١.

(٣) عدي بن زيد بن مالك بن عدي بن الرقاع، شـاعر كبيـر مـن عاملـة، مـن أهـل دمشـق، يكنـى أبـا داود، كـان معاصرا لجرير ومهاجيا له، مقدما عند بني أمية، لقبـه ابـن دريـد فـي كتابـه الاشـتقاق بشـاعر أهـل الشـام، تـوفي بدمشق سنة ٩٥هـ/ ٧١٤م. انظر: الزركلي، **الأعلام**، ج٤، ص ٢٢١.

(٤) العاملي، عدي بن الرقاع (ت ٩٥هـ/ ٧١٤م). **ديـوان شـعر**. تحقيـق: نـوري حمـود القيسـي وحـاتم الضـامن، مطبعـة المجمـع العلمـي العراقـي، بغـداد، ١٩٨٧م، ص ١٧٠. (سيشـار إليـه فيمـا بعـد: العـاملي، **ديـوان شـعر**)؛ عكاشة، "النص والخلافة"، مج٢، ع٣، ص ١٢٥- ١٣٩.

(٥) فلهوزن، يوليوس. **تاريخ الدولة العربية**. ترجمة: محمد أبو ريده وحسـين مـؤنس، لجنـة التـأليف والترجمـة، القاهرة، ١٩٦٨م، ص ٥٠. (سيشار إليه فيما بعد: فلهوزن، **تاريخ**).

(٦) ابـن سـعد، **الطبقـات**، ج٦، ص ٢٣؛ ابـن عسـاكر، **تـاريخ دمشـق**، ج٥٩، ص ١١٠؛ ابـن كثيـر، **البدايـة والنهاية**، ج٨، ص ١٧٣؛ فوزي، **الخلافة الأموية**، ص ٨٦.

(٧) ابن خياط، **تاريخ**، ص ١٩١؛ ابن عساكر، **تاريخ دمشق**، ج٥٩، ص ١٥٥؛ فـوزي، **الخلافـة الأمويـة**، ص ٨٦.

وعندما وقع طاعون عمواس وتوفي أبو عبيدة عامر بن الجراح سنة ٢٠هـ/ ٦٤٠م، استخلف مكانه معاذ بن جبل[١] فمات معاذ، واستخلف يزيد بن أبي سفيان، فمات يزيد واستخلف أخاه معاوية، فأقره عمر، وولى عمرو بن العاص فلسطين والأردن، ومعاوية دمشق وبعلبك والبلقاء، وولى سعيد بن عامر بن حذيم[٢] حمص، ثم جمع الشام كلها لمعاوية، وعندما تولى عثمان بن عفان الخلافة أقر معاوية على الشام[٣].

وكان للقبائل الشامية- كما تمت الإشارة آنفا- دور مؤثر لا يمكن أن يُستهان به في تغيير مجريات الأحداث في طوال العهد الأموي، فقد قيل "لم يؤيد المُلك مثل كلب[٤]"[٥]، ومن الواضح أن القبائل الشامية لم يقتصر تأثيرها في الأحداث التي حدثت بعد وصول الأمويين للسلطة سنة ٤١هـ/ ٦٦١م، بل يمتد هذا التأثير إلى فترة زمنية سابقة لخلافة بني أمية، فقد أسهمت تلك القبائل بشكل كبير كأحد العوامل التي أدت إلى وصول بني أمية للسلطة، وقد فطن معاوية إلى القوة التي تتمتع بها القبائل اليمنية في بلاد الشام[٦]؛ لذا عمل على إرضاءها والتقرب إليها، ووثق علاقاته ببعض الزعامات القبلية الشامية، فتزوج من ميسون بنت بحدل الكلبية[٧].

---

(١) هو ابن عمرو بن أوس بن عائذ بن عدي، كان أحد صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، شهد العقبة مع السبعين من الأنصار، بعثه الرسول إلى اليمن سنة ٩هـ/ ٦٣٠م، توفي في طاعون عمواس سنة ١٨هـ/ ٦٣٩م في خلافة عمر بن الخطاب. انظر: ابن سعد، **الطبقات**، ج٣، ص ٥٣٩.

(٢) من بني جمح، أسلم قبل خيبر وهاجر إلى المدينة، وشهد مع رسول الله خيبر وما بعدها من المشاهد، ولاه عمر بن الخطاب حمص وما يليها من الشام، وتوفي سنة ٢٠هـ/ ٦٤١م في خلافة عمر. انظر: **المصدر نفسه**، ج٥، ص ٩٠.

(٣) ابن خياط، **تاريخ**، ص ١٥٥؛ ابن عساكر، **تاريخ دمشق**، ج٥٩، ص ١١٠.

(٤) إحدى أقوى القبائل العربية اليمانية في بلاد الشام. انظر: السمعاني، عبد الكريم بن محمد التميمي (ت ٥٦٢هـ/ ١١٦٦م). **الأنساب**. تحقيق: عمر عبدالله البارودي، دار الجنان، بيروت، ١٩٨٨م، ج٥، ص ٨٥. (سيشار إليه فيما بعد: السمعاني، **الأنساب**)؛ دسوقي، **القبائل**، ص ٤١٤.

(٥) ابن عساكر، **تاريخ دمشق**، ج١٢، ص ٤٤٩؛ الزويد، هدى فهد. "مصاهرات بني أمية وأثرها السياسي والإداري على الدولة الأموية". **مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية**، جامعة السلطان قابوس، مسقط، ٢٠١٨م، مج٩، ع٢، ص ٢٧- ٤١. (سيشار إليه فيما بعد: الزويد، "مصاهرات بني أمية").

(6) Ibn Tenbak, Marzouk Ibn Sunitan, **Tribalism and Political Change as Reflected in the Poetry of the Early Umayyad Period,** Un Published PHD Dissertation, University of Edinburgh, UK, 1982 AD, P.108. (It's will be pointed to later: Ibn Tenbak, **Tribalism and Political Change**).

(٧) الزبيري، **نسب قريش**، ص ١٢٧؛ ابن عساكر، **تاريخ دمشق**، ج٧٠، ص ١٣٠؛ العقيلي، **يزيد**، ص ١٠؛ دسوقي، **القبائل**، ص ٤١٤.

أظهرت هذه المصاهرة دور الكلبيين عامة والبحدليين خاصة في تأييد معاوية في حرب صفين[١]، فقد أشارت الروايات الشيعية[٢] إلى أن معاوية استخدم العطاء لحث القبائل على القتال في معركة صفين وكان يستحثهم ويقول لهم سلوني حوائجكم، ومن الأدلة على ذلك أن معاوية وافق أن يفرض لأفراد قبيلتي عكّ[٣] والأشعريين[٤] ألفين لألفين رجل منهم، وألحق ألفي رجل من قضاعة[٥] بشرف العطاء[٦].

كما ذهبت تلك الروايات إلى أبعد من ذلك عندما ذكرت أن القبائل اليمانية لم تقاتل إلى جانب معاوية إلا دفاعا عن مصالحها الاقتصادية التي تحققت لها في ولاية معاوية، والدليل على ذلك الرأي ما ورد في أن معاوية طلب من النعمان بن جبلة القضاعي[٧] الاستعداد لمواجهة قبائل همدان[٨] ومذحج[٩] التي كانت تقاتل مع علي، فكان رد النعمان: "إننا سنقاتل عن الغوطة وعنبها وزيتونها إذ قد حرمنا الجنة ونعيمها وحور عينها"[١٠].

---

(١) ابن مزاحم، **وقعة صفين**، ص ٢٢٧؛ عبد البارئ، هارون آدم يوسف. **شعر قبيلة كلب حتى نهاية العصر الأموي.** رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم درمان الإسلامية، ٢٠٠٦م، ص ٣٥. (سيشار إليه فيما بعد: عبد البارئ، **شعر قبيلة كلب**).

(٢) ابن مزاحم، **وقعة صفين**، ص ٤٣٣؛ الدينوري، **الأخبار الطوال**، ص ١٨٦؛ ابن أعثم الكوفي، **الفتوح**، ج٣، ص ١٣٣؛ ابن أبي الحديد، **شرح نهج البلاغة**، ج٨، ص ٧٤؛ عبد اللطيف، **نظرية الأمويين**، ص ٣١٢.

(٣) هي قبيلة يقال لها عك بن عدنان أخو معد بن عدنان، حالفوا اليمن ونزلوا في الأشعريين، وهم على نسبهم. انظر: السمعاني، **الأنساب**، ج٤، ص ٢٢٥.

(٤) هي قبيلة مشهورة من اليمن، تنسب إلى أشعر وهو نبت بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ. انظر: **المصدر نفسه**، ج١، ص ١٦٦.

(٥) يقال القضاعي، نسبة إلى قضاعة بن معد بن عدنان، وقيل من حمير بن سبأ. انظر: **المصدر نفسه**، ج٤، ص ٥١٦.

(٦) هو الحد الأعلى من العطاء، ويعطى لأهل البلاء مجازاة لمساهماتهم في حروب الأيام الأولى والفتوح الكبيرة وبلائهم فيها، ويدخل فيه كذلك الشجعان من المقاتلة. انظر: فوزي، **الجيش والسياسة**، ص ٢١.

(٧) لم أجد له ترجمة.

(٨) إحدى القبائل اليمانية التي تنسب إلى همدان بن مالك بن زيد، وينتهي نسبها إلى سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان. انظر: السمعاني، **الأنساب**، ج٥، ص ٦٤٧.

(٩) مذحج بفتح الميم وكسر الحاء المهملة والجيم، هي إحدى القبائل اليمنية. انظر: **المصدر نفسه**، ج٥، ص ٢٤٠.

(١٠) ابن أعثم الكوفي، **الفتوح**، ج٣، ص ٧١.

وأسهمت شخصيات مثل حسان بن مالك بن بحدل[1]- زعيم قبيلة كلب- بدور في تعزيز وصول بني أمية للسلطة، وكان حسان قد اشترط على معاوية أن يفرض لألفي رجل من كلب ألفي درهم من العطاء لكل منهم، على أن يكون لهم الأمر والنهي وصدر المجلس وكل ما كان من حل وعقد ورأي ومشورة[2].

وحتى في توريث العهد ليزيد فيما بعد، فقد كان للشاميين موقف مؤيد وموافق لرغبة معاوية، وإضافة إلى كل الأسباب المتعلقة بالولاء لبني أمية وغيرها، هناك سبب منطقي أشارت إليه دراسة بثينة بن حسين في سبب توافق رغبة الشاميين مع معاوية إضافة إلى بقية الأسباب الآنفه[3]: أن فكرة توريث الحكم لم تكن موجودة لدى قريش، بينما وجد هذا النمط عند ملوك الغساسنة في الشام؛ لذا كانت هذه الفكرة مقبولة عند أهل الشام في الوقت الذي عارضت فيه قريش ذلك[4]. وهذا أمر طبيعي وذلك لأن قريش تقاليدها قبلية ودولة الغساسنة نظامها ملكي[5]، وعليه فمن المنطقي أن يكون لدى الغساسنة فكرة التوريث واردة أكثر من كونها لدى قريش.

كما يجب أن لا نغفل أن استقرار معاوية الطويل الأمد نسبيا في دمشق، والأبهة التي كان يعيشها في ولايته منذ زمن عمر بن الخطاب، لدرجة أن عمر لام معاوية، وقال: "هذا كسرى العرب"[6]، وبرر معاوية موقفه بوجوده في أرض متاخمة لأرض العدو ووجوب إخافتهم بعز الإسلام وسلطانه[7]. لقد كان لكل ذلك دور في تطلع معاوية لما هو أعلى من ولاية الشام،

---

(١) هو زعيم قحطان وسيدها بالشام. انظر: المسعودي، **مروج الذهب**، ج٣، ص ٧٦؛ ابن حزم، **جمهرة**، ص ٤٥٧.

(٢) المسعودي، **مروج الذهب**، ج٣، ص ٧٦؛ عبد اللطيف، **نظرية الأمويين**، ص ٣١٢.

(٣) بن حسين، **الفتنة الثانية**، ص ٢١.

(٤) الأصمعي، عبد الملك بن قُريب (ت ٢١٧هـ/ ٨٣٢م). **تاريخ العرب قبل الإسلام.** تحقيق: محمد حسين آل ياسين، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٥٩م، ص ١٠٤. (سيشار إليه فيما بعد: الأصمعي، **تاريخ العرب**)؛ ابن حبيب، **المحبّر**، ص ٣٧١؛ الأصفهاني، حمزة بن الحسن (ت ٣٦٠هـ/ ٩٧٠م). **تاريخ ملوك سني الأرض والأنبياء.** منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د ت، ص ٩٠. (سيشار إليه فيما بعد: الأصفهاني، **ملوك سني**)؛ علي، جواد. **المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام.** جامعة بغداد، بغداد، ١٩٩٣م، ج٣، ص ٤٠٠. (سيشار إليه فيما بعد: علي، **المفصل**).

(٥) نولدكه، ثيودور. **أمراء غسان.** ترجمة: بندلي جوزي وقسطنطين زريق، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٣٣م، ص ٢٢ وما بعدها. (سيشار إليه فيما بعد: نولدكه، **أمراء غسان**).

(٦) النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م). **نهاية الإرب في فنون الأدب.** تحقيق: عبد المجيد ترحيني وعماد علي حمزة، دار الكتب العلمية، بيروت، د ت، ج٢٠، ص ٢٢٩. (سيشار إليه فيما بعد: النويري، **نهاية الإرب**)؛ بن حسين، **الفتنة الثانية**، ص ٢١.

(٧) ابن عساكر، **تاريخ دمشق**، ج٥٩، ص ١١٢؛ النويري، **نهاية الإرب**، ج٢٠، ص ٢٢٩؛ بن حسين، **الفتنة الثانية**، ص ٢١.

ومن غير المستغرب أن تتطلع نفسه للمزيد من الرئاسة وتأبى أن تنزل لمستوى أقل من ذلك المستوى الذي ربما لن يستمر فيه لو آلت الخلافة إلى شخصية هاشمية أو قرشية من غير بني أمية.

ويتبادر إلى الأذهان أيضا في هذا الجانب، ما أوردته الروايات أن والديّ معاوية كانا قد رسما لمعاوية في مخيلته أنه سيسود العرب يوما، وذلك عندما نظر أبو سفيان يوما إلى معاوية وهو غلام فقال: "إن ابني هذا لعظيم الرأس، وإنه لخليق أن يسود قومه! فقالت هند: قومه فقط؟! ثَكِلْتُهُ! إن لم يسُد العرب قاطبة!"[١]. بالإضافة إلى دور هند في الثأر من بني هاشم وقتل حمزة[٢] وغيرها من الأحداث التي عاشها معاوية في طفولته وشبابه وكان لها أثر في توريث الرغبة في تحقيق الانتصار على المنافس (بني هاشم).

وجدير بمن تلقى هذا النوع من التعزيز في طفولته أن يسعى جاهدا ويبذل كل ما بوسعه لأجل أن يصل إلى هدفه وخصوصا أن الظروف كانت مواتية لرجل داهية ومخضرم عايش الأحداث المكية والمدنية بصورة واقعية في بيت سؤدد ورئاسة.

وكذلك فإن كون أبي سفيان من سادات قريش وأبرز زعمائها، فمعروف عنه أنه نافذ الكلمة وتاجرا يجهز القوافل بالأموال، وقائدا عسكريا في جيش مشركي قريش، ولأن الرسول صلى الله عليه وسلم حفظ لأبي سفيان مقامه يوم فتح مكة عندما قال: "من دخل دار أبي سفيان فهو آمن"[٣]، كان لذلك دور في اكساب معاوية صفات القيادة والإرادة والدهاء والطموح السياسي، مما ساعده في الوصول إلى الحكم[٤].

ولا ننسى أيضا ما ورد في روايات من أن الرسول استكتب معاوية، فكان أحد كتّاب الوحي[٥]، وهذه المكانة القريبة نسبيا من رسول الله- صلى الله عليه وسلم- بالتأكيد أثرت في

---

(١) ابن سعد، **الطبقات**، ج٦، ص ٢٣؛ ابن عساكر، **تاريخ دمشق**، ج٥٩، ص ٦٦؛ ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج٨، ص ١٧٢.

(٢) ابن سعد، **الطبقات**، ج٣، ص ١١؛ ابن عساكر، **تاريخ دمشق**، ج٧٠، ص ١٧٥.

(٣) الطبري، **تاريخ**، ج٣، ص ٥٤.

(٤) جوبان، "دور قبائل يمن الشام في تأسيس الحكم الأموي"، ع٢٠١، ص ٥٧- ٩٤.

(٥) الجاحظ، أبي عثمان عمرو بن بحر البصري (ت ٢٥٥هـ/ ٨٦٨م). **رسائل الجاحظ**. تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، د ت، ج١، الرسالة الخامسة عشر: ذم أخلاق الكتاب، ص ١٤٠. (سيشار إليه فيما بعد: الجاحظ، **رسائل**)؛ ابن العربي، القاضي أبي بكر (ت ٥٤٣هـ/ ١١٤٨م). **العواصم من القواصم**. تحقيق: عمار طالبي، مكتبة دار التراث، القاهرة، ١٩٧٤م، ص ٣٤١. (سيشار إليه فيما بعد: ابن العربي، **العواصم**)؛ ابن عساكر، **تاريخ دمشق**، ج٥٩، ص ٦٩؛ الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان

تذكية طموحات معاوية في أن ينال مكانة مرموقة في الدولة الإسلامية لاحقا؛ لذا وجد من الثأر لعثمان فرصة لا تفوّت من أجل الوصول لمراميه الشخصية والأسرية على حد سواء.

إضافة إلى ما سبق، فإن المتمعن في كيفية وصول بني أمية للخلافة، يدرك الحرص الأموي على إثبات شرعيتهم عن طريق تبني مبدأ الجبر والعمل وفقه، فقد أشاع الأمويون طول فترة خلافتهم أنهم جاءوا امتثالا لأمر الله في سياسة أمور عباده، وقد تمت الإشارة آنفا إلى بعض ما ورد في أن معاوية يرى أنه وصل للخلافة لأنه أهلا لها، ويُرجع ذلك كله لأمر الله الذي لو لم يره مناسبا لما وفقه لذلك[1].

ورغم أن هذه الرواية نادرة، ولم توردها جملة المصادر الإسلامية، إلا أنه من المنطقي جدا أن يكون لموضوع الجبرية في عقلية معاوية وفكره أثر في اشتعال حماسه للوصول إلى سدة الخلافة، وخصوصا إذا ربطنا ذلك بموضوع الثأر لعثمان والأحقية التي يراها الأمويين لأنفسهم في تولي السلطة من وراء قضية عثمان، وما أثبتته الأيام فيما بعد من استحداث التوريث في الحكم في الدولة الإسلامية. ولا بد من أن نضع في الاعتبار الارتباط الوثيق بين موضوع الجبرية والشرعية المبنية على عدة اعتبارات أولها الثأر لعثمان، وغيرها من الظروف التي تشابكت وتضافرت لتسهم في إيصال بني أمية للسلطة.

ومن العوامل التي يمكن أن يكون لها تأثير في وصول الأمويين للسلطة أيضا، هو الأحاديث التي أشاعوها لإقناع الناس على أنهم جديرين بذلك، فقد أشارت بعض الروايات إلى بعض الأحاديث التي قد لا يقبلها العقل أحيانا، وكذلك ضعّفتها كتب الحديث، ولكنها- بلا شك- أسهمت ولو بنسبة معينة في إقناع بعض الناس وخصوصا العامة في أحقية بني أمية في السلطة، ومن تلك الأحاديث مثلا لا حصرا، ما أورده ابن سعد أن رسول الله قال في حق معاوية: "اللهم علّمه الكتاب ومكّن له في البلاد وقه العذاب"[2].

(ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م). **سير أعلام النبلاء**. تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، د ت، ج٤، ص ٦٨. (سيشار إليه فيما بعد: الذهبي، **سير**).

(١) عبد الجبار، **فضل الاعتزال**، ص ١٤٣؛ نوري، "تحولات"، ع٢٠، ص ١٩٧- ٢٢٥.

(٢) رواه مسلمة بن مخلد، وصنفه الجوزي بأنه لا يصح. انظر: ابن الجوزي، أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت ٥٩٧هـ/ ١٢٠١م). **العلل المتناهية في الأحاديث الواهية**. تحقيق: الشيخ خليل الميس، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣م، ج١، ص ٢٧٢. (سيشار إليه فيما بعد: (ابن الجوزي، **العلل المتناهية**)؛ انظر أيضا: ابن سعد، **الطبقات**، ج٦، ص ١٧.

وأنه قال أيضا: "يا معاوية، إذا ملكت فأسجح[1]"[2]، وأيضا ما نُسب إلى أن علي بن أبي طالب لما رجع من حرب صفين وعلم أنه لا يملك، قال: "أيها الناس لا تكرهوا إمارة معاوية فو الله لو فقدتموه لقد رأيتم الرءوس تندر (تسقط) من كواهلها كالحنظل"[3].

وقد أكد عكاشة على انبهار العقلية الأموية بالنص، إذ يرى أنها جعلت النص هو المرتكز الأول لتشكيل خطابها، وجنّدت النصوص- وخصوصا الدينية منها- لخدمة أهدافها السياسية، فقد ظهر في العصر الأموي صراع النصوص والرؤى في وقت كان فيه النص الديني مصدر سلطة وحجة، وخصوصا إذا كان النص الديني يدور حول إطار عام، ووُظفت تفاصيله في قضية منوطة بالبشر، كقضية الأحقية في الخلافة على سبيل المثال[4].

ويرى الملاح[5] أن من أسباب تقدم بني أمية على بني هاشم هو تمرسهم بشؤون الحكم والسياسة منذ عصر ما قبل الإسلام، إضافة إلى غناهم ونشاطهم في التجارة مما أسهم في توثيق صلاتهم مع الناس واحتلالهم مواقع مؤثرة في المجتمع، بالإضافة إلى رغبة قريش في عدم حصر الرئاسة في بيت واحد هو البيت الهاشمي[6]، وهذا ما جعل أغلب المرشحين لمنصب الخلافة الذين اختارهم عمر بن الخطاب ينحازون إلى عثمان- مرشح بني أمية- ويتخلون عن علي- مرشح بني هاشم-، ولا ننسى أن عثمان كان مؤهلا أكثر- في رأي حمدان- بسبب عامل السن، وفي هذا الحضور لعامل السن دليل على أثر التقاليد القبلية[7]، بالإضافة إلى تعليل الطبري الذي يتبين من روايته لمقولة علي: "إن الناس ينظرون إلى قريش، وقريش تنظر إلى بيتها

---

(١) يقال: الأسجح من الرجال أي الحسن المعتدل، والسجح هو اللين واليسر والسهولة. انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مج٣، ص ١٩٤٠.

(٢) ورد عند البخاري ومسلم في حق سلمة بن الأكوع وليس معاوية. انظر: البخاري، أبي عبدالله محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦هـ/ ٨٦٩م). **صحيح البخاري.** دار ابن كثير، دمشق، ٢٠٠٢م، كتاب الجهاد والسير، حديث رقم ٣٠٤١، ص ٧٤٨ (سيشار إليه فيما بعد: البخاري، **صحيح**)؛ مسلم، أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ/ ٨٧٤م). **صحيح مسلم.** تحقيق: صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، الرياض، ١٩٩٨م، كتاب السير والجهاد، حديث رقم ١٨٠٦، ص ٧٥٢. (سيشار إليه فيما بعد: مسلم، **صحيح**)؛ انظر أيضا: ابن عساكر، **تاريخ دمشق**، ج٥٩، ص ٦١.

(٣) ابن سعد، **الطبقات**، ج٦، ص ١٧؛ البلاذري، **أنساب الأشراف**، ج٥، ص ٥٨؛ ابن عساكر، **تاريخ دمشق**، ج٥٩، ص ٦١.

(٤) عكاشة، "النص والخلافة"، مج٢، ع٣، ص ١٢٥- ١٣٩.

(٥) الملاح، "أساليب تداول السلطة"، ع٧، ص ٧- ٣٣.

(٦) فوزي، **الخلافة الأموية**، ص ٦٨.

(٧) حمدان، **الخلافة**، ص ٥٦.

فتقول: إن ولي عليكم بنو هاشم لم تخرج منهم أبداً، وما كانت في غيرهم من قريش تداولتموها بينكم"[١].

وهذا الرأي يتوافق منطقيا مع ما ذُكر آنفا في العوامل التي أثرت في وصول بني أمية للسلطة. ويدلل الملاح[٢] على هذا الرأي أيضا برواية أخرى للطبري، تقول أن علي خاطب قوم معه من بني هاشم قائلاً:

"إن أطيع فيكم قومكم لم تؤمّروا أبداً. وتلقّاه العباس، فقال: عدلت عنا! فقال: وما علمك؟ قال: قرن بي عثمان، وقال: كونوا مع الأكثر، فإن رضي رجلان رجلاً، ورجلان رجلاً فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف، فسعد لا يخالف ابن عمه عبد الرحمن، وعبد الرحمن صهر عثمان، لا يختلفون، فيوليها عبد الرحمن عثمان، أو يوليها عثمان عبد الرحمن، فلو كان الآخران معي لم ينفعاني، بله إني لا أرجو إلا احدهما"[٣].

ومما سبق يتضح أن قصة أصحاب الشورى كانت أحد الحوادث التي أسهمت في دفع عجلة وصول بني أمية لمنصب الخلافة، وبالمقابل كانت فرصة بني هاشم ضعيفة، رغم أن شروط الأحقية والشرعية كالقرشية والسابقة تنطبق عليهم، إلا أن محاولاتهم في مزاحمة بني أمية على منصب الخلافة لم تفلح، والدليل على ذلك أن علي قال حينها لعبد الرحمن بن عوف عندما بايع عثمان: "حبوته حبو دهر؛ ليس هذا أول يوم تظاهرتم فيه علينا؛ فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون؛ والله ما وليت عثمان إلا ليرد الأمر إليك؛ والله كل يوم هو في شأن؛ فقال عبد الرحمن: يا علي لا تجعل على نفسك سبيلا؛ فإني قد نظرت وشاورت الناس؛ فإذا هم لا يعدلون بعثمان"[٤]، ويؤكد الدوري الرأي القائل أن شيخوخة عثمان، وقرابة النسب والمصاهرة بين عبد الرحمن وعثمان، بالإضافة إلى اعتبارات وتقاليد سياسة تحتكم إلى الاتجاهات القبلية كانت سببا في تقديم عثمان على علي[٥].

وعلى الرغم من أن فوزي يضعّف هذا الرأي، ويبرر وجهة نظره بأن عبد الرحمن بن عوف كان شديد الإيمان زاهدا في الخلافة، وحريصا على مصالح المسلمين خصوصا في مسألة

(١) الطبري، **تاريخ**، ج٤، ص ٢٣٣.

(٢) الملاح، "أساليب تداول السلطة"، ع٧، ص ٧- ٣٣.

(٣) الطبري، **تاريخ**، ج٤، ص ٢٢٩؛ انظر أيضا: البلاذري، **أنساب الأشراف**، ج٦، ص ١٢٤.

(٤) الطبري، **تاريخ**، ج٤، ص ٢٣٣؛ حمدان، **الخلافة**، ص ٦٢.

(٥) الدوري، عبد العزيز. **مقدمة في تاريخ صدر الإسلام**. مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٧م، ص ٥٨. (سيشار إليه فيما بعد: الدوري، **مقدمة في تاريخ**).

حساسة كالخلافة[1]، ويمكن القبول برأي فوزي، وذلك استنادا إلى رواية الطبري على لسان عبد الرحمن بن عوف حين أخذ عهدا على نفسه: "عليّ ميثاق الله ألا أخص ذا رحم لرحمه، ولا ألو المسلمين"[2].

ويبرئ فوزي[3] أيضا عليًا مما نسب إليه من مطامع في الخلافة، وأنه- كغيره من الصحابة- ما كان يطلبها إلا من قبيل المسؤولية في سياسة أمور الدين والدولة، ويدلل على قوله بما ورد في قول علي عندما رشح للخلافة: "وأنا لكم وزيرا، خيرٌ لكم مني أميرا"[4]. وأيضا أنه حين حضرته الوفاة كانت ردة فعله الأولى عندما أشاروا عليه بالعهد لابنه الحسن، قوله: "لا ولكن أدعكم كما ترككم رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن يرد الله بكم خيرا يجمعكم على خيركم كما جمعكم على خيركم بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم"[5].

ويرى شعبان أن علي كان مفضولا أكثر من عثمان عند جمهور المسلمين آنذاك، ويدلل على رأيه هذا بأن عثمان كان يمثل خيارا قبليا قرشيا مرتبط بالمصالح المكية أكثر من علي، وذلك لأن علي- من وجهة نظره- وإن كان مكي المولد، إلا أنه مدني الروح، وعليه فهو المرشح الأفضل عند أهل المدينة، ولكن عثمان كان يفهم مصالح قريش أكثر بحكم ثروته الكبيرة وعلاقاته التجارية الواسعة[6].

ويرى حمدان أن سبب تفضيل عثمان على علي بالإضافة إلى ما سبق، هو أن عبد الرحمن بن عوف كان قد طلب من علي وعثمان في صبيحة يوم الانتخاب أن يقسما أمام

---

(١) فوزي، **الخلافة الأموية**، ص ٦٨.

(٢) الطبري، **تاريخ**، ج٤، ص ٢٣١؛ الخاطرية، خلود بنت حمدان بن سعيد. **أبعاد تأثير القبيلة في السياسة الأموية في بلاد الشام والجزيرة الفراتية (٦٤- ٧٣هـ/ ٦٨٣- ٦٩٢م).** رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة السلطان قابوس، ٢٠١٤م، ص ١٠. (سيشار إليه فيما بعد: الخاطرية، **أبعاد تأثير القبيلة**).

(٣) فوزي، **الخلافة الأموية**، ص ٦٨.

(٤) ابن أبي طالب، علي (ت ٤٠هـ/ ٦٦٠م). **نهج البلاغة.** تحقيق: صبحي الصالح، دار الكتاب المصري، القاهرة، ٢٠٠٤م، خطبة رقم ٩٢، ص ١٣٦. (سيشار إليه فيما بعد: ابن أبي طالب، **نهج البلاغة**).

(٥) ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج٧، ص ٦١٥.

(٦) شعبان، محمد عبد الحي. **صدر الإسلام والدولة الأموية.** الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٧م، ص ٧٥. (سيشار إليه فيما بعد: شعبان، **صدر الإسلام**).

المسلمين، فأجاب علي بتحفظ قائلا: "اللهم لا، ولكن على جهدي من ذلك وطاقتي"[١]، وبهذا يظهر أن عليًا اتخذ الاجتهاد أساسا لبيعته[٢].

أما عثمان، فوافق عبد الرحمن على شرطه قائلا: "اللهم نعم"[٣]. فكان للإجابتين الأثر المهم في تقديم عثمان على علي، وإعطائه البيعة من قبل عبد الرحمن وأصحاب الشورى[٤]. ويرى فلهوزن أن سبب اختيار عثمان هو ضعفه، وأن رجال الشورى أرادوا رجلا ضعيفا ولم يريدوا رجلا قويا مثل عمر[٥].

وإذا نظرنا في تلك الآراء، نجد أن رأي شعبان وإن بدا في ظاهره مخالفا للرأي الآنف الذي يؤكد على أن أهل الشورى جميعا كانوا يميلون إلى عثمان، فإن الرأيين في الحقيقة لا يتناقضان، فقد كان جمهور المسلمين عامة- بلا شك- يميلون إلى علي؛ كونه الأسبق إسلاما، والأقرب نسبا ورحما من الرسول، والأعمق ارتباطا بأحداث الإسلام، ولكن الوضع يختلف فيما يخص أهل الشورى الذين اختارهم عمر، فقد كان عثمان الأكثر حضورا في رأيهم، للأسباب التي تمت الإشارة إليها مسبقا، بالإضافة إلى عوامل السن والتجربة والحنكة والخبرة وغيرها[٦]، وهي كان معمول بها في العرف الإسلامي؛ فقد كان لشيخوخة أبي بكر الصديق- رضي الله عنه- أثر في انتخابه بعد وفاة الرسول، بالإضافة إلى خصاله الأخرى كالسبق إلى الإسلام، والصحبة، وإمامة الناس في الصلاة أثناء مرض الرسول الأخير، والدليل على ذلك ما روي في أنه حين احتج علي على البيعة لأبي بكر، أجابه أبو عبيدة بن الجراح بقوله: "يا بن عم إنك حديث السن وهؤلاء مشيخة قومك، ليس لك مثل تجربتهم، ومعرفتهم بالأمور"[٧].

إلا أن المتمعن لتلك الأحداث يمكن أن يخرج بنتيجة مفادها، أن ذلك كله يمكن إرجاعه إلى مؤثرات اجتماعية وبيئية أسهمت في تكوين شخصية كل من الأفراد الذين ينتمون لأيا الجانبين؛ فالشخصية الأموية تميزت بمكانة اجتماعية مرموقة في المجتمع الجاهلي، وأيضا كان

---

(١) الطبري، **تاريخ**، ج٤، ص ٢٣٨؛ النويري، **نهاية الإرب**، ج٢٠، ص ٢٤٣.

(٢) حمدان، **الخلافة**، ص ٦١.

(٣) الطبري، **تاريخ**، ج٤، ص ٢٣٨؛ النويري، **نهاية الإرب**، ج٢٠، ص ٢٤٣.

(٤) حمدان، **الخلافة**، ص ٦١.

(٥) فلهوزن، **تاريخ**، ٣٨؛ حمدان، **الخلافة**، ص ٦١.

(٦) يوجه سوي، **تطور الفكر السياسي**، ص ٤٥.

(٧) ابن قتيبة، **الإمامة والسياسة**، ج١، ص ٢٩؛ حمدان، **الخلافة**، ص ٣٠.

لبني أمية حضورهم الاقتصادي القوي إذا ما قورن ببني هاشم[١]، بالإضافة إلى أن الظروف التي عاش فيها الفرد الأموي (معاوية مثلا) أكسبته صفة الحنكة والدراية والدهاء والمكر[٢]، ولذلك نجد معاوية يقول: "لا أضع لساني حيث يكفيني مالي، ولا اضع سوطي حيث يكفيني لساني، ولا أضع سيفي حيث يكفيني سوطي، فإذا لم أجد من السيف بداً ركبتهُ"[٣].

وروي عن معاوية أنه قال: "أُعِنت على علي بكتماني سري ونشره أسراره، وبطاعة أهل الشام لي ومعصية أصحابه له، وبذلي مالي وإمساكه إياه"[٤]، وفي رواية: "أغلظ رجل لمعاوية وأسرف فحلم عنه فقيل: أتحلم عن هذا؟! فقال: إني لا أحول بين الناس وألسنتهم ما لم يحولوا بيننا وبين ملكنا"[٥]، وروى البلاذري عن المدائني: "اغلظ أبو الجهم بن حذيفة العدوي لمعاوية وقال: أراحنا الله منك يا معاوية، فقال: ويحك إلى من: إلى بني زهرة فما عندهم نصر ولا فضل، أم الى بني مخزوم فوالله لو نالوا من الأمر شيئاً ما كلموكم كِبراً، أم الى بني هاشم فوالله لو نالوها لاستأثروا عليكم، وإنا على ما فينا لنعطي السائل ونجود بالنائل، ولا تزال العرب غُلب الرقاب ما رأوا أشياخنا على المنابر"[٦].

وقول معاوية: "لو كانت بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت، قيل: وكيف يا أمير المؤمنين؟ قال: إن جبذوها[٧] أرسلتها، وإن خلوها جبذتها"[٨]، وما روي عن ابن عباس أنه قال: "قد علمت بما كان معاوية يغلب الناس، كان إذا طاروا وقع وإذا وقعوا طار، وإذا قعدوا قام وإذا قاموا قعد"[٩]. هذا كله دليل على أن مكونات وتركيبة الشخصية والعقلية الأموية كانت أحد العوامل التي أوصلت بني أمية للسلطة.

---

(١) الملاح، "أساليب تداول السلطة"، ع٧، ص ٧- ٣٣.

(٢) ابن سعد، **الطبقات**، ج٢، ص ٣٠٣؛ ابن حبيب، **المحبّر**، ص ١٨٤؛ البلاذري، **أنساب الأشراف**، ج٥، ص ٩١؛ اليعقوبي، **تاريخ**، ج٢، ص ١٥٠.

(٣) البلاذري، **أنساب الأشراف**، ج٥، ص ٢٨؛ ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ج١، ص ٢٥.

(٤) البلاذري، **أنساب الأشراف**، ج٥، ص ٢٤.

(٥) **المصدر نفسه**، ج٥، ص ٢٨.

(٦) **المصدر نفسه**، ج٥، ص ٢٨.

(٧) جبذوها أي جذبوها وشدوها. انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مج٦، ص ٥٣٤.

(٨) البلاذري، **أنساب الأشراف**، ج٥، ص ٩٣.

(٩) **المصدر نفسه**، ج٥، ص ٩٣.

في الجانب الآخر تميزت الشخصية الهاشمية- خصوصا في تلك الفترة الزمنية- بطبيعة هادئة يغلب عليها العاطفة الدينية بما تحويه من معاني الطهر والشفافية، وهذا الأمر ظهر بصورة جلية في الفترة اللاحقة، فقد غلب على آل البيت العلويين صفة اللين وكأنهم يمثلون الفئة الأقل معرفة بحيل السياسة ودهاء المتكالبين عليها، ودليل على ذلك الرواية القائلة أن المغيرة بن شعبة أشار على الخليفة علي بن أبي طالب عندما آلت إليه الخلافة قائلا: "يا أمير المؤمنين! إن لك عندي نصيحة فاقبلها، قال علي: وما تلك يا مغيرة؟ قال: لست اني أخاف عليك أحدا يخالفك ويشعث عليك إلا معاوية بن أبي سفيان، لأنه ابن عم عثمان والشام في يده، فابعث إليه بعهد وألزمه طاعتك، وابعث إلى عبدالله بن عامر بن كريز بعهده على البصرة، فإنه يسكن عنك الأعداء ويهدي عليك البلاد؛ فقال علي: ويحك يا مغيرة! والله ما منعني من ذلك إلا قول الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: {وما كنت متخذ المضلين عضدا}[1] والله! لا يراني الله تعالى وأنا أستعمل معاوية على شيء من أعمال المسلمين أبدا، ولكني أدعوه إلى ما نحن فيه، فإن هو أجاب إلى ذلك أصاب رشده وإلا حاكمته إلى الله عزّ وجلّ؛ قال: فسكت المغيرة بن شعبة وانصرف إلى منزله"[2].

وفي الجانب النظير يغلب على الشخصية الأموية المتمثلة في معاوية الحنكة والدهاء والدراية بالأمور السياسية[3]، ويمكن مقارنة شخصيتي علي مع معاوية مثلا، أو الحسين مع يزيد، وحتى شخصيتي أبو موسى الأشعري كونه ممثلا لعلي في التحكيم وشخصية عمرو بن العاص والخدعة التي اتفقا عليها عمرو بن العاص ومعاوية[4]، وإن كان أبو موسى الأشعري ليس هاشميا ولكنه يمثل الجانب الهاشمي؛ لذا ترى الباحثة أن الشخصية الأموية[5] كانت تتمتع بقابليات تتناسب مع ما تقتضيه السلطة السياسة من شدة ودهاء، وهو ما لم يتوافر عند بني هاشم، وليس من شيء يمكن الاستناد عليه في هذا الرأي أكثر مما أورده ابن سعد: أن معاوية خطب الناس يوما وكان مما قاله: "يا أيها الناس إنا نحن أحق بهذا الأمر، نحن شجرة رسول الله، صلى

---

(١) القرآن الكريم، **سورة الكهف:** الآية ٥١.

(٢) ابن أعثم الكوفي، **الفتوح**، ج١، ص ٤٤٦.

(3) Hawting, G. R., **The First Dynasty of Islam: The Umayyad Caliphate AD 661-750.** Routledge, London and New York, 2000 AD, P.42. (It's will be pointed to later: Hawting, **The First Dynasty of Islam**).

(٤) ابن مزاحم، **وقعة صفين**، ص ٥٤٥؛ ابن سعد، **الطبقات**، ج٦، ص ٢٦؛ ابن خياط، **تاريخ**، ص ١٩١؛ المسعودي، **مروج الذهب**، ج٢، ص ٣٠٩؛ الطبري، **تاريخ**، ج٥، ص ٧٠؛ ابن العربي، **العواصم**، ص ٣١٠.

(٥) العش، يوسف. **الدولة الأموية.** دار الفكر، دمشق، ١٩٨٥م، ص ١٣٠. (سيشار إليه فيما بعد: العش، **الدولة الأموية).**

الله عليه وسلم، وبيضته التي انفلقت عنه، ونحن ونحن، فقال صعصعة: فأين بنو هاشم منكم؟ قال: نحن أسوس منهم وهم خير منا"(١).

وفي رواية أخرى لابن سعد عن ثابت مولى سفيان "قال: سمعت معاوية يقول: إنــي والله لست بخيركم، وإن فيكم من هو خير منـي، عبد الله بـن عُمَر وعبد الله بـن عَمْرو بـن العـاص وغيرهما من الأفاضل، ولكني عسيت أن أكون أنكاكم فـي عدوكم وأنعتكم لكم ولايـة وأحسنكم خلقا"(٢). وهذا يتفق مع ما توصل إليه خير الدين يوجه سوي قائلا: إن انتقال السلطة إلى الأمويين كان نتيجة لاستعلاء القوى والمفاهيم القبلية في وجه الاتجاه الإسلامي(٣).

ولكي يحقق الأمويون شرعية لخلافتهم استنادا علـى مبدأ القرشية، فقد اشـاعوا بعض الأحاديث المشكوك في صحتها مثل: "الأئمة مـن قـريش"(٤)، ومـا روى البخـاري فـي صـحيحه: "كان محمد بن جبير بن مطعم يحدث أنه بلغ معاوية- وهم عنده في وفد من قريش- أن عبد الله بن عمرو بن العاص يحدِّث أنه سيكون ملِك من قحطان، فغضب معاوية، فقام فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال: أما بعد فإنه بلغني أن رجالاً منكم يحدّثون أحاديث ليست في كتاب الله، ولا تؤثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأولئك جُهالكم، فإياكم والأماني التي تضل أهلها، فـإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن هذا الأمر فـي قـريش، لا يعـاديهم أحد إلا كبـه الله علـى وجهه، ما أقاموا الدين"(٥).

---

(١) ابن سعد، **الطبقات**، ج٦، ص ١٩.

(٢) **المصدر نفسه**، ج٦، ص ١٩.

(٣) يوجه سوي، **تطور الفكر السياسي**، ص ٥٦.

(٤) الماوردي، أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب (ت ٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م). **الأحكام السلطانية**. تحقيق: سمير مصطفى رباب، المكتبة العصرية، صيدا، ٢٠٠٣م، ص ١٤. (سيشار إليه فيما بعد: الماوردي، **الأحكام**)؛ ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج٩، ص ١٨٢؛ ابن خلدون، عبد الرحمن (ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٦م). **مقدمة ابن خلدون**. تحقيق: خليل شحادة وسهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠١م، ص ٢٣٢. (سيشار إليه فيما بعد: ابن خلدون، **المقدمة**)؛ المقريزي، **النزاع والتخاصم**، ص ٢٦؛ حمدان، **الخلافة**، ص ٢٧.

(٥) البخاري، أبي عبدالله محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦هـ/ ٨٦٩م). **صحيح البخاري**. دار ابن كثير، دمشق، ٢٠٠٢م، حديث رقم ٣٥٠٠، ص ٨٦٥. (سيشار إليه فيما بعد: البخاري، **صحيح**)؛ عكاشة، "النص والخلافة"، مج٢، ع٣، ص ١٢٥- ١٣٩.

بالإضافة إلى ما روي حول ما حدث يوم السقيفة، والتي تؤكد على أحقية قريش وعشيرة الرسول دون غيرهم[1]. ويوكد حمدان على الرأي القائل بأن تلك الأحاديث ما هي إلا دعاية أموية أوجبتها ضرورات سياسية، قصد منها التنويه لإثبات حق قريش بالخلافة[2].

اعتبر الأمويون تلك الأحاديث، أحد الأدلة القوية التي توجب أحقيتهم الشرعية في الحكم. ومعلوم أن الأحقية القائمة على القرشية (القرابة) من وجهة نظر الأموية، أوجدت ردود أخرى تخالف الرأي الأموي، فإذا كانت القرشية التي تعني القرابة هي المعيار في الأحقية، فإن آل بيت النبي يرون أنهم الأولى بها من تيم وعدي وأمية وما سواهم من بطون قريش وفروعها، وهذا ما أكد عليه علي بن أبي طالب قائلا للمهاجرين يوم السقيفة عندما احتجوا بأن الخلافة يجب أن تكون في قريش: "أخذتم هذا الأمر من الأنصار، واحتججتم عليه بالقرابة من النبي صلى الله عليه وسلم، وتأخذونه من أهل البيت غصبا؟"[3].

وكذلك قول علي في اجتماع أصحاب الشورى: "إن الناس ينظرون إلى قريش، وقريش تنظر إلى بيتها فتقول: إن ولي عليكم بنو هاشم لم تخرج منهم أبداً، وما كانت في غيرهم من قريش تداولتموها بينكم"[4]. وأيضا بالنسبة لموضوع الشرعية المستندة على السابقة في الإسلام، فالمخالفين لهذه النظرة الأموية يرون أنهم لا يستحقوها لأنه ليس لهم سابقة في اعتناق الإسلام كعلي بن أبي طالب مثلا الذي يستحقها بجدارة كونه حاز القرشية والسابقة والوصية[5].

---

(١) للمزيد من التفاصيل. انظر: حمدان، **الخلافة**، ص ٢٧ وما بعدها.

(٢) **المرجع نفسه**، ص ٤٣.

(٣) ابن قتيبة، **الإمامة والسياسة**، ج١، ص ٢٨.

(٤) الطبري، **تاريخ**، ج٤، ص ٢٣٣.

(٥) تشير بعض الروايات وبالأخص الشيعية منها أن الرسول- صلى الله عليه وسلم- أوصى لعلي بن أبي طالب، بالقرب من الجحفة بين مكة والمدينة في موضع يقال له غدير خم، وذلك في طريق عودته من حجة الوداع سنة ١٠هـ/ ٦٣٢م. انظر: ابن مزاحم، **وقعة صفين**، ص ٣٣٨؛ اليعقوبي، **تاريخ**، ج١، ص ٤٤٢؛ ابن ماجه، الحافظ أبو عبدالله محمد بن يزيد (ت ٢٧٥هـ/ ٨٨٨م). **سنن ابن ماجه**. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، د م، د ت، كتاب السنة، حديث رقم ١١٦، ج١، ص ٤٣. (سيشار إليه فيما بعد: ابن ماجه، **السنن**)؛ ابن أعثم الكوفي، **الفتوح**، ج٣، ص ٧٧؛ المسعودي، **مروج الذهب**، ج٢، ص ٣٣٠؛ الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن حسين بن بابويه (ت ٣٨١هـ/ ٩٩١م). **الخصال**. تحقيق: علي أكبر الغفاري، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم، ١٣٠٣هـ، ج١، ص ٣١١. (سيشار إليه فيما بعد: الصدوق، **الخصال**)؛ الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن حسين بن بابويه (ت ٣٨١هـ/ ٩٩١م). **معاني الأخبار**. تحقيق: السيد محمد كاظم الموسوي، العتبة الحسينية المقدسة، كربلاء، ٢٠١٤م، ج١، ص ١١٠. (سيشار إليه فيما بعد: الصدوق، **معاني الأخبار**)؛ الكرماني، أحمد حميد الدين (ت ٤١١هـ/ ١٠٢٠م). **المصابيح في إثبات الإمامة**. تحقيق: مصطفى غالب، دار المنتظر، بيروت، ١٩٩٦م، ص ٨٥. (سيشار إليه فيما بعد: الكرماني، **المصابيح**)؛ ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج٧، ص ٥٧٤؛ المقريزي، **النزاع والتخاصم**، ص ٢٨؛ الأميني النجفي، عبد الحسين أحمد. **الغدير في**

ومن الأمور التي ينبغي الاعتبار لها أيضا في أحقية بنو أمية بالسلطة أكثر من غيرهم- من وجهة نظرهم على الأقل- الرواية القائلة بأن العباس أخذ بيد علي، والنبي على فراش الموت، قائلا له: "إني أرى أن رسول الله سيُتوفى في وجعه هذا؛ وإني لأعرف وجوه بني عبد المطلب عند الموت؛ فاذهب إلى رسول الله فسله فيمن يكون هذا الأمر؟ فإن كان فينا علمنا ذلك، وإن كان في غيرنا أمر به فأوصى بنا. قال علي: والله لئن سألناها رسول الله فمنعناها لا يعطيناها الناس أبدا؛ والله لا أسألها رسول الله أبدا"[١].

ومن الأدلة الأخرى التي تثبت ارتباط موضوع الأحقية والشرعية لدى الأمويين بوراثة الخلافة هو ما أشرنا إليه آنفا حول قميص عثمان المقتول ظلما، وقناعة معاوية بأن الخلافة يجب أن تظل أموية حتى وإن قتل عثمان، والمبرر في ذلك هو الثأر له ممن قتلوه ظلما. ويتبين نضج هذه الفكرة في العقل الأموي هو ما ذهب إليه معاوية فيما بعد من توريث ابنه يزيد الخلافة بعد قرابة ربع قرن من مقتل عثمان. وبذلك فإن مما سبق يتضح أن أحد معطيات التوريث في البيت الأموي هو موضوع الأحقية التي تستند على القرشية، وبالتالي تبرر فكرة الوراثة التي تقود إلى الاقتناع بالجبرية الأموية التي تعني التطبيق لإرادة الله وامتثال أمره في سياسة أمور العباد، وأكد عليها الأمويون كثيرا، فقد خاطب معاوية جلساءه يوما وأظهر الجبر في قوله: "لو لم يرني ربي أهلا لهذا الأمر، ما تركني وإياه، ولو كره الله تعالى ما نحن فيه لغيره"[٢]، وكان يقول أيضا: "أنا خازن من خزان الله، أعطي من أعطاه الله تعالى، وأمنعُ من منعه الله تعالى ولو كره الله امرا لغيّره"[٣].

كما أن سلطة الخليفة الأموي وصلاحياته تستند على إيمان الأمويين واعتقادهم بأنهم "أصلح الناس للحكم وأقوّم الناس بأعبائه"[٤] ولهذا فقد كانت سلطة الخليفة في العصر الأموي

الكتاب والسنة والأدب. مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٩٤م، ج١، ص ٢٧. (سيشار إليه فيما بعد: الأميني النجفي، **الغدير**)؛ الشهرستاني، هبة الدين الحسيني. **رسالة غديرية.** تحقيق: عماد الكاظمي، مؤسسة إحياء تراث السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني، بغداد، ٢٠١٥م، ص ٦٠. (سيشار إليه فيما بعد: الشهرستاني، **رسالة غديرية**).

(١) الطبري، **تاريخ**، ج٣، ص ١٩٣؛ انظر أيضا: ابن سعد، **الطبقات**، ج٢، ص ٢١٥؛ حمدان، **الخلافة**، ص ٢٠.

(٢) عبد الجبار، **فضل الاعتزال**، ص ١٤٣؛ نوري، "التحولات"، ع٢٠، ص ١٩٧- ٢٢٥.

(٣) عبد الجبار، **فضل الاعتزال**، ص ١٤٣.

(٤) فوزي، **الخلافة الأموية**، ص ٥٥.

واسعة، حيث كان الخليفة رئيس السلطات بلا منازع[١]، وعلى الرغم من ذلك فقد كان الحكم الأموي أقرب إلى التقاليد القبلية والعربية أكثر من الحكم العباسي فيما بعد[٢]، وبدا ذلك واضحا في احتفاظ الخلفاء الأمويين بالعلاقات مع الأطراف القبلية، وكان الحكم الأموي أيضا يميل لـ اللامركزية، لذا كان الخلفاء يمنحون صلاحيات لولاتهم، ومثال على ذلك ولاية الحجاج على العراق والمشرق[٣]. ولكن الفرق الذي حصل بينهم وبين شيخ القبيلة العربي هو أن الأخير لم يكن مستبدا بسلطات فردية مطلقة، وهذا يعني أن مفهوم السلطة السياسية في العصر الأموي تطورت إلى مفهوم (سلطة حاكم) بعد أن كانت (إدارة الحكم) قبل وصولهم للخلافة[٤].

مما سبق يتضح أن سلطات وصلاحيات الخليفة في العصر الأموي تستند إلى أنهم هم الأحق بالخلافة لأنهم يطالبون بدم عثمان؛ احقاقا للحق والعدل، ولأنهم خلفاء الله في الأرض وفي عباده ولذلك وجب على الناس طاعتهم؛ امتثالا لأمر الله، ولأنهم من بيت سؤدد[٥] وشرف من قريش والخلافة يجب أن تكون فيهم، ولأن معاوية وعلي احتكما إلى الله، فساقها الله إلى معاوية بعدما أجمع الناس عليه؛ لذا وجب أن تظل وراثية في البيت الأموي[٦].

وبما أن مفهوم (سلطة الحاكم) تعني القهر والقسر والإرغام، فإن ذلك تجلى في مناسبات لا حصر لها في العصر الأموي، منها على سبيل المثال: اللجوء إلى القسوة والإكراه في البيعة ليزيد، حيث أسفر عن تطور جديد في تداول السلطة من الشورى والانتخاب إلى (التوريث)، الذي يعد سلب لحق الأمة لأنه لم يكن بيعة بالرضا بين الطرفين كما هو الحال في الدولة الإسلامية قبل وصل الأمويين للخلافة، وهذا التطور أفضى إلى بروز حق الخليفة على حساب حقوق الأمة، حيث يعتبر بمثابة تعهدا شخصيا معززا بالإيمان بالولاء للخليفة بالطاعة والنصرة

---

(١) البغيلي، نقد النظرية، ص ٩- ١٣.

(٢) جب، هاملتون. **دراسات في حضارة الإسلام.** ترجمة: إحسان عباس ويوسف نجم ومحمود زايد، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٩م، ص ٤٨. (سيشار إليه فيما بعد: جب، **دراسات**).

(٣) الطبري، **تاريخ**، ج٦، ص ٣٤١.

(٤) نوري، "تحولات"، ع٢٠، ص ١٩٧- ٢٢٥.

(٥) "كان لبني عبد مناف في قريش جمل من العدد والشرف لا يناهضهم فيها أحد من سائر بطون قريش. وكان فخذاهم بنو أمية وبنو هاشم حيا جميعا ينتمون لعبد مناف وينسبون إليه. وقريش تعرف ذلك وتسأل لهم الرياسة عليهم، إلا أن بني أمية كانوا أكثر عددا من بني هاشم وأفر رجالا". انظر: ابن خلدون، **تاريخ**، ج٣، ص ٣؛ فوزي، **الخلافة الأموية**، ص ٦٠.

(٦) فوزي، **الخلافة الأموية**، ص ٥٥.

من قبل الأمة[١]؛ لذا وصف الجاحظ الخلافة الأموية بأنها ملكا كسرويا وغصبا وقيصريا[٢]، وهذا الوصف لا يتعارض مع ما تمت الإشارة إليه آنفا في أن الحكم الأموي كان أقرب عهدا للتقاليد القبلية العربية أكثر من غيره من النظم السياسية في الإسلام التي جاءت بعد الأمويين، والأرجح أن ذلك بسبب أسبقية عهد بني أمية زمنيا إذا ما قارناه بالعصور اللاحقة للعصر الأموي.

وفيما يتعلق بصفة الكسروية والقيصيرية، فمن الطبيعي أن ينتبه الناس إلى الاختلاف الواضح بين نمط الحكم في العصر الأموي والنمط الذي سار عليه الخلفاء الراشدين، الذين يمثلون أنموذجا مثاليا في تاريخ الدولة الإسلامية، وخصوصا أن العرب لم تعهد وراثة المناصب حتى مع سيد القبيلة[٣].

ويرى نوري[٤] أن لجوء الأمويين إلى التسلط جاء نتيجة لإيمانهم العميق بأن الفتنة هي الجسر الذي من خلاله تحول مفهوم السلطة من صورتها التقليدية إلى القمع الذي ظهرت الحاجة الملحة إليه؛ لقمع الفتنة والحفاظ على وحدة الجماعة الذي يستلزم مزيدا من الحزم والقوة، وقد عبر الحجاج بن يوسف عن ذلك قائلاً: "سلطان تخافه الرعية خير من سلطان يخافها"[٥].

لقد اتسعت سلطات الخلفاء وصلاحياتهم في العصر الأموي لتشمل: إدارة الدولة، وتعيين ولاة العهد، وتعيين ولاة الأقاليم الكبرى، وكذلك تعيين القادة والقضاة وأصحاب الدواوين وغيرهم من موظفي الدولة، ونظرا لأن الدولة الأموية اعتمدت النظام اللامركزي في الإدارة، فقد كان الخليفة يستعين ببعض الموظفين الكبار في تحمل أعباء سياسة الدولة، ومن صلاحيات الخليفة الأموي إصدار الأحكام بحق قيادي الثورات والخارجين على الدولة، كالحكم الذي أصدره معاوية

---

(١) ابن سعد، **الطبقات**، ج٦، ص ٢٧؛ ابن خياط، **تاريخ**، ص ٢١٣؛ ابن أعثم الكوفي، **الفتوح**، ج٤، ص ٣٣٧؛ نوري، "تحولات"، ع٢٠، ص ١٩٧- ٢٢٥.

(٢) انظر: "رسالة الجاحظ في بني أمية": صفوت، أحمد زكي. **جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة.** المكتبة العلمية، القاهرة، ١٩٣٧م، ج٤، ص ٥٨. (سيشار إليه فيما بعد: صفوت، **جمهرة**).

(٣) العشّي، عمار. "العصبية القبلية والمفهوم الخلدوني للدولة: رؤية نقدية لمقال تحول الخلافة إلى ملك". **مجلة المشكاة**، جامعة الزيتونة، ٢٠٠٧م، ع٥، ص ٢٤٩- ٢٦٦. (سيشار إليه فيما بعد: العشّي، "العصبية القبلية").

(٤) نوري، "تحولات"، ع٢٠، ص ١٩٧- ٢٢٥.

(٥) الزمخشري، أبي القاسم محمود بن عمر (ت ٥٣٨هـ/ ١١٤٣م). **ربيع الأبرار في نصوص الأخبار.** تحقيق: عبد الأمير مهنا، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٩٢م، ج٥، ص ١٨٠. (سيشار إليه فيما بعد: الزمخشري، **ربيع**)؛ الأبشيهي، شهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح (ت ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م). **المستطرف في كل فن مستظرف.** تحقيق: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٦م، ص ٨٢. (سيشار إليه فيما بعد: الأبشيهي، **المستطرف**).

بحق حجر بن عدي[1] وعدد من أصحابه سنة ٥١هـ/ ٦٧١م[2]، ومن الأمثلة على صلاحيات الخلفاء وسلطاتهم في تعيين ولاة العهد ما فعله الخليفة معاوية عندما أراد البيعة ليزيد، وكيف أستطاع إرغام أهل الأمصار على القبول بهذا القرار والعمل به[3].

ثالثا: مستويات صنع القرار واتخاذه في الدولة الأموية:

لما كان من الطبيعي والمنطقي أن تتعدد مستويات صنع القرار وتتدرج من الأعلى للأدنى، فإن الحديث عن هذا الأمر يحيلنا بدوره إلى مسألة المركزية واللامركزية في الدولة الأموية، ويقصد باللامركزية في أبسط مفاهيمها المتفق عليها نسبيا: نقل السلطة إلى مراكز مختلفة داخل كيان واحد، ووفقا لذلك تعرف اللامركزية الإدارية بأنها: نقل الوظائف والمسؤوليات الإدارية إلى المستوى المحلي[4].

وعكس اللامركزية، المركزية ويمكن تعريفها بأنها: حصر السلطة وجعلها في يد سلطة رئاسية واحدة في جميع أنحاء الدولة، بمعنى أنه لا توجد في الدولة سوى سلطة واحدة تتولى الوظائف بنفسها أو بواسطة موظفين لا يتمتعون بالاستقلال عن السلطة المركزية، وإنما يستمدون سلطتهم في العمل وحقهم في القيام باختصاصاتهم من السلطة الرئاسية في العاصمة، والتي تسير على ما أوكله إليها الدستور من مهام القيام بالوظيفة التي تختص بها، وذلك عن طريق أقسامها وتابعيها الخاضعين لها ولرئاستها في مختلف أرجاء الدولة[5].

---

(١) حجر بن عدي بن جبلة بن عدي الكندي الكوفي، صحابي من أنصار علي، من رؤوساء أهل الكوفة، شهد معه وقعتي الجمل وصفين، خرج على معاوية فقتله سنة ٥١هـ/ ٦٧١ في موقعة مرج عذراء في إحدى قرى دمشق. انظر: ابن خياط، **تاريخ**، ص ٢١٣؛ ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج٨، ص ٦٣؛ الزركلي، **الأعلام**، ج٢، ص ١٦٩.

(٢) اليعقوبي، **تاريخ**، ج٢، ص ١٤٠؛ الطبري، **تاريخ**، ج٥، ص ٢٧٨.

(٣) ابن خياط، **تاريخ**، ص ٢١٣- ٢١٤؛ ابن قتيبة، **الإمامة والسياسة**، ج١، ص ٢٠٤: ٢١٣؛ ابن أعثم الكوفي، **الفتوح**، ج٤، ص ٣٣٧.

(٤) للمزيد من التفاصيل. انظر: عدوي، محمد أحمد علي. "اللامركزية ودعم المشاركة السياسية". **مجلة الديمقراطية**، مؤسسة الأهرام، ٢٠١٠م، مج١٠، ع٤٠، ص ٢٥- ٣٤. (سيشار إليه فيما بعد: عدوي، "اللامركزية ودعم المشاركة السياسية").

(٥) أبو العز، عبد الباسط علي. "اللامركزية بين النظرية والتطبيق". **مجلة مصر المعاصرة**، الجمعية المصرية للاقتصاد السياسي والإحصاء والتشريع، ٢٠٠٨م، مج١٠٠، ع٤٩١، ص ٢٦٣- ٢٩٦. (سيشار إليه فيما بعد: أبو العز، "اللامركزية بين النظرية والتطبيق").

ومن تعاريف المركزية أيضا: قصر الوظيفة الإدارية في الدولة على ممثل الحكومة في العاصمة، أي: إنفراد سلطة إدارية واحدة مقرها العاصمة بممارسة الوظيفة الإدارية بالدولة، عن طريق أقسامها وعمالها التابعين لسلطاتها الرئاسية، سواء داخل العاصمة أو خارجها(١).

وجدير بالذكر أن اتباع الدولة للنهج المركزي أو اللامركزي في نظامها الإداري، مرتبط بظروف الدولة السياسية في المقام الأول، بالإضافة إلى شخصية الخليفة ومدى سيطرته على مقاليد الأمور، والأسس والدساتير والقوانين التي تحكم نظام الحكم في تلك الدولة، وكذلك فإن الدول تتبع الأسلوب اللامركزي في الإدارة في بعض الأحيان بغية تخفيف الأعباء والمسؤوليات عن الإدارة المركزية خصوصا في الأمور التي تتسم بالطابع الإقليمي أو المحلي(٢)، وتسهيلا للقيام بمصالح الرعية دون تأخير أو ضغط على موظفي الإدارة المركزية(٣).

ومن هذا المنطلق، سار خلفاء العصر السفياني في الدولة الأموية على اللامركزية في إدارة شؤون الدولة، وتطبيقا لذلك كان الخلفاء يباشرون تعيين الولاة وعزلهم في الولايات بأنفسهم، وبموجب اللامركزية الإدارية أيضا وفيما يخص صلاحيات الخليفة الأموي، كان الخليفة الأموي يدير بلاد الشام، وكان نظامها الإداري مقسما إلى أجناد منذ زمن عمر بن الخطاب، وكان الخليفة يعيّن الولاة بنفسه- كما أشرنا آنفا- بينما كان الولاة في الأقاليم يعينون من يرونه مناسبا على المناطق التابعة لهم، فقد كان والي العراق يعين الأمراء والعمال على أقاليم المشرق الإسلامي التابعة لولايته دون الرجوع إلى الخليفة في دمشق، وكذلك بالنسبة لوالي مصر فقد كان يعين ولاة أفريقية (تونس وشرقي الجزائر) والمغرب الأوسط والمغرب الأقصى ومن ثم الأندلس بعد فتحها دون الرجوع إلى الخليفة(٤).

---

(١) مستوري، محمد. "مظاهر التنظيم الإداري الحديث في العصر النبوي". **مجلة الحقوق والعلوم الإنسانية**، جامعة عاشور زيان بالجلفة، ٢٠١٩م، مج١٢، ع١، ص ١٥٦- ١٧٠. (سيشار إليه فيما بعد: مستوري، "مظاهر التنظيم الإداري الحديث").

(٢) الطراونة، مصطفى عبد العزيز جمعة. "تطور مفهوم اللامركزية في الادارة المحلية من عهد النبي صلى الله عليه وسلم إلى أواخر العهد العباسي: دراسة مقارنة". **مجلة البحوث القانونية والاقتصادية**، جامعة المنوفية، ٢٠١٣م، مج٢٢، ع٣٧، ص ٦٧١- ٦٩٨. (سيشار إليه فيما بعد: الطراونة، "تطور مفهوم اللامركزية في الادارة المحلية").

(٣) أبو العز، "اللامركزية بين النظرية والتطبيق"، مج١٠٠، ع٤٩١، ص ٢٦٣- ٢٩٦.

(٤) فوزي، **الخلافة الأموية**، ص ٥٢٣.

وكان الأمر مشابه بالنسبة للقضاة، فقد كان الخلفاء الأمويون يعينون قضاة دمشق بأنفسهم(١)، بينما كان ولاة الأقاليم والأمصار يعينون القضاة في ولاياتهم(٢). ومما سبق نستنتج أنه كان للولاة في الفترة موضوع الدراسة قدر كبير من الحرية في إدارة أمور ولاياتهم واختيار معاونيهم(٣)، وهنا تتضح مستويات القرار أيضا فيما يخص الخليفة وولاته.

وعلى مستوى آخر في ولاية العراق مثلا، سار الأمويون في مطلع حكمهم على النظام الإداري الذي كان متبعا في العهد الراشدي والذي كان يقضي بتعيين والي على البصرة وآخر على الكوفة، وظل هذا الوضع قائما حتى توفي أمير الكوفة المغيرة بن شعبة سنة ٥٠هـ/ ٦٧٠م(٤)، فجمع معاوية ولايتي البصرة والكوفة لوالي البصرة آنذاك زياد بن أبي سفيان(٥). وهذا يعني أنه زياد بذلك أصبح مسؤولا عن ولايتي الكوفة والبصرة(٦)، ومن الطبيعي أنه يصعب عليه إدارة هاتين الولايتين بشكل مباشر، فقد استخلف على البصرة سمرة بن جندب، وذهب إلى الكوفة، فكان زياد يقيم ستة أشهر بالكوفة، وستة أشهر بالبصرة(٧).

وولى زياد مولاه سليم ديوان الخراج(٨)، وكتب لزياد أيضا على ديوان العراق زادان فروخ بن بيري الفارسي، وكان يساعده صالح بن عبد الرحمن(١)، وكان يكتب له أيضا مرداس

---

(١) فوزي، **تاريخ النظم**، ص ٢٨٧.

(٢) الزحيلي، محمد. **تاريخ القضاء في الإسلام**. دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٩٩٥م، ص ١٦٦. (سيشار إليه فيما بعد: الزحيلي، **تاريخ القضاء**).

(٣) الرحيلي، سليمان. "ولاة المدينة في العصر الأموي". **دارة الملك عبد العزيز**، ١٩٩٤م، مج١٩، ع٤، ص ٣٠- ٥٧. (سيشار إليه فيما بعد: الرحيلي، "ولاة المدينة").

(٤) أحمد، عربية قاسم. "عوامل اختيار ولاة العراق في العصر الأموي". **مجلة بحوث الشرق الأوسط**، جامعة عين شمس، ٢٠١٨م، ع٤٤، ص ٢٠٦- ٢٣٤. (سيشار إليه فيما بعد: أحمد، "عوامل اختيار ولاة العراق").

(٥) ابن خياط، **تاريخ**، ص ٢١٠؛ المسعودي، **مروج الذهب**، ج٣، ص ٢٨؛ الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م). **الوافي بالوفيات**. تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٠م، ج٢٨، ص ١٦. (سيشار إليه فيما بعد: الصفدي، **الوافي بالوفيات**).

(٦) تعد هذه الحادثة الأولى من نوعها في تاريخ الإسلام، فقد كان زياد أول من جُمع له العراقين. انظر: اليعقوبي، **تاريخ**، ج٢، ص ١٣٩؛ الطبري، **تاريخ**، ج٥، ص ٢٨٨؛ المسعودي، **مروج الذهب**، ج٣، ص ٢٨.

(٧) ابن الجوزي، أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت ٥٩٧هـ/ ١٢٠١م). **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**. تحقيق: محمد عطا ومصطفى عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م، ج٥، ص ٢٢٤. (سيشار إليه فيما بعد: ابن الجوزي، **المنتظم**).

(٨) البلاذري، **أنساب الأشراف**، ج٥، ص ٤٠؛ المعايطة، زريف مرزوق. "الموالي والمناصب الإدارية في الدولة الأموية". **مجلة كلية الآداب- جامعة بغداد**، ٢٠٠٠م، ع٤٩، ص ٢٢٤- ٢٤٦. (سيشار إليه فيما بعد: المعايطة، "الموالي والمناصب").

مولاه[٢]، وعيّن زياد أبا بُردة[٣] على بعض الصدقات، فقال: "إني أنزل نفسي وإياك في المال بمنزلة ولي اليتيم، من كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف"[٤]. ومن هذه الرواية يتضح بأن عامل الزكاة أو الصدقات لديه صلاحية في توزيع الأموال التي يقوم بجمعها لمن يراه بحاجة إليها[٥]. وكان الخليفة يعين عمال الصدقات في بعض الأحيان، ولكن هناك حالات كان الخليفة يلجأ فيها إلى الولاة في تعيين عمال للصدقات[٦]، كما هو الحال في تعيين زياد لأبي بردة.

ومن الأمثلة التي تعبر عن دور الولاة في صنع القرار وقدرتهم على اتخاذه ما ورد في أن مروان بن الحكم عينّ عبد الملك بن مروان ديوان المدينة في فترة إمارته المدينة المنورة، ولكنه استشار معاوية قبل أن يقدم على هذه الخطوة[٧]، وهنا يتضح التدرج في مستويات اتخاذ القرار والتعددية في ذلك، وهذا الشيء يمكن ملاحظته مما سبق، فقد كانت مستويات السلطة في إدارة الأقاليم تتدرج من الأعلى إلى الأدنى، فكان الخليفة في أعلى الهرم، ومن ثم الوالي، وأخيرا من ينوب عن الوالي أو يعاونه في إدارة شؤون عمله.

وكان الخليفة في العصر الأموي اجمالا وفي الفترة موضوع الدراسة خصوصا، يعين ولي العهد من بعده، فقد اختار معاوية ابنه يزيد وليا للعهد وخليفة من بعده، وهذا يدل على أن

---

(١) هو أبو الوليد الكاتب صالح بن عبدالرحمن أبي صالح، مولى بني تميم، وهو فارسي الأصل من سبي سجستان سنة ٣٠هـ/ ٦٥٠م، وتعلم صالح الكتابة العربية والفارسية، وكان فصيحا يختلف إلى ديوان زياد وابن زياد، ويجالس الأحنف، وكان حافظا يحفظ ما يسمع، وصحب زادان فروخ فتعلم منه، وهو أول من نقل الديوان من الفارسية إلى العربية، تخرج على يديه الكثير من كتّاب أهل البصرة والكوفة، ولاه سليمان بن عبدالملك خراج العراق، وأقره عمر بن عبدالعزيز سنة ثم استعفاه، فأعفاه، وكانت وفاته في خلافة يزيد بن عبدالملك. انظر: ابن عساكر، **تاريخ دمشق**، ج٢٣، ص ٣٤٤.

(٢) البلاذري، **فتوح البلدان**، ص ٤٢١؛ الجهشياري، أبي عبدالله محمد بن عبدوس (ت ٣٣١هـ/ ٩٤٢م). **كتاب الوزراء والكتّاب**. دار الفكر الحديث، بيروت، ١٩٨٨م، ص ٢٣. (سيشار إليه فيما بعد: الجهشياري، **الوزراء والكتّاب**)؛ المعايطة، "الموالي والمناصب"، ع٤٩، ص ٢٢٤- ٢٤٦.

(٣) الأرجح أن المقصود به هنا هو: عامر بن عبدالله بن قيس أبو بُردة بن أبي موسى الأشعري، تابعي من أهل الكوفة، وولي القضاء بها، وفد على معاوية وعلى عمر بن عبد العزيز، توفي سنة ١٠٣هـ/ ٧٢١م، وقيل غير ذلك. انظر: ابن عساكر، **تاريخ دمشق**، ج٢٦، ص ٤٣؛ الزركلي، **الأعلام**، ج٣، ص ٧٢.

(٤) البلاذري، **أنساب الأشراف**، ج٥، ص ٢٨٣.

(٥) ياسين، سهاد أحمد حسن. **الموارد والنفقات المالية في خلافة الفرع السفياني ٤١- ٦٤هـ/ ٦٦١- ٦٨٤م.** رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، الأردن، ١٩٩٨م، ص ٧. (سيشار إليه فيما بعد: ياسين، **الموارد والنفقات المالية**).

(٦) **المرجع نفسه**، ص ٧.

(٧) ابن قتيبة، **المعارف**، ص ٣٥٥؛ الرحيلي، "ولاة المدينة"، مج١٩، ع٤، ص ٣٠- ٥٧.

صلاحيات الخليفة تؤهله لأن يختار ولي عهده وفقا لاعتبارات وقيود عدة، وكانت تلك القيود والاعتبارات- في الغالب- شكلية أكثر من كونها صادرة عن رغبة حقيقية لدى الخليفة، كاستشارة بعض رجال الخليفة والمقربين منه، كما حدث مع معاوية والمغيرة بن شعبة[1]، ومن ثم عبيد الله بن زياد، والذي بدوره استشار عبيد بن كعب النميري[2]، والحصول على رضا وبيعة أهل الأمصار كما فعل معاوية مع أهل الحجاز[3] والعراق[4] وما نتج عن ذلك من توتر العلاقة بين الخلافة في دمشق وأهل الأمصار.

كما لا ننسى تأثير فئات أخرى في صنع القرار في العصر الأموي كقادة الجيش وموظفي الدولة كالكتّاب وزعماء القبائل وغيرها من الفئات التي شكلت قوى مؤثرة في سلطة الخليفة في العصر الأموي، فمن المنطقي أن يكون لكل قوة مؤثرة من القوى التي سيتم تناولها في الفصول اللاحقة مستوى معين في صنع القرار في العصر الأموي، ولكن سيتم تناول ذلك بالتفصيل لاحقا، ويمكن أن نقف هنا عند الجيش الأموي وقادته؛ فقد كان لهم أثر في صنع القرار وربما يقع قادة الجيش بعد الخليفة في تصنيف مستوى وصلاحيات صنّاع القرار في العصر الأموي؛ فهم في المستوى المتوسط من التصنيف الذي تم وضعه آنفا في مستويات صنع القرار في الفترة موضوع البحث، وذلك لأن قادة الجيش كانوا يتخذون في بعض الأحيان قرارات يتطلبها الموقف العسكري والحربي دون الرجوع إلى الخليفة، وفي مواضع أخرى كان الخلفاء يفوضون إليهم السلطة في الحرب[5] وبالتالي فإنهم يصنعون القرار.

وفي بعض الأحيان ربما تصعد سلطة الجند والقادة العسكريين في صنع القرار من المستوى الثاني إلى المستوى الأعلى، وذلك بسبب ضعف شخصية الخليفة كما هو الحال في عهد

---

(١) اليعقوبي، **تاريخ**، ج٢، ص ١٢٧؛ الطبري، **تاريخ**، ج٥، ص ٣٠١؛ ابن الجوزي، **المنتظم**، ج٥، ص ٢٨٥؛ ابن مسكويه، أحمد بن محمد أبو علي الرازي (ت ٤٢١هـ/ ١٠٣٠م). **تجارب الأمم**. تحقيق: أبو القاسم إمامي، دار سروش للطباعة، طهران، ٢٠٠١م، ج٢، ص ٢٩. (سيشار إليه فيما بعد: ابن مسكويه، **تجارب الأمم**).

(٢) الطبري، **تاريخ**، ج٥، ص ٣٠٢.

(٣) ابن أعثم الكوفي، **الفتوح**، ج٤، ص ٣٣٦.

(٤) المسعودي، **مروج الذهب**، ج٣، ص ٢٩؛ انظر أيضا: ابن قتيبة، **الإمامة والسياسة**،ج١، ص ١٨٨.

(٥) للمزيد من التفاصيل. انظر: ابن زنجويه، أبو أحمد حميد بن مخلد بن قتيبة بن عبد الله الخرساني (ت ٢٥١هـ/ ٨٦٥م). **كتاب الأموال**. تحقيق: شاكر ذيب فياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ١٩٨٦م، ج٢، ص ٧٠٨. (سيشار إليه فيما بعد: ابن زنجويه، **كتاب الأموال**)؛ ابن عائذ، **كتاب الصوائف**، ص ١٧؛ عواد، محمود أحمد محمد. **الجيش في العصر الأموي ٤٠- ١٣٢هـ/ ٦٦١- ٧٤٩م**. رسالة دكتوراه غير منشورة، الجامعة الأردنية، ١٩٩٢م، ص ٦٧. (سيشار إليه فيما بعد: عواد، **الجيش في العصر الأموي**).

معاوية بن يزيد بن معاوية (٦٤- ٦٥هـ/ ٦٨٤- ٦٨٥م) الذي أراد أن يجعل الأمر شورى من بعده، وكان يؤيده اليمانية من أهل الشام وخاصة جند الأردن بزعامة حسان بن مالك بحدل الكلبي[١].

وبالمقابل كان البقية الباقية من أجناد الشام، ومقاتلة البصرة والكوفة وخراسان ومصر قد أعلنت تأييدها لعبدالله بن الزبير في الحجاز[٢]، ونتيجة لذلك فقد أتاحت تلك الظروف في الخلافة الأموية المجال أمام القادة من القوى القبلية اليمانية والقيسية لأخذ زمام الأمر بأيديهم، وبمعنى آخر أصبح المقاتلة (القوة العسكرية القبلية) هم أصحاب القرار في تحديد مصير الخلافة الأموية[٣].

---

(١) هو زعيم قحطان وسيدها بالشام. انظر: المسعودي، **مروج الذهب**، ج٣، ص ٧٦.

(٢) اليعقوبي، **تاريخ**، ج٢، ص ١٧٠؛ الطبري، **تاريخ**، ج٥، ص ٥٣١.

(٣) فوزي، فاروق عمر. **الجيش والسياسة في العصر الأموي ومطلع العصر العباسي.** دار مجدلاوي، عّمان، ٢٠٠٥م، ص ٥٩. (سيشار إليه فيما بعد: فوزي، **الجيش والسياسة**).

الفصل الثاني

القوى الرسمية المؤثرة في سلطة الخليفة الأموي

٤١ـ ٦٤هـ/ ٦٦١ـ ٦٨٤م

أولا: ولاية العهد.

ثانيا: الأمراء الأمويون.

ثالثا: كبار القادة العسكريين.

رابعا: العمال والولاة.

خامسا: القضاة والكتّاب.

الفصل الثاني

القوى الرسمية المؤثرة في سلطة الخليفة الأموي

٤١- ٦٤هـ/ ٦٦١- ٦٨٤م

أولا: ولاية العهد:

يعد معاوية بن أبي سفيان أول من سن التوريث في الحكم في الإسلام، حيث أستحدث هذا النظام في الاستخلاف لأول مرة في التاريخ الإسلامي عندما عين ابنه يزيد ولياً للعهد من بعده، وكان ذلك سنة ٥٦هـ/ ٦٧٥م[١]. ونظرا لذلك فمن الطبيعي أن يكون لهذه الخطوة أثر على سياسة الدولة الأموية، بما في ذلك دور ولاة العهد والكتل التي ينتمون إليها، والمقصود بها- إن صح القول- الجماعات التي تؤيد ولي عهد على حساب آخر سواء أكان منافسا له أو مرشحا نظيرا له في الأحقية والمكانة، في التأثير على سلطة الخليفة الأموي في الفترة موضوع الدراسة، وبما أن هذه الفئة تشكل قوة حقيقية لها دورها الحيوي وحضورها القريب نسبيا من الخليفة، فمن المنطقي أن توجه الكثير من القرارات الهامة والمصيرية التي يتخذها الخليفة لتسيير أمور الحكم والخلافة.

ومن الأمور التي يجب على الباحث أن ينتبه لها عند تناول موضوع ولاية العهد الأموية ودور ولاة العهد كقوة مؤثرة في سلطة وقرارات الخليفة، هو أن يضع في اعتباره ونصب عينيه، أن دور ولي العهد كقوة مؤثرة لا يمثله ذلك الشخص بعينه الذي اختير لهذا المنصب، بل يقف وراءه الكثير من الجماعات والأفراد من المؤيدين والأنصار الذين كان لهم دور في اختياره، وهذا الأمر بدوره يجعل منهم ذوو تأثير أيضا على قرارات وسلطة الخليفة كولي العهد نفسه، وأن تأثير ولي العهد شخصيا على قرارات الخليفة ليس نابع من قوة داخلية ورأي شخصي فقط، بل هناك الكثير من المؤثرات والقوى الخفية التي تحدده وتوجهه نحو مصالحها ومتطلباتها. فقد ظهرت شخصيات أسهمت بشكل واضح كقوى محركة ومؤثرة في ولاة العهد وبالتالي التأثير في سلطة وقرار الخليفة نفسه، ومن نماذج الشخصيات المؤثرة في ولاية العهد: المغيرة بن شعبة[٢]،

---

(١) للمزيد من التفاصيل حول ولاية العهد في الدولة الأموية. انظر: باحشوان، **نظام ولاية العهد**، ص ٣٤ وما بعدها.

(٢) عاقل، نبيه. **تاريخ خلافة بني أمية**. دار الفكر، بيروت، ١٩٧٥م، ص ٦٩. (سيشار إليه فيما بعد: عاقل، **تاريخ خلافة بني أمية**).

وزياد بن أبي سفيان، وحسان بن مالك بن بحدل، والحجاج بن يوسف الثقفي، ورجاء بن حيوة[1] وغيرهم.

ومن الطريف أيضا أن المعارضين لاختيار ولي عهد معين، أو المنافسين له ومن يقف خلفهم من جماعات وقوى يلعبون دورا لا يستهان به في التأثير على سلطة الخليفة وقراراته؛ لذا فإن هذا الموضوع من المواضيع المتشابكة والتي تتداخل فيه الكثير من الأهواء والمصالح، وعليه يمكن اعتبار ولاية العهد أحد أهم وأكثر القوى تأثيرا على سلطة الخليفة في العصر الأموي.

عمل معاوية لسنين طويلة من حكمه على حشد كافة إمكانياته من أجل البيعة ليزيد بولاية العهد، فقد هيأه وأمره على الحج والجهاد وهما أبرز مهام الدولة وأجلّها[2]، وعلى الرغم من أن موضوع التوريث في الحكم كان سابقة لم يقدم عليها أحد قبل مجيء معاوية للسلطة، إلا أن هذا الأمر يعبر عن تأثير ولاية العهد في الخليفة، وذلك لأن حرص معاوية الشديد على توريث يزيد العهد من بعده سينعكس لاحقا على قرارات الخليفة وسلطته في العصر الأموي، ورغم أن الخليفة في هذا الموقف هو الذي سعى إلى تثبيت ولي العهد، وأيضا ولي العهد يستمد نفوذه وسلطته من سلطة الخليفة، إلا أن تأثير ولي العهد هنا يظهر بصورة غير مباشرة. فتشير بعض الروايات إلى أن معاوية بدأ يدعو الناس إلى البيعة ليزيد سنة ٥٠هـ/ ٦٧٠م، وأخذ البيعة له بالعهد سنة ٥١هـ/ ٦٧١م، واستمر على ذلك سبع سنين[3]، يدعو الناس في كل سنة وفي كل موسم إلى بيعة يزيد حتى دخلت سنة ٥٥هـ/ ٦٧٥م، فكتب إلى أهل الأمصار أن يقدموا عليه، فقدم عليه وفد من أهل الكوفة وأهل البصرة وأهل مكة والمدينة وأهل مصر والجزيرة ومن جميع الأقاليم، فاستشارهم في البيعة ليزيد[4].

ففي رواية للبلاذري عن عوانة أن معاوية أمر يزيد بالغزو سنة ٥٠هـ/ ٦٦٩م مع الناس، فتثاقل يزيد وأعتل، وحدث أن أصاب الناس في تلك الغزوة جوع وأمراض، فأنشأ يزيد يقول:

---

(١) انظر: اليعقوبي، **تاريخ**، ج٢، ص ٢٢٤؛ الدينوري، **الأخبار الطوال**، ص ٣٢٩- ٣٣٠؛ الطبري، **تاريخ**، ج٥، ص ٣٠١؛ المسعودي، **مروج الذهب**، ج٣، ص ٧٦ و١٥١.

(٢) البطاينة، محمد ضيف الله. "سياسة بني أمية في اختيار الولاة". **مجلة العرب**، مركز حمد الجاسر الثقافي، السعودية، ١٩٨٤م، مج١٩، ع٧- ٨، ص ٤٥١- ٤٦٥. (سيشار إليه فيما بعد: البطاينة، "سياسة بني أمية").

(٣) انظر: ابن خياط، **تاريخ**، ص ٢١١ و٢١٣.

(٤) ابن أعثم الكوفي، **الفتوح**، ج٤، ص ٣٣١ وما بعدها.

مـَـا إن أبالـي بما لاقَـت جُموعُهُمُ	بالـقـَرقـَذونـِةَ مـِن جـوعٍ ومِن مومِ[1]
إذا اِتَّكَأتُ عَلى الأَنماطِ في غرفٍ	بَديـــــتر مُـــــرّانَ عِندي أَمُّ كُلثومِ

(بحر البسيط)

وأم كلثوم امرأته، وهي بنت عبد الله بن عامر بن كريز، فبلغ معاوية شعره، فأقسم عليه ليلحقن بسفيان بن عوف- وكان قائد الغزوة- في أرض الروم ليصيبه ما أصاب الناس ولو مات، فلحق به، وضرب بسيفه باب الذهب وهزم الروم[2]. ومن هذه الرواية نستدل أن الخليفة معاوية كان حريصا على تهيئة يزيد للخلافة من بعده، لذلك كان يرسله للغزوات ويعده للمهام التي سيعهد إليه بها فيما بعد، لذلك كان قرار معاوية في إلزام يزيد اللحاق بالجيش في أرض الروم.

وتأكيدا على دور ولاية العهد كقوة مؤثرة على قرارات وسلطات الخليفة الأموي، ما حدث عندما استشار معاوية أهل الأمصار في بيعة يزيد، فأجابه الأحنف بن قيس التميمي بقوله: "إننا نخافكم إن صدقنا ونخاف الله إن كذبنا، ولكن عليك بغيري"[3]، وفي رواية أن الأحنف قال: "يا أمير المؤمنين! أنت أعلمنا بيزيد في ليله ونهاره ومدخله ومخرجه وسره وعلانيته، فإن كنت تعلمه لله عز وجل ولهذه الأمة رضا فلا تشاورن فيه أحدا من الناس، وإن كنت تعلم لله غير ذلك فلا تزوده الدنيا وأنت ماض إلى الآخرة فإن قلنا ما علينا أن نقول سمعنا وأطعنا"[4].

وأجابه رجل من أهل المدينة يقال له محمد بن عمرو بن حرم فقال: "يا معاوية! إن يزيد أهل لما تريد أن ترسمه له، وهو لعمري غني في المال، ووسيط في النسب، غير أن الله تعالى سائل كل راع عن رعيته فاتق الله يا معاوية وانظر من تولي أمر أمة محمد صلى الله عليه وسلم! قال: فتنفس معاوية الصعداء ثم قال: يا بن عمرو! أنت رجل ناصح وإنما قلت برأيك ولم يكن عليك إلا ذلك، غير أنه لم يبق من أولاد الصحابة إلا ابني وأبناؤهم، وابني أحب إلي من أبنائهم"[5].

---

(١) الموم هو أشد الجدري. انظر: البلاذري، **أنساب الأشراف**، ج٥، ص ٩٤.

(٢) **المصدر نفسه**، ج٥، ص ٩٤.

(٣) ابن أعثم الكوفي، **الفتوح**، ج٤، ص ٣٣١ وما بعدها.

(٤) **المصدر نفسه**، ج٤، ص ٣٣١ وما بعدها؛ ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج٣، ص ١٠١.

(٥) ابن أعثم الكوفي، **الفتوح**، ج٤، ص ٣٣١ وما بعدها.

وأجاب الضحاك بن قيس الفهري[1] معاوية بقوله: "يا أمير المؤمنين! إنه لا بد للناس من وال بعدك وولي عهدك، فإنه قد بلونا الجماعة والفرقة فوجدنا الجماعة والألفة أحقن للدماء، وآمن للسبل، وخيرا في العاجلة والآجلة، والأيام عوج رواجع، ولله في كل يوم أمر وشأن، ولا تدري ما يختلف به العصران وينقلب فيه الحدثان ويزيد ابن أمير المؤمنين في هديه وقصد سيرته من أفضلنا حلما وأكرمنا علما، فوله عهدك واجعله لنا علما بعدك، يكون مفزعا نلجأ إليه، وخليفة نعول عليه، تسكن به القلوب، ونأمن به الفتن"[2]. وكذلك عمرو بن سعيد بن العاص بقوله: "أيها الناس! والله أن يزيد لطويل الباع واسع الصدر رفيع الذكر، إن صرتم إلى عدله وسعكم وإن لجأتم إلى جوده أغناكم، وهو خلف لأمير المؤمنين ولا خلف منه"[3]، وقال الحصين بن نمير السكوني: "يا معاوية! والله لئن لقيت الله ولم تبايع ليزيد لتكونن مضيعا للأمة"[4].

ونستدل من هذا أن موضوع ولاية العهد أو توريث الخلافة ليزيد كان يشغل بال معاوية لسنين طويلة، وبدوره مؤثرا على قراراته وموجها لكافة سلطاته وإمكانياته نحو تحقيق هذا الهدف؛ لذا شكلت ولاية العهد قوة غير عادية في التأثير على سلطة الخليفة الأموي؛ فقد أشارت رواية أيضا إلى أن يزيد بن المقنع الكندي كان ضمن المجلس الذي حضرت فيه وفود الأمصار أمام معاوية، وأنه قام فقال: "أيها الناس! إن أمير المؤمنين هذا- وأشار بيده إلى معاوية- فإذا مات فوارث الملك هذا- وأشار بيده- إلى يزيد- فمن أبي فهذا- وأشار بيده إلى السيف"[5]، وهذا التصرف بلا شك أعجب معاوية لدرجة أنه قال له: "اجلس فأنت سيد الخطباء"[6].

وعلى الرغم من أن كافة الآراء كانت تتفق مع طموح معاوية وهدفه المنشود في توريث الخلافة ليزيد من بعده، إلا أن هناك إشارة إلى تخوف معاوية من رأي الأحنف بن قيس، وذلك لأن معاوية كان يسأل الأحنف قبل أن يتكلم بـ "يا أبا بحر! ما يمنعك من الكلام؟"[7]، وربما أن

---

(١) الضحاك بن قيس بن خالد الفهري، سيد بني فهر، شهد فتح دمشق، وشهد صفين مع معاوية، وولاه معاوية الكوفة سنة ٥٣هـ/ ٦٧٢م بعد وفاة زياد، وتولى الصلاة يوم وفاة معاوية وقام بالأمور حتى حضر يزيد، وبعد أن خُلع معاوية بن يزيد أخذ يدعو إلى ابن الزبير سنة ٦٤هـ/ ٦٨٣م، فأقبل أهل دمشق عليه وبايعوه على أن يصلي بهم ويقيم لهم أمرهم حتى يجتمع الناس على خليفة، وقتل الضحاك في مرج راهط سنة ٦٥هـ/ ٦٨٤م. انظر: الزركلي، **الأعلام**، ج٣، ص ٢١٥.

(٢) ابن أعثم الكوفي، **الفتوح**، ج٤، ص ٣٣١؛ انظر أيضا: ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ج٥، ص ١١٨.

(٣) ابن أعثم الكوفي، **الفتوح**، ج٤، ص ٣٣١؛ ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ج٥، ص ١١٨.

(٤) ابن أعثم الكوفي، **الفتوح**، ج٤، ص ٣٣١ وما بعدها.

(٥) **المصدر نفسه**، ج٤، ص ٣٣١ وما بعدها.

(٦) النويري، **نهاية الإرب**، ج٢٠، ص٢٢٢.

(٧) ابن أعثم الكوفي، **الفتوح**، ج٤، ص ٣٣١ وما بعدها.

معاوية رأى الأحنف صامتا والجميع قد بدأ بالكلام، ومعاوية لم يعهد من الأحنف عدم إبداء رأيه في أمور كهذه وخاصة أنه سيد بني تميم وزعيم من زعماء العرب آنذاك، ولذلك يمكن القول أن سؤال معاوية للأحنف كان معبرا عن بعض القلق الذي كان يشعر به معاوية حيال رأي الأحنف بن قيس.

روى الطبري في حوادث سنة ٥٦هـ/ ٦٧٥م: "لما مات زياد دعا معاوية بكتابٍ فقرأه على الناس باستخلاف يزيد، إن حدث به حدث الموت فيزيد ولي عهد، فاستوسق له الناس على البيعة ليزيد غير خمسة نفر"[١]، وكتب معاوية إلى مروان بن الحكم واليه على المدينة يأمره أن يدعو الناس إلى البيعة، ويخبره أن أهل مصر والشام والعراق قد بايعوا[٢]. وحين قرأ مروان كتاب معاوية على أهل المدينة أبى الكثير من الناس إجابة معاوية إلى طلبه، فكتب مروان لمعاوية: "إن قومك قد أبوا إجابتك إلى بيعتك ابنك"[٣]، ولما بلغ معاوية كتاب مروان عرف أن ذلك من قبله، فكتب إليه يأمره أن يعتزل عمله، ويخبره أنه قد ولى المدينة سعيد بن العاص[٤]. وهذا دليل على تأثير موضوع ولاية العهد ليزيد على سلطة وقرارات الخليفة الأموي، فقد عزل معاوية مروان بن الحكم عن ولاية المدينة لأنه لم يستطع أن يأخذ البيعة ليزيد، وعين بدلا عنه سعيد بن العاص، وخرج مروان غاضبا من المدينة حتى قدم الشام ومعه جماعة من أخواله بنو كنانة، مما اضطر معاوية أن يرضي مروان بأن يفرض له راتبا شهريا، "فكان أوّل ما رزق ألف دينار في كل هلال، وفرض له في أهل بيته مئة مئة"[٥]، وقيل أن معاوية أرضى مروان بأن وعده أن يوليه العهد بعد يزيد ثم لم يفِ له بوعده[٦].

وكتب معاوية إلى سعيد بن العاص أن يدعو الناس للبيعة ليزيد، فأبى الناس، وعندئذ بعث معاوية بكتب إلى كل من عبد الله بن عباس، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن جعفر، والحسين بن علي، وأمر سعيد بن العاص أن يوصلهما الكتب ويبعث إليه بجوابهم[٧].

---

(١) الطبري، **تاريخ**، ج٥، ص ٣٠٣.

(٢) ابن قتيبة، **الإمامة والسياسة**، ج١، ص ١٩٧؛ ابن أعثم الكوفي، **الفتوح**، ج٤، ص ٣٣٤؛ المسعودي، **مروج الذهب**، ج٣، ص ٣٠.

(٣) ابن قتيبة، **الإمامة والسياسة**، ج١، ص ١٩٧.

(٤) **المصدر نفسه**، ج١، ص ١٩٧.

(٥) **المصدر نفسه**، ج١، ص ١٩٧.

(٦) المسعودي، **مروج الذهب**، ج٣، ص ٣٠.

(٧) ابن قتيبة، **الإمامة والسياسة**، ج١، ص ١٩٩.

وتذكر الروايات التاريخية أن معاوية حين حج سنة ٥١هـ/ ٦٧١م، كان معه نحو ألف رجل، فلما قدم المدينة صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم ذكر ابنه يزيد مبينا أنه ليس من أحد أحق منه بهذا الأمر، وبعد ذلك ذهب إلى مكة، وقضى طوافه ثم دخل منزله، وبعث إلى أبناء الصحابة، فكان أول القادمين عليه عبدالله عمر، فقال له معاوية: "قد كنت تحدثني أنك لا تحب أن تبيت ليلة سوداء ليس عليك أمير، وإني أحذرك أن تشق عصا المسلمين، وأن تسعى في فساد ذات بينهم"(١)، فأجابه ابن عمر: "قد كانت قبلك خلفاء لهم أبناء ليس ابنك بخير من أبناءهم، فلم يروا في أبنائهم ما رأيت أنت في ابنك، ولكنهم اختاروا للمسلمين حين عملوا الخيار، وأنك تحذرني أن أشق عصا المسلمين، وأن أسعى في فساد ذات بينهم، ولم أكن لأفعل، إنما أنا رجل من المسلمين، فإذا اجتمعوا على أمر فإنما أنا رجل منهم"(٢).

ومما سبق نستطيع أن نرجح أن يكون معاوية بدأ يدعو الناس لبيعة يزيد منذ ٥١هـ/ ٦٧١م، لأن الأمور أصبحت أكثر ملاءمة ليقوم معاوية بخطوة جريئة كهذه، وخصوصا بعد وفاة الحسن بن علي- رضي الله عنه(٣)، ووفاة زياد بن أبي سفيان سنة ٥٣هـ/ ٦٧٣م، والذي كان قد استشاره معاوية في إعلان البيعة ليزيد، فأشار عليه بالتمهل(٤)؛ لذا نرجح أن يكون معاوية أعلن قرار البيعة سنة ٥٦هـ/ ٦٧٦م(٥)، وذلك لأن إعلان القرار كان في فترة ولاية مروان بن الحكم على الحجاز، والمعلوم أن مروان تولى الحجاز مرتين، الأولى من ٤٢هـ/ ٦٦٢م إلى ٤٩هـ/ ٦٦٩م، والثانية من ٥٤هـ/ ٦٧٣م إلى ٥٧هـ/ ٦٧٧م، وبالتالي فمن المستبعد أن يكون الإعلان في فترة ولاية مروان الأولى بسبب أن الحسن بن علي لم يكن حينها قد توفي بعد، وخاصة أن الحسن كان قد شرط على معاوية أن يكون الأمر شورى من بعده عندما تنازل له عن الخلافة(٦).

---

(١) ابن خياط، **تاريخ**، ص ٢١٣.

(٢) **المصدر نفسه**، ص ٢١٣.

(٣) توفي سنة ٤٩هـ/ ٦٦٩م، وقيل سنة ٥٠هـ/ ٦٧٠م. انظر: ابن خلكان، أبي العباس شمس الدين أحمد (ت ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م). **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**. تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د ت، ج٢، ص ٦٥. (سيشار إليه فيما بعد: ابن خلكان، **وفيات الأعيان**).

(٤) ابن الجوزي، **المنتظم**، ج٥، ص ٢٨٥.

(٥) **المصدر نفسه**، ج٥، ص ٢٨٥؛ العلوي، بدر وباحشوان، خلود. "استحداث الخليفة معاوية بن أبي سفيان لنظام ولاية العهد وردود الأفعال التي واجهته ٤١- ٦٠هـ/ ٦٦١- ٦٨٠م". **مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية**، جامعة السلطان قابوس، مسقط، ٢٠١٤م، مج٢، ع٦، ص ٩٥- ١١٠. (سيشار إليه فيما بعد: العلوي وباحشوان، "استحداث الخليفة معاوية").

(٦) البلاذري، **أنساب الأشراف**، ج٣، ص ٢٨٦؛ الطبري، **تاريخ**، ج٥، ص ٢٧١؛ ابن أعثم الكوفي، **الفتوح**، ج٤، ص ٢٩١؛ العلوي وباحشوان، "استحداث الخليفة معاوية"، مج٢، ع٦، ص ٩٥- ١١٠.

ومن الإشارات التي أوردتها المصادر ويمكن أن نستنتج منها مدى تأثير ولي العهد- بصورة غير مباشرة- على سلطة الخليفة في العصر الأموي، ما روى ابن أعثم أن معاوية حين قدم المدينة ألتقى بأم المؤمنين عائشة بنت الصديق، فعاتبته بقولها: "العمري أنت في بيت أمان ولكن بلغني عنك أنك تهددت أخي عبد الرحمن بن أبي بكر وابن عمر وابن أخت عبد الله بن الزبير والحسين بن فاطمة، وليس مثلك من يتهدد مثل هؤلاء!"[١]. فقال معاوية: "... أخذت البيعة لابني يزيد، وقد بايعه كافة المسلمين، أفترينـي أنقض بيعة قد ثبتت وتأكدت وأن يخلع الناس عهودهم!"[٢].

ويتبين أيضا من الحوار الذي دار بين معاوية وابن عمر أن الأول لم يكن متوجسا من موقف ابن عمر، والدليل على ذلك أنه ابتدأ حواره بأن ذكره بمقالاته السابقة في حرصه على ألا يخرج على رأي الجماعة ووحدة الصف، وعلى الرغم من أن ابن عمر أجاب معاوية بما يطمئنه من ناحيته، وكذلك ما جاء في رواية ابن خياط في أحداث سنة ٥١هـ/ ٦٧١م عن نافع قال: "خطب معاوية فذكر ابن عمر فقال: والله ليبايعن أو لأقتلنه، فخرج عبد الله بن عبد الله بن عمر إلى أبيه فأخبره، وسار إلى مكة ثلاثاً، فلما أخبره بكى ابن عمر، فبلغ الخبر عبد الله بن صفوان، فدخل على ابن عمر فقال: أخطب هذا بكذا؟ قال: نعم. فقال: ما تريد؟ أتريد قتاله؟ فقال: يا بن صفوان الصبر خير من ذلك. فقال ابن صفوان: والله لئن أراد ذلك لأقاتلنه. فقدم معاوية مكة فنزل ذا طوى[٣]، فخرج إليه عبد الله بن صفوان فقال: أنت الذي تزعم أنك تقتل ابن عمر إن لم يبايع لابنك؟ فقال: أنا أقتل ابن عمر! إني والله لا أقتله"[٤]. وروي أيضا أن ابن عمر حين بويع يزيد بن معاوية قال: "إن كان خيراً رضينا وإن كان بلاءً صبرنا"[٥].

وهذا أيضا دليل آخر على أن معاوية لم يكن متخوفا من ابن عمر أبدا، إلا أن هذا الأمر يكشف لنا عمق تأثير فكرة ولاية العهد في سلطات الخليفة الأموي بما فيها علاقاته مع الناس، فعلاقة معاوية كخليفة أموي بشخصية ذات حضور قوي في المجتمع الحجازي آنذاك كعبد الله بن

---

(١) ابن أعثم الكوفي، **الفتوح**، ج٤، ص ٣٣٦.

(٢) **المصدر نفسه**، ج٤، ص ٣٣٦.

(٣) ذي طوى بفتح الطاء هو موضع وادي يقع بأسفل مكة. انظر: البكري، أبي عبيد عبدالله بن عبدالعزيز الأندلسي (ت ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م). **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**. تحقيق: مصطفى السقا، عالم الكتب، بيروت، د ت، ج٣، ص ٨٩٧. (سيشار إليه فيما بعد: البكري، **معجم**)؛ الحموي، **معجم البلدان**، ج٣، ص ٤٥.

(٤) ابن خياط، **تاريخ**، ص ٢١٤.

(٥) **المصدر نفسه**، ص ٢١٧.

عمر بن الخطاب تأثرت بذلك أو تداعيات ومجريات تهيئة الأسباب والظروف لتولية يزيد، وهذا تأكيد للفرضية القائلة إن ولاية العهد تشكل قوة مؤثرة على سلطات الخليفة الأموي، وموجهة لقراراته بما يتناسب مع طبيعة وظروف العصر وحركة التاريخ.

وأرسل معاوية إلى عبد الرحمن بن أبي بكر وحدثه في أمر يزيد، ويبدو من الحوار أن ابن أبي بكر لم يكن كعبد الله بن عمر هادئا في رفضه لموضوع التوريث، فلم تكن شخصية ابن عمر كابن أبي بكر، والدليل على ذلك ما جاء فيما بعد في وصية معاوية ليزيد حين وصف الرجلين، فقد وصف ابن عمر بأنه رجل سمح في تصرفاته همه العبادة أكثر من الدنيا ومطالبها، في حين أن معاوية وصف عبد الرحمن ابن أبي بكر بأنه رجل خفيف عكس ابن عمر؛ فهو طموح لأمور دنيوية ليست من اهتمامات ابن عمر[1]، وهذا كان واضحا في لقاء معاوية بعبد الرحمن بن أبي بكر حيث قال ابن أبي بكر لمعاوية: "إنك والله لوددت أنا وكلناك في أمر ابنك إلى الله، وإنا والله لا نفعل، والله لتردن هذا الأمر شورى في المسلمين، أو لنعيدنها عليك جذعة[2]"[3]، ويبدو أن معاوية كان متخوفا وقلقا من ناحيته حيث دعا: "اللهم اكفنيه بما شئت"[4].

وبعث معاوية إلى ابن الزبير يستقدمه، وحين ألتقى به كان مما قاله: "إنما أنت ثعلب رواغ، كلما خرج من جحر دخل آخر، وإنك عمدت إلى هذين الرجلين، فنفخت في مناخرهما وحملتهما على غير رأيهما. فتكلم ابن الزبير فقال: إن كنت قد مللت الإمارة فاعتزلها وهلم ابنك فلنبايعه، أرأيت إذا بايعنا ابنك معك لأيكما نسمع؟! لأيكما نطيع؟! لا نجمع البيعة لكما والله أبداً"[5]. وهذا دليل على أن معاوية كان يخاف ابن الزبير ومعارضته، ويُستنتج من الحوار بينهما أن ولاية العهد أثرت بصورة غير مباشرة في سلطة الخليفة تجاه شخصيات هامة في الدولة- آنذاك- كابن الزبير وابن عمر وابن أبي بكر، كان لذلك أثر على مجرى الأحداث في الدولة الأموية فيما بعد، فسلطة الخليفة وقراره المتأثر بموضوع العهد ليزيد نتج عنه فيما بعد قيام المعارضة السياسية في الحجاز، وأسفر عن تغييرات غير متوقعة في مجرى العلاقات بين إقليمي الشام والحجاز، واستنزف موارد الدولة الأموية وعدتها وعتادها لفترة زمنية ليست بالقصيرة،

---

(١) الطبري، **تاريخ**، ج٥، ص ٣٢٣.

(٢) الجذع هو أول ما يُبتدأ من الشي. يقال: أعدنا عليكم الأمر جذعة أي جديدا كما بدأ. انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مج٦، ص ٥٧٦.

(٣) ابن خياط، **تاريخ**، ص ٢١٣.

(٤) **المصدر نفسه**، ص ٢١٣.

(٥) **المصدر نفسه**، ص ٢١٣.

ولم يقتصر الأمر على عهدي معاوية ويزيد زمنيا، ورقعة واسعة من إقليمي الحجاز والعراق مكانيا، بل استمر الوضع كذلك قرابة عقدين من الزمان حتى انتهى المطاف بابن الزبير قتيلا في الحرم المكي في ٧٣هـ/ ٦٩٢م[١].

ولم ينته الأمر عند ذلك، فقد لقى معاوية الحسين بن علي في العام نفسه بالقرب من مكة، وكذلك لقى ابن الزبير، وفي تلك الأثناء أخذ الناس يحرضون الحسين وابن الزبير على معاوية، وعندما رأى معاوية ذلك خطب في الناس، ودعاهم إلى البيعة ليزيد، فكان مما قاله: "قد علمتم سيرتي فيكم وصلتي لأرحامكم وصفحي عنكم وحملي لما يكون منكم، ويزيد بن أمير المؤمنين أخوكم وابن عمكم وأحسن الناس فيكم رأياً، وإنما أردت أن تقدموه باسم الخلافة، وتكونون أنتم الذين تنزعون وتؤمرون، وتجبون وتقسمون، لا يدخل عليكم في شيء من ذلك"[٢].

وكان ابن الزبير قد خيّر معاوية بين ثلاث: أن يترك الناس ولا يستخلف أحد كما فعل رسول الله، أو أن يستخلف كما فعل أبوبكر عندما عمد إلى أقصى قريش منه نسبا وقرابة فاستخلف عمر، أو أن يترك الأمر شورى كما فعل عمر، فتحجج معاوية بأنه ليس بينكم اليوم مثل أبي بكر وأنه لا يأمن اختلاف الناس من بعده، وعندما رأى معاوية أنه لا مجال لانصياع الناس لرأيه في البيعة ليزيد، لجأ إلى أسلوب التهديد: "فإني أحببت أن أتقدم إليكم إنه قد أعذر من أنذر، وإنه قد كان يقوم منكم القائم إلي فيكذبني على رؤوس الناس، فأحتمل له ذلك وأصفح عنه، وإني قائم بمقالة إن صدقت فلي صدقي وإن كذبت فعلي كذبي، وإني أقسم لكم بالله لئن رد علي منكم إنسان كلمة في مقامي هذا لا ترجع إليه كلمته حتى يسبق إلي رأسه؛ فلا يرعين رجل إلا على نفسه، ثم دعا صاحب حرسه فقال: أقم على رأس كل رجل من هؤلاء رجلين من حرسك، فإن ذهب رجل يرد علي كلمةً في مقامي هذا بصدق أو كذب فليضرباه بسيفيهما"[٣].

وبالإضافة إلى أسلوب التهديد، فقد قطع معاوية كل قول عندما خطب في الناس قائلا: "إن هؤلاء الرهط سادة المسلمين وخيارهم، لا نستبد بأمر دونهم، ولا نقضي أمراً إلا عن مشورتهم، وإنهم قد رضوا وبايعوا ليزيد ابن أمير المؤمنين من بعده، فبايعوا بسم الله، فضربوا على يديه ثم جلس على راحلته وانصرف فلقيهم الناس فقالوا: زعمتم وزعمتم فلا أرضيتم وحبيتم فعلتم! قالوا: إنا والله ما فعلنا... ثم بايع أهل المدينة والناس"[٤]. وبذلك استطاع معاوية أن يرغم

(١) الطبري، **تاريخ**، ج٦، ص ١٨٧ وما بعدها.

(٢) ابن خياط، **تاريخ**، ص ٢١٥.

(٣) **المصدر نفسه**، ص ٢١٥.

(٤) **المصدر نفسه**، ص ٢١٥؛ ابن الجوزي، **المنتظم**، ج٥، ص ٢٨٥.

الناس بصورة أو بأخرى على القبول ببيعة يزيد بولاية العهد، وهذا مظهر من مظاهر تأثير ولاية العهد على سلطته كخليفة.

وقيل أن معاوية قال للحسين بن علي: "قد استوثق الناس لهذا الأمر غير خمسة نفر أنت تقودهم، فما إربك إلى هذا الخلاف؟"[(١)]، وكذلك قال العبارة نفسها لابن الزبير وابن عمر، وعاتب ابن أبي بكر على معصيته له في البيعة ليزيد، وبعث معاوية إلى عبد الله بن عباس وعندما جاءه كلمه في أحقية يزيد بولاية العهد؛ مبينا أن الخلافة كانت قبلهم في تيم وعدي، ولم يعترض بنو هاشم على ذلك، خصوصا كون بني أمية من بني عبد مناف؛ لذا فمن الجدير ببني هاشم أن يبايعوا ليزيد، وخصوصا أنه هو وعلي تقاتلا عليها، فساقها الله إليه دونا عن بني هاشم، وأن الحسن بن علي تنازل له عنها، فكان رد ابن عباس على معاوية: "لا تعجل! فهذا الحسين بن علي حي وهو ابن أبيه، واحذر أن تؤذيه يا معاوية فيؤذيك أهل الأرض، فليس على ظهرها اليوم ابن بنت نبي سواه"[(٢)].

وكان مما قاله معاوية أيضا في ذلك: "ما تركت بلدا إلا وقد بعثت إلى أهله فأخذت عليهم البيعة ليزيد، وإنما أخرت المدينة لأني قلت هم أصله وقومه وعشيرته ومن لا أخافهم عليه، ثم إني بعثت إلى المدينة بعد ذلك فأبى بيعته من لا علم أحدا هو أشد بها منهم؛ ولو علمت أن لأمة محمد صلى الله عليه وسلم خير من ولدي يزيد لما بعثت له"[(٣)].

ومما سبق، وعلى الرغم من تفرد ابن أعثم بهذه الرواية، وهو مؤرخ ذو ميول علوية، إلا أن الباحثة ترى قبول هذه الرواية، وذلك لأن المصادر الإسلامية[(٤)] أثبتت حرص معاوية الشديد على أن يأخذ البيعة ليزيد بأي طريقة كانت، وخصوصا أنه من المنطقي أيضا أن يكون ابن عباس قال فذلك لمعاوية، وعليه فإنه من الأرجح أن الرواية صحيحتين.

ومن الأدلة التي تندرج ضمن استخدام معاوية للقوة في موضوع العهد ليزيد ما روى ابن أعثم "وخرج معاوية من منزله إلى المسجد الأعظم فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم ذكر ابنه يزيد في خطبته وقال: من أحق بالخلافة من ابني يزيد في فضله وهديه ومذهبه وموضعه من قريش! والله إني لأرى قوة ما يعيبونه، وما ظنهم بمقلعين ولا منتهين حتى يصيبهم مني بوائق

---

(١) ابن الجوزي، **المنتظم**، ج٥، ص ٢٨٥؛ الطبري، **تاريخ**، ج٥، ص ٣٠٣.

(٢) ابن أعثم الكوفي، **الفتوح**، ج٤، ص ٣٣٦.

(٣) **المصدر نفسه**، ج٤، ص ٣٣٦.

(٤) ابن خياط، **تاريخ**، ص ٢١٣؛ ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج٣، ص ١٠٢.

تخيب أصولهم فليرفع أولئك على ضلعهم من قبل أن تصيبهم مني فاقرة لا يقومون لها، فقد أنذرت إن نفع الإنذار وبينت إن نفع البيان؛ قال: ثم جعل يتمثل بهذه ويقول(1):

قَدْ كُنْتُ حَذِرَتَكَ آلَ الْمُصْطَلِق وَقَلَّتْ يَا عَامِرُ ذَرْنِي وَانْطَلِقْ

إِنَّـكَ إِنْ كَلَّفْتَنِـي مَا لَـمْ أَطِقْ سَاءَكَ مَا سِرْكِ مَنِيِّ مِنْ خَلْقٍ

دُونَكَ مَا اِسْتَقَيْتُهُ فَأَحْسِنْ وَذُقْ

قال: ثم ذكر عبد الرحمن بن أبي بكر وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير والحسين بن علي وقال: والله لئن لم يبايعوا ليزيد لأفعلن، ولأفعلن! قال: ثم نزل عن المنبر ودخل إلى منزله"(2).

وقيل: صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: "إنا وجدنا أحاديث الناس ذوات عوار، زعموا أن ابن عمر وابن الزبير وابن أبي بكر الصديق لم يبايعوا يزيد! قد سمعوا وأطاعوا وبايعوا له فقال أهل الشام: لا والله لا نرضى حتى يبايعوا على رؤوس الناس، وإلا ضربنا أعناقهم، فقال: مه سبحان الله ما أسرع الناس إلى قريش بالسوء، لا أسمع هذه المقالة من أحد بعد اليوم، ثم نزل. فقال الناس: بايع ابن عمر وابن الزبير وابن أبي بكر، ويقولون: لا والله ما بايعنا. ويقول الناس: بلى لقد بايعتم، وارتحل معاوية فلحق بالشام"(3). وأكد معاوية على أنهم بايعوا بقوله: "وهؤلاء الرهط الأربعة هم عندي سادة المسلمين وخيارهم، وقد دعوتهم إلى البيعة فوجدتهم إذا سامعين مطيعين، وقد سلموا وبايعوا وسمعوا وأجابوا وأطاعوا"(4).

وعلى الرغم من ذلك، "أقبل أهل مكة إلى هؤلاء الأربعة فقالوا لهم: يا هؤلاء! إنكم قد دعيتم إلى بيعة يزيد فلم تبايعوا وأبيتم ذلك، ثم دعيتم فرضيتم وبايعتم! فقال الحسين: لا والله ما بايعنا! ولكن معاوية خدعنا وكادنا ببعض ما كادكم به"(5).

ومما سبق نستدل على مدى قوة موضوع العهد ليزيد في التأثير على قرارات الخليفة الأموي، فقد لجأ معاوية إلى أسلوب الشدة والمراوغة ليوهم الناس قسرا أن ابن عمر وابن الزبير وابن أبي بكر بايعوا يزيد، بالإضافة إلى أنه أجبر كبار أبناء الصحابة وعبادلة قريش على القبول بموضوع البيعة ليزيد، وأوهم عامة الناس أن هؤلاء الكبار قد بايعوا ليزيد، وبذلك حاز معاوية

---

(1) ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج3، ص 102.

(2) ابن أعثم الكوفي، **الفتوح**، ج4، ص 336.

(3) ابن خياط، **تاريخ**، ص 213؛ ابن أعثم الكوفي، **الفتوح**، ج4، ص 336.

(4) **المصدر نفسه**، ج4، ص 336.

(5) **المصدر نفسه**، ج4، ص 336.

قبول أهل الحجاز- ولو قسرا- بموضوع العهد ليزيد، وهذا القبول الذي لم يكن مراداً من قبل الناس، أكسب معاوية شرعية وجعل الناس يقبلون بما قبل به كبار أبناء الصحابة، فالناس رأوا ما يرون أبناء الصحابة وهم سائرون على خطاهم في اختيار خليفة المسلمين من بعد معاوية، وعليه فإن معاوية استخدم أسلوب الدهاء لأجل إبقاء الخلافة في البيت الأموي وفي يزيد ابنه بالذات.

ولا بد من لفت الانتباه هنا إلى أن قوة ولاية العهد المؤثرة في سلطة الخليفة الأموي، يقصد بها التأثير المباشر كتدخل ولي العهد فعلا في قرارات الخليفة وسلطاته بصورة مقصودة كتأثير ولي العهد على الخليفة بصورة فعلية ومباشرة في الإقدام على أمر ما أو الإحجام عنه، أو دور ولي العهد وتأثيره غير المقصود أو اللا مباشر كدفع الخليفة لاتخاذ قرار معين، والذي قد لا يكون لولي العهد يد فيه أو حضور أثناء ممارسة الخليفة لقرار معين يعبر عن سلطته، ويعد موضوع البيعة ليزيد من المواضيع التي تندرج تحت التأثير غير المباشر من قبل ولي العهد نفسه بصورة شخصية وفعلية.

وفي رواية أن معاوية قال ليزيد: "ما ألقى الله بشيء أعظم في نفسي من استخلافك"[1]، وهذا القول يعبر عظمة استخلاف يزيد في نفس معاوية، وكلما كان الأمر عظيما دل على عظمة صاحبه في عين من يستعظم الأمر، وهذا دليل على مدى قوة يزيد كولي للعهد وأثر موضوع العهد ليزيد في سلطة الخليفة معاوية.

وكان عبد الرحمن بن أم الحكم[2] ينازع يزيد بن معاوية كثيراً، فقال معاوية لأبي خداش بن عتبة بن أبي لهب[3]: "إن عبد الرحمن لا يزال يتعرض ليزيد، فتعرض له أنت حتى يسمع يزيد ما يجري بينكما، ولك عشرة آلاف درهم"[4]، وذلك لأن عبد الرحمن بن أم الحكم كان واليا لمعاوية على الكوفة سنة ٥٨هـ/ ٦٧٨م[5]، ويبدو أن هذه الرواية تعود إلى فترة ولاية ابن أم الحكم على الكوفة، وذلك لأنه كان مما تعرض به أبي خداش ضد أبي الحكم: "يا أمير المؤمنين أعدني على عبد الرحمن فإنه قتل مولى لي بالكوفة"[6]، وتشير هذه الرواية إلى تأثير ولاية العهد

(١) البلاذري، **أنساب الأشراف**، ج٥، ص ٦٦.

(٢) هو عبد الرحمن بن عبدالله بن عثمان الثقفي، وقيل عبد الرحمن بن عبدالله بن أبي عقيل الثقفي، ومعروف بابن أم الحكم، أمه أم الحكم بنت أبي سفيان. انظر: ابن عساكر، **تاريخ دمشق**، ج٣٥، ص ٤٣.

(٣) هو أبو خداش بن عتبة بن أبي لهب بن عبد المطلب بن هاشم القرشي، ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم. انظر: ابن عساكر، **تاريخ دمشق**، ج٦٦، ص ١٥٩.

(٤) البلاذري، **أنساب الأشراف**، ج٥، ص ٨٤.

(٥) الطبري، **تاريخ**، ج٥، ص ٣١٢.

(٦) البلاذري، **أنساب الأشراف**، ج٥، ص ٨٤.

على سلطة الخليفة الأموي باعتبار أن ابن أم الحكم كان في الأصل ابن أخت معاوية وأحد المقربين منه في كل الأحوال.

وفي رواية تؤكد دور يزيد في التأثير على سلطة الخليفة معاوية أيضا، أن معاوية ولى النعمان بن بشير حضرموت فكتب النعمان إلى يزيد:

أبا خالدٍ لا تَتركني بِبلدة الـــقرودِ ونيــرانُ الحَــوادِثِ تَلْمَعُ

أبوكَ خَليلي واصْطَفَيْتُكَ بَعْدَهُ على الناسِ ما كانوا معاً وتَصَدَّعوا

(بحر الطويل)

فكلم يزيد أبيه في إعفائه، فأعفاه وولاه الكوفة بعد ابن أم الحكم[١]، ورغم ذلك فقد ذُكر أن يزيد بن معاوية كان "أول من أظهر شرب الشراب والاستهتار بالغناء والصيد واتخاذ القيان والغلمان والتفكه بما يضحك منه المترفون من القرود والمعاقرة بالكلاب والديكة ثم جرى على يده قتل الحسين وقتل أهل الحرة ورمي البيت وإحراقه، وكان مع هذا صحيح العقدة فيما يرى، ماضي العزيمة لا يهم بشيءٍ إلا ركبه"[٢].

ثانيا: الأمراء الأمويون:

يعد الأمراء وهم أفراد البيت الأموي أحد القوى المؤثرة في سلطة الخليفة الأموي، ويقصد بالأمراء هنا هم جميع الأشخاص الذين ينتسبون إلى حرب وأبو العاص والعاص أبناء أمية بن عبد شمس[٣]، وكان لهم أثر في سياسة الدولة الأموية، سواء أكان هذا الأثر بسبب توليهم مناصب إدارية أو تأثير بسبب قربهم من الخليفة وكونهم من أهل رأيه ومشورته، لذلك لا يمكن تخطي دور الأمراء الأمويين في التأثير في سلطة الخليفة وخصوصا بعض الأحداث السياسية كدور ابن زياد في ثورة الحسين بن علي سنة ٦١هـ/ ٦٨١م، ودور الأمراء والولاة من بني أمية في اجتياح المدينة ومكة من قبل جيش يزيد سنة ٦٣هـ/ ٦٨٣م، لأن الفرد الأموي تمتع في العهدين السفياني والمرواني بأهمية ودور محوري في تسيير الكثير من أمور الدولة، فقد كان له تأثير على الخلفاء في توجيههم نحو اتخاذ بعض القرارات واتباع بعض السياسات، ولم يقتصر هذا الأمر على التوجيه والتأثير غير المباشر فحسب، بل لعب بعض أمراء وشخصيات البيت

---

(١) البلاذري، **أنساب الأشراف**، ج٥، ص ١٦٧.

(٢) **المصدر نفسه**، ج٥، ص ٢٩٩.

(٣) للمزيد من التفاصيل حول شجرة نسب بنو أمية. انظر: فوزي، **الخلافة الأموية**، ص ٦١٧.

الأموي أدوارا مصيرية في تاريخ الدولة الأموية؛ لذا يعد الأمراء إحدى القوى الرسمية المؤثرة في سلطة الخلفاء الأمويين.

فقد حرص معاوية- مثلا- على تعيين رجال من بني أمية في الإمرة على الحجاز، ويبدو أن معاوية قصد من وراء ذلك أن يظهر على الناس بولاية أهل بيته، وأن يقدمهم على سائر بيوت قريش في مكة والمدينة؛ ليُقر في أذهان الناس أن بني أمية معدن المُلك، وبيت الرئاسة، وفي نفس الوقت ربما أراد معاوية إبعاد بعض الأمراء من بني أمية في الحجاز عن الشام الذي كان مركز الثقل السياسي آنذاك[١].

ومن مظاهر تأثير الأمراء على سلطة الخليفة ما روي أن معاوية كتب إلى الأمصار أنه يريد أن يأخذ البيعة لابنه يزيد، فكتب إليه مروان بن الحكم وسعيد بن العاص وعبد الله بن عامر يأمرونه أن يتأنى في أمر يزيد، وألا يعجل حتى يرى رأي أهل المدينة في ذلك[٢].

وكذلك الأمر بالنسبة لسعيد بن عثمان بن عفان حين طلب من معاوية أن يوليه خراسان سنة ٥٦هـ/ ٦٧٦م، ورفض معاوية محتجا بأن عليها عبيد الله بن زياد[٣]، وعاتبه سعيد بأن أباه هو الذي اصطنعه وقدمه وأنه ما كان سيصل إلى ما وصله لولا عثمان بن عفان، فرد عليه معاوية بما يؤكد أنه وابنه يزيد أحق بالأمر من سعيد بن عثمان وأنه يرى يزيد الأصلح والأفضل منه: "أما بلاء أبيك فقد يحق علي الجزاء به، وقد كان من شكري لذلك أني طلبت بدمه حتى تكشفت الأمور، ولست بلائم لنفسي في التشمير... وأما فضلك عليه فوالله ما أحب أن الغوطة دحست (ملئت) ليزيد رجالاً مثلك"[٤].

ومما سبق يتضح اتجاه آخر في توكيد خلفاء بنو أمية على أحقيتهم بما وصلوا إليه على الصعيد الأسري، وذلك لأن بنو أمية وبالأخص معاوية كان حريص بشكل كبير منذ مقتل عثمان على التأكيد على أحقيته بوراثة ابن عمه، وذلك لأنه حمل على عاتقه الثأر له والمطالبة بدمه، ولم يكن معاوية آنذاك مهتما إلى حد كبير في بيان أنه هو شخصيا يستحقها دونا عن أبناء عمومته الآخرين، أما الآن وقد حصرت في أبناء الأسرة الأموية، فقد حرص معاوية على التوضيح بأنه الأحق بها لأنه هو الذي سعى إليها مع وجود غيره من الذين كان يتوجب عليهم المطالبة بدم

---

(١) البطاينة، "سياسة بني أمية"، مج١٩، ع٧- ٨، ص ٤٥١- ٤٦٥.

(٢) ابن أعثم الكوفي، **الفتوح**، ج٤، ص ٣٢٩.

(٣) ابن قتيبة، **الإمامة والسياسة**، ج١، ص ٢١٣؛ ابن الجوزي، **المنتظم**، ج٥، ص ٢٨٧.

(٤) الطبري، **تاريخ**، ج٥، ص ٣٠٥.

عثمان، وأيضا بما أنها صارت بين يديه فهو حقيق بأن يورثها من يشاء من بعده، وخصوصا أن يزيد ابنه في نظره وعينه هو الأفضل والأجدر ويمتلك قابليات تؤهله للخلافة من بعد أبيه أكثر من سعيد بن عثمان وغيره من أبناء البيت الأموي.

وتشير الرواية إلى أن يزيد أشار على أبيه أن يولي سعيد بن عثمان، فولاه معاوية حرب خراسان، وولى إسحاق ابن طلحة خراجها، وكان إسحاق ابن خالة معاوية، أمه أم أبان ابنة عتبة ابن ربيعة، فلما صار بالري مات إسحاق بن طلحة فولي سعيد خراج خراسان وحربها[١]. ومن هنا يمكن القول إن هذا كله يؤثر في طبيعة العلاقة بين (معاوية ويزيد من بعده كخلفاء) من جانب و(الأمراء الأمويين) من جانب آخر، وبالتالي يمكن القول إن أمراء بني أمية كانوا إحدى القوى المؤثرة في سلطة الخليفة الأموي وقراراته. ومن خلال الرواية أيضا نستدل أيضًا على دور ولي العهد في التأثير في سلطة الخليفة، فقد أخذ معاوية برأي يزيد في تولية سعيد بن عثمان حرب خراسان.

وكان عمرو بن العاص ذو نفوذ كبير في عهد معاوية، فقد ذكرت المصادر أن معاوية أعطاه مصر طعمة[٢]، وذلك لان عمرو بن العاص كان صالح معاوية حين بايعه على قتال علي بن أبي طالب على أن له مصر طعمة ما عاش[٣]، ومما لا شك فيه أن عمرو بن العاص كان ذو تأثير على سلطة الخليفة معاوية، والدليل على ذلك ما ذكره اليعقوبي عند حديثه عن معاوية: "وكان يغلب عليه عمرو بن العاص، ويزيد بن الحر العبسي، والضحاك بن قيس الفهري"[٤].

ويبدو أن تأمير عمرو بن العاص على مصر وإعطاءه إياها طعمة لم يكن بتأثير عمرو فحسب، بل كان لمروان بن الحكم دور في ذلك كما تشير رواية البلاذري[٥]. وذكرت الرواية أنه بعد أن "استقامت الأمور لمعاوية، فلم يحمل عمرو إليه منها شيئاً، فكان أهل معاوية يسألونه أن

---

(١) الطبري، **تاريخ**، ج٥، ص ٣٠٥.

(٢) نتيجة للدور الذي لعبه عمرو بن العاص في إيصال معاوية للحكم، ودور عمرو في التحكيم والخدعة التي كانت يومها، شرط عمرو بن العاص لمعاوية أن يعطيه مصر طعمة ما بقي، وربما يكون معاوية خاف من خروج عمرو عليه وخصوصا أنه كان واليا على مصر من أيام عمر بن الخطاب وله أنصار بها، فأعطاه ذلك مقابل السمع والطاعة، وأيضا ربما الأمر يعود إلى رغبة معاوية في مكافأة عمرو على ما بذله من أجل وصول معاوية للحكم. انظر: ابن سعد، **الطبقات**، ج٥، ص ٧٩؛ اليعقوبي، **تاريخ**، ج٢، ص ١٢٩؛ ابن عساكر، **تاريخ دمشق**، ج٤٦، ص ١٧٤؛ فوزي، **الخلافة الأموية**، ص ٨٨.

(٣) الطبري، **تاريخ**، ج٥، ص ٩٨.

(٤) اليعقوبي، **تاريخ**، ج٢، ص ١٢٩.

(٥) البلاذري، **أنساب الأشراف**، ج٥، ص ١٠٣.

يكتب إلى عمرو في هدايا مصر فيقول: عمرو جموح طموح منوع، فاعفوني من الكتاب إليه واكتبوا أنتم، فكانوا يكتبون إليه فلا يبعث إليهم بشيء، فقالوا لمعاوية: اعزله، فقال: أما عزله فلا، ولكني أروعه بالقدوم فإنه شبيه بالعزل له، فكتب إليه فقدم، فقال معاوية: يا عمرو بلغني أنك تقوم على منبر مصر فتذكر بلاءك بصفين، فإن كان ذلك لله فأجرك عليه، وإن كان للدنيا فقد أعظمنا مكافأتك، فهل علمت أنك قد نقضت شرطك لردك كتبي؟ قال: ما رددت لك كتاباً أعلم أنه منك، ولكنه كانت تأتيني كتب على لسانك؛ فأما قيامي على المنبر فلم أرد به مناً عليك؛ وأما قولك إني أعظمت مكافأتك بمصر فعليها بايعتك، قال: انصرف إلى رحلك، فانصرف ثم عاد إليه من الغد، فقال: يا أمير المؤمنين لم أزل أقدح في غارب خير بمصر حتى رجعت إليك، وقد رأيت أن أحضرك ما قدمت به لترى فيه رأيك، فقال معاوية: أمسك عليك مالك، واعلم أنك اذا دعيت إلى مأدبة قوم أو قال مائدة قوم فقد عدك أهلها ممن يأكل، فإن شئت فكل وإن شئت فجع، وما أعطيتك مصر إلا لأنفعك، فارجع إلى عملك"[1].

وفي رواية أن معاوية طلب من عمرو بن العاص أن يتولى الكوفة، وأن يبعث عمرو ابنه بدلا منه على مصر، وحدث أن قدم المغيرة بن شعبة الثقفي على معاوية، فقال له: "أتؤمر عمراً على الكوفة وابنه على مصر، فتكون كالقاعد بين لحيي الأسد؟ قال: فما ترى؟ قال: انا أكفيك الكوفة. قال: نعم ما رأيت. وبلغ عمراً ذلك، فقال لمعاوية: ألا أدلك على أمير للكوفة؟ قال: بلى، قال: المغيرة بن شعبة ولِّه واستعن برأيه وقوة مكيدته واعزله عن الخراج والمال، فقد كان عمر وعثمان فعلا به ذلك. فقال معاوية: نعم ما رأيت. ودخل المغيرة على معاوية، فقال له: إني قد كنت جمعت لك الجند والمال، ثم ذكرت أن الخليفتين قبلي كانا يوليانك الجند ويعزلان عنك الخراج. فخرج المغيرة فقال لأصحابه: قد عزلت عن الخراج، وهذا رأي لم يغب عنه أبو عبد الله، يعني عمرو بن العاص، ويقول: إنه من مشورته"[2]. وهذه الرواية تدل على غلبة عمرو بن العاص على معاوية وتأثيره في سلطات الخليفة بدهائه وحنكته السياسية.

ومن الأدلة التي يمكن استنتاجها على دور الأمراء في التأثير على سلطة الخليفة في العصر الأموي، ما ورد في أن معاوية كان يغري بين سعيد بن العاص ومروان بن الحكم فكتب إلى سعيد وهو واليه على المدينة يأمره بهدم دار مروان وقبض أمواله بما فيها فدك، وجعلها صافية، فلم يفعل، فأعاد عليه فلم يفعل، فلما ولي مروان بن الحكم المدينة للمرة الثانية (٥٤-٥٧هـ/ ٦٧٣- ٦٧٧م)، كتب إليه معاوية بهدم دار سعيد، وقبض أمواله، فكاد مروان أن ينفذ ما

---

(١) البلاذري، **أنساب الأشراف**، ج٥، ص ١٠٣.

(٢) **المصدر نفسه**، ج٣، ص ٣٠١.

أمر به معاوية، فاستنكر سعيد ذلك وعاتبه: يا أبا عبد الملك أتهدم داري؟!، فكان رد مروان عليه بأنه فعل ذلك تنفيذا لأمر معاوية، فعرض سعيد كتب معاوية إليه في هدم دار مروان وأخبره أنه رغم أمر معاوية، إلا أنه لم ينفذه، فقال مروان: "يا أبا عثمان كتب إليك بهذه الكتب فلم تعلمني؟! قال: ما كنت لأمرر عليك عيشك، وإنما أراد أن يغري بيننا، فقال مروان: فداك أبي وأمي فإنك أكرمنا ريشاً وعقباً، وأمسك عن هدم داره"[1].

ومن تأثير الأمراء على سلطة الخليفة الأموي خصوصا في مسألة التعيين والعزل، أن معاوية ضم الكوفة إلى زياد سنة ٥٠هـ/ ٦٧٠م[2]، وقيل سنة ٤٩هـ/ ٦٦٩م[3]، بعد وفاة المغيرة بن شعبة والذي كان واليا على الكوفة، فكان زياد هو أوَّلَ من جمع له ولاية العراقين البصرة والكوفة[4]، وكان معاوية قد ألحقه بنسبة سنة ٤٤هـ/ ٦٦٤م[5]. وهنا يظهر تأثير الأمراء بسبب أن معاوية أراد أن يعطي لزياد مكانته ويكرمه بما يليق بآل أبي سفيان بعد أن ألحقه بنسبه، وكافأه بأن جمع له العراقين.

وحين أراد معاوية "عزل مروان بن الحكم عن المدينة، فبلغ ذلك مروان فقدم على معاوية، فلم يأذن له وقال: لا آذن له إلا مع جماعة الناس، فقال: ما شاء الله! وتهدده، فبلغ معاوية قوله فأذن له وتعوذ من شره، فدخل فقال: يا أمير المؤمنين علام تعزلني؟ فوالله لقد أمرناك فما عزلناك، ووصلناك فما قطعناك، ولا حرمناك مذ أعطيناك، فقال معاوية: أعزلك لثلاث لو لم تكن إلا واحدة منهن لوجب أن تقتلع اقتلاع الصمغة، قال: وما هن؟ قال: أتيتني وعبد الله بن عامر في يدي وقد أقر لي بألف ألف درهم فانتزعته مني، واستصرختك ابنتي على زوجها فلم تصرخها، ورأيت أنك قد ذهبت في السماء عالياً فأردت أن أضع منك، قال: يا أمير المؤمنين أما ابن عامر فقرابته مني ومنك سواء، فلست بأحق به منك، فإن تطب نفسك بما عليه وإلا فإني ضامن لك ما أقربه، وأما ابنتك فإن أخت زوجها عمرو بن عثمان عندي، وأنا أغيرها وأمضها فلم أكن لأنهى عمراً عن شيء أصنع مثله بأخته، وأما ذهابي في السماء، فأنا ابن عمك وشرفي شرفك وزيني زينك، قال: صدقت أبا عبد الملك، فارجع إلى عملك وأزرني رملة ابنتي. فرجع مروان إلى

(١) ابن سعد، **الطبقات**، ج٦، ص ٣٩٦؛ البلاذري، **أنساب الأشراف**، ج٥، ص ٣٩؛ ابن مسكويه، **تجارب الأمم**، ج٢، ص ٢٦؛ الطبري، **تاريخ**، ج٥، ص ٢٩٣؛ ابن الجوزي، **المنتظم**، ج٥، ص ٢٦٧.

(٢) الطبري، **تاريخ**، ج٥، ص ٢٣٤.

(٣) ابن الجوزي، **المنتظم**، ج٥، ص ٢٢٤.

(٤) ابن خياط، **تاريخ**، ص ٢١٠؛ المسعودي، **مروج الذهب**، ج٣، ص ٢٨؛ الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ج٢٨، ص ١٦.

(٥) ابن الجوزي، **المنتظم**، ج٥، ص ٢١٠.

المدينة وحمل رملة إلى معاوية، فقال: يا بنية كيف رضاك عن عمرو بن عثمان زوجك؟ قالت: والله ما يزال بنو أبي العاص يتكثرون علينا بعددهم حتى لوددت أن ابني هذين منهم في البحر، قال: يا بنية إن هذا منك كبير، ولنحن كنا أشقى بمناوأة الرجل من أن تكوني رجلاً"[1]. وهذه الرواية نستدل منها مدى تأثير الأمراء على قرارات وسلطات الخليفة في العصر الأموي في الفترة موضوع البحث، فالعلاقة بين الخليفة والأمير متعلقة ببعض التصرفات التي يبديها كلا الطرفين، وفي كل الأحوال تتأثر السلطات والقرارات بتلك التصرفات.

ولا يقتصر الأمر على علاقة الخليفة بالأمير نفسه، وأثر ذلك في سلطة الخليفة، بل يتعداه الأمر إلى دور علاقة الخليفة بالأمراء من أهل بيته في التأثير على علاقات الخليفة بأشخاص آخرين سواء أكانوا قرشيين أم غير قرشيين؛ فقد تنازع عبد الله بن الزبير ومروان بن الحكم ذات مرة، فمال معاوية إلى جانب مروان، فعاتبه ابن الزبير: "يا معاوية إن لنا حقاً وحرمة وطاعة، ما أطعت الله نطعك، إنا يا معاوية لا ندع مروان يركبنا في جماهير قريش بمشاقصه، ويضرب صفاتهم بمعاوله، ولولا مكانك كان أخف على رقابنا من فراشة، وأذل في أنفسنا من خشاشة، ولئن ملك أعنة خيل تنقاد له ليركبن منك طبقاً تخافه، فقال معاوية: إن يطلب الأمر فقد يطمع فيه من هو دونه، وإن يتركه لمن هو فوقه، وما أراكم يا معشر قريش بمنتهين حتى يبعث الله عليكم من لا يعطف على أحد منكم بقرابة، ولا يذكركم في ملمة، يسومكم الخسف ويوردكم التلف، قال ابن الزبير: إذاً والله يا معاوية نطلق عقال الحرب بكتائب تمور كرجل الجراد، لها دوي كدوي الريح، تتبع غطريفاً من قريش لم تكن أمه براعية ثلة، فقال معاوية: أنا ابن هند، أطلقت عقال الحرب، وأكلت عبيط السنام، وشربت عنفوان المكرع، فليس للآكل بعدي إلا الفلذة، ولا للشارب إلا الرنق، فقال ابن الزبير: رب آكل عبيط سيغص، وشارب صفوٍ سيشرق ويقال قال: رب آكل عبيطٍ سيقد، والقداد حر في الصدر"[2].

وفي رواية أخرى أن رجلًا من ولد أمية بن خلف الجمحي عاتب معاوية على إكرامه أمراء أهل بيته والمقربين منه على حساب الناس الذين بايعوه وناصروه، وكان مما قال: "انا تركنا الحق وعلي يدعونا إليه، وبايعناك على ما تعلم، فلما تسهلت لك الأمور جعلت الدنيا

(١) البلاذري، **أنساب الأشراف**، ج٥، ص ٧١.

(٢) **المصدر نفسه**، ج٥، ص ٧٦.

لأربعة: سعيد بن العاص، وعمرو بن العاص السهمي، ومروان بن الحكم، والمغيرة بن شعبة، وتركتنا لا في عيرٍ ولا في نفيرٍ"[١].

وذكر البلاذري "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر إلى الحكم بن أبي العاص فقال: إذا بلغ ولده ثلاثين كان الأمر لهم، فشاجر معاوية مروان يوماً فقال: أنا أبو عشرة وأخو عشرة وعم عشرة، فقال معاوية: لقد أخذتها من عينٍ صافية"[٢]. ومهما كان صحة هذه الرواية، فإنها تعبر على كل حال عن علاقات الأمراء بالخليفة، وبالتالي تأثيرهم على سلطاته.

وورد أن مروان بن الحكم كتب إلى معاوية يسأله تولية عبد الملك بن مروان ديوان المدينة ففعل، فكان عليه إلى آخر أيام يزيد بن معاوية[٣]. ودخل عبد الملك بن مروان يوما على يزيد، وسأله أن يقطعه أرض ليزيد كانت إلى جانب أرض لعبد الملك، فأقطعه يزيد إياها وشكره عبدالملك، فلما تولى يزيد الخلافة، رُوي أنه قال: "إن الناس يزعمون أن يصير خليفة (يقصد عبدالملك)، فإن صدقوا فقد صانعناه، وإن كذبوا فقد وصلناه"[٤]. وهذه الرواية تدل على دور أمراء البيت الأموي في التأثير على سلطة الخليفة، فيزيد هنا يجامل عبد الملك بن مروان بإقطاعه أرض، وذلك لأنه ربما يكون خليفة يوما، وإن لم يكن فهي صلة رحم.

ومن الأدلة على دور الأمراء في التأثير على سلطة الخليفة أيضا، الحوار الذي دار بين زياد بن أبي سفيان وعبدالله بن عامر بن كريز، وذلك بسبب أن رجل من عبد القيس كان من أتباع زياد وقدم إلى ابن كريز شاكيا زياد، فطلب زياد من ابن كريز أن يخبره بما قال له الرجل، فأبى ابن كريز، وقام زياد بشكوى ابن كريز إلى معاوية، فغضب معاوية من ذلك وأبى إلا أن يرضي ابن كريز زياد حتى أرضاه[٥].

وقدم سلم بن زياد على يزيد بن معاوية من البصرة يوما، فقربه وأدناه، ثم سأله يزيد عن سبب قدومه، فقال: أحببت النظر إلى أمير المؤمنين وأن أكون تحت كنفه، فعلم يزيد أنه يحب أن

---

(١) البلاذري، **أنساب الأشراف**، ج٥، ص ١٣٢.

(٢) **المصدر نفسه**، ج٥، ص ١٢٥.

(٣) **المصدر نفسه**، ج٥، ص ١٦٦.

(٤) المسعودي، **مروج الذهب**، ج٣، ص ٣٠.

(٥) البلاذري، **أنساب الأشراف**، ج٥، ص ٢٣٢.

يوليه بعض الأعمال، "فنادمه يزيد يومه ذلك، فلما كان من الغد دعا به فعقد لـه عقدا وضـم إليـه جيشا من أهل الشام وولاه بلاد خراسان"[1].

وفي سنة ٦٢هـ/ ٦٨٢م قدم وفد من أهل المدينة على يزيد وبـايعوا عبـدالله بـن حنظلـة[2] الغسيل[3]، وكان السبب في ذلك أن يزيد عزل عمرو بـن سـعيد عـن المدينـة، وولاهـا الوليـد بـن عتبة، فقدم الوليد المدينة فأخذ غلماناً لعمرو بن سعيد وحبسهم، فكلمه فيهم عمرو فأبى أن يخليهم، فخرج عمرو من المدينة وكتب إلى غلمانه بالهروب من السجن والقدوم إليـه، وقـدم عمـرو علـى يزيد، فرحب به وعاتبه على تقصيره في أشياء يأمره بها في ابن الزبير، وبـرر عمـرو ذلـك بـأن جل أهل الحجاز مالوا إلى ابن الزبير، وأنه لم يكن معه جند وقـوة تسـتطيع الغلبـة عليـه فـي حـال ناهضه، وأنه كان يداريه حتى يتمكن منه، وأنه حاول التضييق على ابن الزبير ما استطاع، وأنـه سيظهر له الآن بعد أن ولى الوليد أن عمرو بن سعيد كان محقا في ذلك، فعزل يزيد الوليد، وبعث عثمان بن محمد بن أبي سفيان[4]. وهذا دليل على تأثير الأمراء كعمرو بن سعيد والوليد بن عتبـة وغيرهما في قرارات وسلطات الخليفة.

وفي رواية أن مروان بن الحكم دخل على معاوية بـن يزيـد فقـال لـه: "لقد أعطيـت مـن نفسك ما يعطي الذليل المهين، ثم رفع صوته فقال: من اراد أن ينظر في خالفة آل حرب بـن أميـة فلينظر إلى هذا، فقال له معاوية: يا بن الزرقاء اخرج عني لا قبل الله لك عذراً يوم تلقاه"[5]. ولمـا حضرته الوفاة اجتمعت إليه بنو أمية فقالوا له: اعْهَدْ إلى من رأيت من أهل بيتك[6]، فقال: والله ما

(١) ابن أعثم الكوفي، **الفتوح**، ج٥، ص ١٣٦.

(٢) هو عبدالله بن حنظلة بن أبي عامر الراهب. يقال له: ابن الغسيل، وذلك لأن أباه هو الصحابي حنظلـة غسـيل الملائكـة، ولـد قبـل وفـاة الرسـول بسـبع سـنين، كـان خيّـرا فاضـلا مقدّما فـي الأنصـار، وقتـل يـوم الحـرة سـنة ٦٣هـ/٦٨٣م. انظر: ابـن عبـد البـر، أبـي عمـر يوسـف بـن عبـدالله بـن محمـد القرطبـي (ت ٤٦٣هــ/ ١٠٧٠م). **الاستيعاب فـي معرفـة الأصـحاب**. تحقيـق: علـي محمـد البجـاوي، دار الجيـل، بيـروت، د ت، مـج٣، ص ٨٩٢. (سيشار إليه فيما بعد: ابن عبد البر، **الاستيعاب**).

(٣) ذكر الطبري وابن مسكويه أن أهل المدينة بايعوا عبدالله بن حنظلـة الغسـيل، وأورد آخـرون أن قـريش ولـت عليها عبدالله بن مطيع العدوي، والأنصار أمرو عليهم عبدالله بن حنظلة الغسيل، وأمرت قبائل المهـاجرين عليهـا معقل بن سنان الأشجعي. انظر: ابن خياط، **تاريخ**، ص ٢٣٧؛ الدينوري، **الأخبـار الطـوال**، ص ٢٦٤؛ الطبـري، **تاريخ**، ج٥، ص ٤٨٤؛ ابن مسكويه، **تجارب الأمم**، ج٢، ٨٥؛ ابن عبد البر، **الاسـتيعاب**، مـج٣، ص ٨٩٣؛ ابـن الجوزي، **المنتظم**، ج٦، ص ١٢؛ ابن طولون الدمشقي، شمس الدين محمد بن علـي (ت ٩٥٣هــ/ ١٥٤٦م). **قيـد الشريد من أخبار يزيد**. تحقيق: فاطمة مصطفى عامر، دار العلوم للطباعة، القـاهرة، ١٩٧٨م، ص ٣٨. (سيشـار إليه فيما بعد: ابن طولون الدمشقي، **قيد الشريد**).

(٤) ابن الجوزي، **المنتظم**، ج٦، ص ٦.

(٥) البلاذري، **أنساب الأشراف**، ج٥، ص ٣٨١.

(٦) ابن قتيبة، **الإمامة والسياسة**، ج٢، ص ١٧.

ذُقْتُ حلاوة خلافتكم فكيف أتقلّد وزرَهَا؟ وتتعجلون أنتم حلاوتها، وأتعجل مرارتها"[1]، وعلى الرغم من أن معاوية بن يزيد لم يستجب لمشورتهم، إلا أن ما سبق يدل على دور الأمراء في التأثير على سلطات الخليفة الأموي.

ومن مظاهر تأثير الأمراء على سلطات الخلفاء، أن مروان بن الحكم حين سار إلى الجابية، لقاه عمرو بن سعيد بن العاص الأشدق، وكان الضحاك بن قيس الفهري قد استمال الناس لصالح ابن الزبير، فقال الأشدق لمروان: "هل لك فيما أقوله لك فهو خير لي ولك؟ قال مروان: وما هو؟ قال: أدعو الناس إليك وآخذها لك على أن تكون لي من بعدك، فقال مروان: لا، بل بعد خالد بن يزيد بن معاوية، فرضي الأشدق بذلك، ودعا الناس إلى بيعة مروان فأجابوا"[2].

ثالثا: كبار القادة العسكريين:

سارت الدولة الإسلامية في صدر الإسلام على مبدأ (الأمة المقاتلة) في التنظيم العسكري، فكان جميع أفراد المجتمع الإسلامي القادرين على حمل السلاح يمثلون قوام الجيش الإسلامي، لذلك لم يكن الجيش في ذلك الوقت بصورة (الجيش النظامي المحترف) كما هو الحال فيما بعد في العصر العباسي، فقد كانت ظروف الحروب والفتوحات تضطر الناس على المبادرة في الانخراط في الجيش والجهاد، وجدير بالذكر أنه تم إنشاء ديوان الجند سنة ١٥هـ/ ٦٣٥م في زمن الخليفة عمر بن الخطاب (١٣- ٢٣هـ/ ٦٣٤- ٦٤٣م)[3]، وهذا الديوان تم فيه تقييد أسماء المقاتلة الذين يستحقون العطاء، ولأن ديوان الجند كان هو الديوان الوحيد والأول الذي عرفته الدولة الإسلامية، فقد كان يقال له الديوان فقط، دون أن يقال ديوان الجند، لأنه لم يكن لتمييزه حاجة لعدم وجود أي ديوان آخر غيره[4].

وكان للمقاتلة بصورة عامة والقادة العسكريين بصفة خاصة أدوارًا مهمة في تاريخ الدولة الأموية، فقد حرص خلفاء الدولة الأموية على توكيل الإمرة العسكرية لأشخاص أكفاء يتم اختيارهم وفقا لاعتبارات عديدة أهمها: الكفاءة والخبرة بشؤون الحرب، والشجاعة والبأس، والرأي والتجربة، والحزم والمواظبة على التدريب، وأن يكون سخيا وحذرا ومتيقظا، وأن يكون

---

(١) المسعودي، **مروج الذهب**، ج٣، ص ٦٦؛ ابن الجوزي، **المنتظم**، ج٦، ص ٣٢.

(٢) المسعودي، **مروج الذهب**، ج٣، ص ٧٥.

(٣) الطبري، **تاريخ**، ج٣، ص ٦١٤.

(٤) فوزي، **الجيش والسياسة**، ص ٢٠.

شديد الولاء للدولة[١]. وقد برر معاوية بن أبي سفيان سبب عزله لعقبة بن نافع الفهري وتأميره مسلمة بن مخلد مكانه سنة ٥٥هـ/ ٦٧٥م بقوله: "عرفت مكان مسلمة بن مخلد من الإمام المظلوم، وتقديمه إياه، وقيامه بدمه، وبذله مهجته"[٢].

أسهم المقاتلة الشامية بشكل كبير في وصول بني أمية للخلافة، واستند معاوية عندما كان والي الشام على المقاتلة وأمراء أجناد الشام والقادة العسكريين في نقل الخلافة إلى أسرته، وأصبحت لهم اليد الطولى في الإدارة والحكم[٣]، وبذلك ارتبطت الشرعية الأموية بمقدار تماسك الجند الأموي وإخلاصه للأسرة الأموية، وأدى ذلك بشكل أو بآخر على اعتماد كل من الجند والسلطة على بعضها البعض واستغلال كل طرف الطرف الآخر في سبيل مصالحه الخاصة؛ وهذا أهم مظاهر من مظاهر تأثير الجند بما فيهم القادة العسكريين على سلطة الخلفاء في العصر الأموي[٤]. وجدير بالذكر هنا أن هؤلاء القادة العسكريين، ووفقا لنظام الأمة المقاتلة كان من الطبيعي أن يكونوا مدفوعين في كثير من المواقف بدوافع قبلية أو إقليمية أو مصلحة شخصية أو حزبية وغيرها[٥].

ومن المظاهر التي تدل على أهمية المقاتلة ودورهم في التأثير في سلطة الخليفة في العصر الأموي، أن الخليفة معاوية كان أول من وضع نظام شرف العطاء، ونظم العطاء للأطفال- أطفال المقاتلة- استنادا إلى تجربة الخليفة عمر بن الخطاب، فقد خصص عمر بن الخطاب للأطفال دون السابعة عشرة مائة درهم في السنة تدفع لهم عند الفطام، فأخذ بعض الناس يفطمون أولادهم مبكرا قبل الموعد الطبيعي، فقرر عمر أن يفرض للمولود حال ولادته، وقرر معاوية أن يعود إلى النظام الأول، ففرض للمواليد بعد الفطام[٦].

---

(١) عواد، **الجيش في العصر الأموي**، ص ١٥٥.

(٢) ابن عبد الحكم، عبد الرحمن المصري (ت ٢٥٧هـ/ ٨٧١م). **فتوح مصر والمغرب**. تحقيق: عبد المنعم عامر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، د ت، ج١، ص ٢٦٦. (سيشار إليه فيما بعد: ابن عبد الحكم، **فتوح مصر والمغرب**)؛ ابن عذاري، أبي العباس أحمد بن محمد المراكشي (ت ٧١٢هـ/ ١٣١٢م). **البيان المغرب**. تحقيق: بشار معروف ومحمود عواد، دار الغرب الإسلامي، تونس، ٢٠١٢م، ج١، ص ٤٦. (سيشار إليه فيما بعد: ابن عذاري، **البيان المغرب**).

(٣) البرهاوي، رعد محمود أحمد. **أجناد الشام: دورهم السياسي والعسكري في العصر الأموي**. دار الكتاب الثقافي، د م، ٢٠٠٧م، ص ٦١. (سيشار إليه فيما بعد: البرهاوي، **أجناد الشام**).

(٤) فوزي، **الجيش والسياسة**، ص ٥٤.

(٥) **المرجع نفسه**، ص ٦١.

(٦) البلاذري، **فتوح البلدان**، ص ٦٤٣؛ بن حسين، بثينة. **الدولة الأموية ومقوماتها الإيديولوجية والاجتماعية**. كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سوسة، د ت، ص ١٠٨. (سيشار إليه فيما بعد: بن حسين، **الدولة الأموية**).

وفي مواقف كثيرة كان المقاتلة وقادتهم في العصر الأموي يشتركون في الصراعات السياسية أو ينحازون لإحدى الفئات على حساب لأخريات، ونظرا لعدم وجود رادع يمنع المقاتلة من ذلك؛ فمن الطبيعي أن تجدهم في ثورات أو تمردات ضد الدولة، وحتى في الصراعات القبلية فإن المقاتلة من القبائل المختلفة ينشقون على أنفسهم بين مؤيد للدولة ومعارض لها، ومما لا شك فإن لهذا الأمر أثر سلبي على الحياة العسكرية والاستعداد الحربي للدولة(١)، وبذلك يتضح أيضا مشهد آخر من مشاهد تأثير القادة العسكريين على سلطة الخليفة في العصر الأموي.

فقد روى ابن خياط في حوادث سنة ٤٥هـ /٦٦٥م أن معاوية بعث ابن عامر عبد الله بن سوار العبدي(٢) فافتتح القيقان من بلاد الترك وأصاب غنائم، ثم قدم واستخلف كراز بن أبي كراز العبدي، وقدم كراز بعد ذلك على معاوية فرده إلى عمله وعزل ابن عامر(٣). وهنا دليل على أن تصرف القائد ابن عامر واختياره لكراز العبدي خلفا له كان له تأثير في تعيينه فيما بعد من قبل معاوية على تلك الديار.

وكان معاوية يرسل عبد الرحمن بن خالد بن الوليد على رأس حملات كثيرة إلى الروم: شاتية سنة ٤٤هـ/ ٦٦٤م، وشاتية سنة ٤٥هـ/ ٦٦٥م، وقيل سنة ٤٧هـ/ ٦٦٧م(٤)، وحدث أن جاشت الروم ذات مرة، فاستعمله معاوية على الصائفة، وكتب له عهداً، ثم قال له: "ما أنت صانع بعهدي؟ قال: سأتخذه إماماً ومثالا فلا أتجاوزه، قال: رُد علي عهدي. فقال: أتعزلني ولم تخبرني؟ أما والله لو كنا ببطن مكة على السواء ما فعلت بي هذا"(٥). فرد معاوية عليه ردا قاسيا مذكرا عبد الرحمن بمكانته في مكة وانه كان من ساداتها: "لو كنا ببطن مكة لكنت معاوية بن أبي سفيان بن حرب وكنت عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، وكان منزلي بالأبطح، وكان منزلك بأجياد، أعلاه مدرة وأسفله عذرة"(٦).

---

(١) فوزي، فاروق عمر. "الجند الأموي والجيش العباسي". **مجلة وزارة الثقافة والإعلام- دائرة الشؤون الثقافية**، بغداد، ١٩٧٩م، مج٨، ع٤، ص ٢٣٤- ٢٤٤. (سيشار إليه فيما بعد: فوزي، "الجند الأموي والجيش العباسي").

(٢) تابعي من أهل البصرة، استعمله زياد على مكران، توفي سنة ٤٧هـ/ ٦٦٧م في غزوة على بلاد الترك. انظر: ابن عساكر، **تاريخ دمشق**، ج٢٩، ص ٩٦.

(٣) ابن خياط، **تاريخ**، ص ٢٠٧.

(٤) الطبري، **تاريخ**، ج٥، ص ٢١٢.

(٥) البلاذري، **أنساب الأشراف**، ج١٠، ص ٢٠٩.

(٦) **المصدر نفسه**، ج١٠، ص ٢١٠.

ثم ولى معاوية الصائفة سفيان بن عوف الغامدي من الأزد، فقال له: وليتك الصائفة وهذا عهدي فما أنت صانع؟ قال: أتخذه إماماً ما أم الحزم فإذا خالفه أعملت رأيي وسألت الله التوفيق، فقال معاوية: أنت لها، فلما ودعه قال معاوية: "هذا والله الذي لا يُدفع بطء ولا يكفكف من عجلة، ولا يضرب على الأمور ضرب الجمل الثقال"(1)، فغزا بالناس الصائفة، ثم هلك فاستخلف عبد الرحمن بن مسعدة الفزاري وقال له: احرص على أن ترجع بالناس سالمين، فغزا بهم فأصيبوا ورجع منهزماً، وقد كان الشاعر قال فيه:

أَقُمْ يَا اِبْنِ مَسْعُــــودٍ قَنَاةَ قويمةً	كَمَا كَانَ سُفْيَانُ بْن عَوْفٍ يُقِيمُهَا
وَسَمِّ يَا اِبْنِ مَسْعُودٍ مَدَائِنَ قَيْصَرٍ	كَمَا كَانَ سُفْيَانُ بْن عَوْفٍ يَسُومُهَا

فلما قدم على معاوية قال: أقم يا ابن مسعود فقال: يا أمير المؤمنين، قرنتني إلى رجل قل أشباهه في حزمه وبأسه، فقال معاوية: "إن من فضلك عندي معرفتك بفضل من هو أفضل منك، ولكنك قلت هذه أول ولاياتي ومحني فحرصت فغرّرت، والله يغفر لك"(2). ومن هذه الروايات التي ذكرتها المصادر يتبين مدى تأثير القادة العسكريين في سلطة الخليفة في العصر الأموي، فقد كان لعبد الرحمن بن خالد دور في التأثير على سلطة الخليفة معاوية، ولذلك سحب معاوية منه العهد وأعطاه سفيان بن عوف الغامدي، ومن ثم عبد الرحمن بن مسعدة الفزاري.

وروت المصادر في حوادث سنة ٤٦هـ/ ٦٦٦م أن عبد الرحمن بن خالد كان يلي الصوائف والشواتي لمعاوية، فعظم أمره بالشام؛ لما كان عندهم من آثار أبيه خالد بن الوليد، ولما كان له من بلاء حسن في حرب الروم، فدس إليه معاوية متطبباً يقال له عدي بن أثال ليقتله وجعل له خراج حمص(3)، فلما قدم عبد الرحمن بن خالد حمص منصرفاً من بلاد الروم دس إليه ابن أثال شربةً مسمومةً مع بعض مماليكه، فشربها فمات بحمص، فوفى له معاوية بما ضمن له، وولاه خراج حمص، ووضع عنه خراجه(4). وهذا دليل على أن علو شأن بعض القادة كان يخيف الخليفة من غرورهم والتفاف الناس حولهم؛ لذا أقدم معاوية على هذه الخطوة ليتخلص من عبد

---

(1) البلاذري، **أنساب الأشراف**، ج١٠، ص ٢١٠.

(2) **المصدر نفسه**، ج١٠، ص ٢١٠؛ ابن عساكر، **تاريخ دمشق**، ج٢١، ص ٣٤٩.

(3) البلاذري، **أنساب الأشراف**، ج٥، ص ١١٨؛ ابن الجوزي، **المنتظم**، ج٥، ص ٢١٧.

(4) الطبري، **تاريخ**، ج٥، ص ٢٢٧.

الرحمن بن خالد، وأكد الطبري ذلك بقوله: "حتى خافه معاوية، وخشي على نفسه منه، لميل الناس إليه"[1].

وعندما أراد معاوية قتل حجر بن عدي الكندي وأصحابه اعترض مالك بن هبيرة السكوني، وطلب مالك من معاوية أن يهب له ابن عمه حجر، إلا أن معاوية استطاع بأسلوبه ودهائه أن يقنعه ويستميله، حيث أعتذر له عن ذلك بحجة أن حجر بن عدي هو رأس القوم، وأنه حتى لو خلى سبيله فإن البقية سيستمر في المعارضة وسيفسد عليه أهل العراق: "إن ابن ابن عمك حجراً رأس القوم، وأخاف إن خليت سبيله أن يفسد علي مصري، فيضطرنا غداً إلى أن نشخصك وأصحابك إليه بالعراق. فقال له: والله ما أنصفتني يا معاوية، قاتلت معك ابن عمك فتلقاني منهم يومٌ كيوم صفين، حتى ظفرت كفك، وعلا كعبك ولم تخف الدوائر، ثم سألتك ابن عمي فسطوت وبسطت من القول بما لا أنتفع به؛ وتخوفت فيما زعمت عاقبة الدوائر!"[2]، وهذه الرواية تدل على دور القادة العسكريين الشاميين في التأثير على سلطة الخليفة، وعلى الرغم من أن معاوية لم يفي لمالك بن هبيرة بمطلبه، إلا أنه يضع في الاعتبار أن يطيب خاطره من جانب آخر، وهذا يعكس علاقة القادة العسكريين بالسلطة في العصر الأموي.

ومن الجوانب التي يتبين فيها تأثير القادة العسكريين على سلطة الخليفة الأموي، ما روي في أحداث فتوحات المغرب العربي، ففي سنة ٥٠هـ/ ٦٧٠م عُزل معاوية بن حديج عن مصر ووُلي مسلمة بن مخلد مصر وإفريقية، وكان معاوية بن أبي سفيان قد بعث عقبة بن نافع الفهري إلى إفريقية، ففتحها وخط القيروان، وكان موضع القيروان لا يُرام من السباع والحيات، واستطاع عقبة أن يؤسس فيه قاعدته وأقطع للناس فيها مساكن وبنى المسجد، وظل مقيما فيها حتى عزل[3]. ويتضح تأثير القادة هنا في دور عقبة بن نافع في التأسيس لمدينة إسلامية في تلك البقاع وأنه لولا دوره في ذلك وقدرته على فتح إفريقية واستئناس تلك البلاد، لما استطاعت الدولة الأموية بعد ذلك الاستمرار في فتوحات المغرب والأندلس.

وكان معاوية يبعث الصوائف طوال عهده حتى بلغ عدد ما أرسل تقريبا ستة عشر صائفة، وكانت الصوائف تشتي بأرض الروم، ثم تعود وتذهب صائفة أخرى، واستمر الوضع هكذا حتى جاء يزيد ابنه، وواصل على نهج أبيه في إرسالها، فقد كان يبعث فيها أصحاب رسول

---

(١) الطبري، **تاريخ**، ج٥، ص ٢٢٧.

(٢) **المصدر نفسه**، ج٥، ص ٢٤٠.

(٣) ابن عائذ، **كتاب الصوائف**، ص ١٣؛ ابن الجوزي، **المنتظم**، ج٥، ص ٢٢٨.

الله[1]، وهذا الحرص من معاوية وابنه على استمرار إرسال الصوائف إلى أرض الروم يمثل جانب من جوانب قوة القادة العسكريين وثباتهم وحسن بلاءهم، مما يستدعي معاوية ومن بعده يزيد في الحفاظ على مبدأ الاستمرارية في إرسال الصوائف، وهنا يظهر تأثير قادة الصوائف على سلطة الخليفة الأموي.

ففي سنة ٥٣هـ/ ٦٧٣م أرسل معاوية على الصائفة إلى أرض الروم عبد الله بن مسعود المعروف بابن مسعدة- وهو أخو عبد الرحمن بن مسعدة- وحدث أن غضب عليه معاوية في شيء، فقال له: هلا فعلت كما فعل سفيان بن عوف؟ فأجابه: يا أمير المؤمنين وأين أنا من ابن عوف؟ فعفا عنه معاوية لمعرفته فضل ابن عوف ومكانته. وسفيان بن عوف الغامدي هو أيضا أحد قادة معاوية، وكان قد أرسله معاوية على شاتية في نفس العام الذي غزا فيه جيش معاوية القسطنطينية[2].

وكان معاوية قد أرسل القائد جنادة بن أبي أمية في عدة حملات إلى بلاد الروم، فقد أرسله سنة ٥٣هـ/ ٦٧٣م ونجح في فتح رودس، وقاد حملة سنة ٥٤هـ/ ٦٧٤م نتج عنها فتح جزيرة يقال لها أرواد، وقيل أنه أرسل عبدالله بن مسعود (مسعدة) على رأس شاتية في بلاد الروم سنة ٥٦هـ/ ٦٧٦م، وأغزاه معاوية بحر الروم سنتي ٥٨هـ/ ٦٧٨م و٥٩هـ/ ٦٧٩م، ودخل رودس ثانية سنة ٦٠هـ/ ٦٨٠م[3]، ويدلنا تكرار إرسال معاوية هذا القائد لسنوات عدة على شجاعته وحسن بلاءه وخبرته ومقدرته العسكرية في حرب الروم، وبذلك يعد مؤثرا في قرار الخليفة وسلطته في توجيه حملات متتالية إلى بلاد الروم، ومن هنا يتضح أن القادة كانوا يشكلون قوة مؤثرة في سلطة الخليفة.

ولم يقتصر الأمر على قائد واحد فحسب، فقد أرسل معاوية عبدالله بن قيس الفزاري على صائفة سنة ٤٨هـ/ ٦٦٨م، وكان مالك بن هبيرة السكوني في نفس العام على البحر، وشتى أبي عبد الرحمن القيني في أنطاكية[4]، وتكرر إرسال ابن قيس الفزاري سنة ٥٥هـ/ ٦٧٥م، وكذلك سنة ٥٧هـ/ ٦٧٧م، وأُرسل يزيد بن شجرة الرهاوي في حملات بحرية في السنوات: ٤٩هـ/ ٦٦٩م، و٥٦هـ/ ٦٧٦م، و٥٨هـ/ ٦٧٦م، وكذلك مالك بن هبيرة السكوني في سنتي ٤٦هـ/ ٦٦٦م، و٤٨هـ/ ٦٦٨م، وفضالة بن عبيد سنة ٤٩هـ/ ٦٦٩م، وسنة ٥٠هـ/ ٦٧٠م، وسنة ٥١هـ/

(١) ابن عائذ، **كتاب الصوائف**، ص ١٣.

(٢) **المصدر نفسه**، ص ١٥.

(٣) الطبري، **تاريخ**، ج٥، ص ٣٢٢ و٢٨٨ و٢٩٣ و٣٠١ و٣٠٩.

(٤) **المصدر نفسه**، ج٥، ص ٢٣١.

٦٧١م، وسفيان بن عوف الأزدي سنة ٥٠هـ/ ٦٧٠م، وشاتية سنة ٥٢هـ/ ٦٧٢م، وكذلك شاتية سنة ٥٥هـ/ ٦٧٥م، وبسر بن أبي أرطأة في سنين: ٤٣هـ/ ٦٦٣م و٤٤هـ/ ٦٦٤م، و٥٠هـ/ ٦٧٠م، و٥١هـ/ ٦٧١م، و٥٢هـ/ ٦٧٢م[١]، وهذا يؤكد القول الآنف أن القادة كانوا يشكلون قوة مؤثرة في سلطة الخليفة.

وكتب معاوية إلى مالك بن عبدالله الخثعمي وكان على الصائفة سنة ٥٦هـ/ ٦٧٦م، وعبدالله بن قيس الفزاري أن يرسلان له من خمس الغنائم، فأنفذ عبدالله كتاب معاوية، ولم ينفذ مالك، فلما قدما على معاوية أعطى الإذن في الدخول عليه أولا لمالك، وكذلك فضله في الجائزة، فعاتبه عبدالله بأنه قدمه عليه رغم أنه هو أنفذ كتابه والآخر لم ينفذ، فكان رد معاوية: "إن مالكا عصاني وأطاع الله، وإنك عصيت الله وأطعتني"[٢].

وأرسل معاوية بن أبي سفيان عمرو بن معاوية العقيلي قائدا على الصائفة سنة ٦٠هـ/ ٦٨٠م، وكان عمرو يحسن إلى الجيش حتى روي عنه أنه كان ينزل فيواسي أصحابه وهم يسوقون السبي والغنائم، فلما قدم على معاوية سأله عن مقدار الخمس، فأخبره. فقال: أين هو؟ قال عمرو: تسألني عن الخمس وأرى رجلاً من المهاجرين يمشي على قدميه لا أحمله؟ فقال معاوية: لا جرم لا تنالها مني ما بقيت، فقال: لا أبالي، وأنشد أبياتا[٣]:

تَهَادَى قُرَيْشٌ فِي دِمَشْقِ غَنِيمَتِي ... وَأَتْرُكَ أَصحَابِيٌّ فَمَا ذَاكَ بِالْعَدْلِ

وَلَسْتَ أَميرًا أَجْمَعَ الْمَالِ تَاجِرًا ... وَلَا أَبْتَغِي طُولَ الْإِمَارَةِ بِالْبُخْلِ

فَإِنْ يُمْسِكُ الشَّيْخَ الدِّمَشْقِيَّ مَالَهُ ... فَلَسْتَ عَلَى مَالِيِّ بِمُسْتَغْلِقٍ قُفْلِي[٤]

(بحر الكامل)

ومما سبق يتضح تأثير القادة العسكريين في سلطة الخليفة في العصر الأموي، فهذا القائد الذي كان على الصائفة سنة ٦٠هـ/ ٦٨٠م، كان له رأي ربما لا يتفق فيه مع معاوية الذي كان حريصا معرفة مقدار خمس الغنائم التي عاد بها المسلمين، في حين أن عمرو بن العقيلي كان

---

(١) الطبري، **تاريخ**، ج٥، ص٢٣٧ و٢٥٣ و٢٨٧ و٢٩٩ و٣٠٩ و٣٢٩.

(٢) ابن عائذ، **كتاب الصوائف**، ص ١٦.

(٣) ابن خياط، **تاريخ**، ص ٢٢٩؛ ابن زنجويه، أبو أحمد حميد بن مخلد بن قتيبة بن عبد الله الخرساني (ت ٢٥١هـ/ ٨٦٥م). **كتاب الأموال**. تحقيق: شاكر ذيب فياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ١٩٨٦م، ج٢، ص ٧٠٨. (سيشار إليه فيما بعد: ابن زنجويه، **كتاب الأموال**)؛ ابن عائذ، **كتاب الصوائف**، ص ١٧؛ عواد، **الجيش في العصر الأموي**، ص ٦٧.

(٤) ابن عساكر، **تاريخ دمشق**، ج٤٦، ص ٣٦١.

يرى أنه لا يهم وإن أنفق كل الغنائم التي عاد بها في إصلاح أمور جيشه لدرجة أنه لا يصح أن يكتنز الخمس ليعود به إلى دمشق وفي جيشه رجل يحتاج إلى دابة تحمله، وهذا بالطبع ربما يراه معاوية من وجهة نظره كخليفة تبذير؛ لذا لم يعجبه ما حدث وأخبر عمرو أنه لن يرسله في بعوث قادمة. وبالإضافة إلى ذلك يتبين من هذه الرواية أن بعض القادة لا يهمهم- كما يفعل آخرون- أن يتباهوا أمام الخلفاء بحجم الغنائم التي عادوا بها مادام الجيش بحاجة لتلك الأموال.

وتؤكد الروايات(١) أن معاوية حين حضرته الوفاة سنة ٦٠هـ/ ٦٨٠م، وكان يزيد غائبا، دعا الضحاك بن قيس الفهري- صاحب شرطته- ومسلم بن عقبة المري، فأخبرهما بوصيته ليزيد، وهذا دليل قوي على إدراك معاوية ووعيه الشديد بقدرة هذين القائدين على تبليغ وصيته ليزيد والتأثير عليه في قبولها وفهمها بالصورة التي كان يريدها له معاوية، وكذلك من الأدلة على قوة حضور شخصية مسلم بن عقبة وقوة تأثيره على الخليفة، ما جاء في رواية "أن معاوية لما حضرته الوفاة دعا يزيد فقال له: إنا لك من أهل المدينة يوما، فإن فعلوها فارمهم بمسلم بن عقبة فإنه رجل قد عرفنا نصيحته"(٢).

وقد كان من حسن اختيار معاوية للقادة أن استطاع هؤلاء القادة بعد وفاته وتولي ابنه يزيد إعادة فرض سيطرته على الحجاز، فحين أراد يزيد بن معاوية أن يرسل الجيش إلى المدينة سنة ٦٣هـ/ ٦٨٣م، جعل قائده مسلم بن عقبة المري، وأمره إن حدث به حادث أن يستخلف الحصين بن نمير السكوني(٣)، وهذا الأمر يدل على أن الحصين بن نمير من القادة المشهود لهم بالبسالة والولاء للدولة الأموي، وبالتالي فإن يزيد لم ير أفضل منه ليستخلفه على جيشه الذي أرسله لمحاربة المعارضة الحجازية، وهذا نوع من أنواع تأثير القيادات العسكرية على سلطة الخليفة الأموي، فلو لم ير يزيد في مسلم بن عقبة المري والحصين بن نمير كفاءة لما كلفهم بهذه المهمة العظيمة.

ويتكرر موقف رجال الدولة في تنفيذ وصايا الخليفة أنه عندما أراد ابن الزبير الخروج إلى مكة بعد رفضه بيعة يزيد، وجه يزيد عشرة نفر من أهل الشام، فيهم النعمان بن بشير،

---

(١) الطبري، **تاريخ**، ج٥، ص ٣٢٣؛ ابن أعثم الكوفي، **الفتوح**، ج٤، ص ٣٤٧؛ ابن الجوزي، **المنتظم**، ج٥، ص ٣٢٠.

(٢) ابن قتيبة، **الإمامة والسياسة**، ج١، ص ٢٢٤؛ ابن خياط، **تاريخ**، ص ٢٣٨؛ الطبري، **تاريخ**، ج٥، ص ٤٩٥.

(٣) الطبري، **تاريخ**، ج٥، ص ٤٨٤.

وعبدالله بن عضـأة الأشعري[1]، ومسلم بن عقبـة، فـذهبوا حتـى وصـلوا مكـة، ودخلـوا علـى ابـن الزبير في المسجد، فسألوه الطاعة والبيعة، فرفض ابن الزبير[2].

كما يتضح أن يزيد قد أوصى مسلم بن عقبة والحصـين بـن نميـر بوصـية جمعـت بـين المفاوضـات واسـتخدام العنـف إن فشـلت: "ادعُ القـوم ثلاثـا، فـإن هـم أجـابوك وإلا فقـاتلهم، فـإذا أظهرت عليهم فأبِحها ثلاثا، فما فيها من مال أو رقـة أو سـلاح أو طعـام فهـو للجنـد، فـإذا مضـت الثلاث فاكفف عن الناس"[3].

ولتحقيق ما يهدف الخليفة إليه، حرص مسلم علـى اسـتنهاض همـم الشـاميين المشـاركين بالحملة فكان ينادي في جيشه محرضـا ومتوعدا: "يا أهل الشأم، أهذا القتال قتـال قـوم يريـدون أن يدفعوا به عن دينهم، وأن يُعزوا بـه نصـر إمـامهم! قبّح الله قتـالكم منـذ اليـوم! مـا أوجعـه لقلبـي، وأغيظـه لنفسـي! أمـا والله مـا جـزاؤكم عليـه إلا أن تُحرمـوا العطـاء، وأن تجّـروا فـي أقاصـي الثغور"[4]. ولم يقتصر الأمر على ذلك، فقد كان لصرامة مسلم بن عقبة مع بعض القرشيين الذين رفضوا البيعة بقباء وقتلهم على الرغم من أنه كان قد أعطاهم الأمان، أثر في إعـادة الأمـور إلـى نصابها في الحجاز[5]، والدليل المؤكد أيضا على أنهم كفؤين جسورين ما روي في أنه عندما جاء خبر نعي يزيد، دعا الحصين بن نمير ابن الزبير وقال له هلم نبايعك ثم تخرج معي إلى الشام، إلا أن ابن الزبير أبى ذلك[6]، وبهذا يتبين مما سبق أن هذين القائدين كانا ضمن المـؤثرين فـي اتخـاذ يزيد لهذا القرار الذي يمثل انتهاكا لحرمة مدينة رسول الله في حادثة هي الأولى في تاريخ الدولـة الإسلامية.

وهنا لا بد من التأكيد على أن قوة الخليفة هي التي كانت تحد من صلاحيات وقوة هـؤلاء القادة، وفي اللحظة التي يشعرون بضعف الخليفـة نجـد هـؤلاء القـادة يتمـادون فـي نفـوذهم علـى حساب سلطة الخليفة، وقد أوضح فوزي أن غالبية هؤلاء القادة هم في الأصل زعماء قبائل، ومن

---

(١) هو عبدالله بن عبدالرحمن بن عضاة بن الكركر الأشعري، من جند دمشق. انظر: ابن عساكر، **تاريخ**، ج٣٥، ١٣٢.

(٢) الدينوري، **الأخبار الطوال**، ص ٢٦٢: ٢٦٤.

(٣) ابن قتيبة، **المعارف**، ص ٣٥١؛ الطبري، **تاريخ**، ج٥، ص ٤٨٤؛ الدينوري، **الأخبار الطوال**، ص ٢٦٤: ٢٦٧؛ ابن الجوزي، **المنتظم**، ج٦، ص ١٢: ١٥.

(٤) الطبري، **تاريخ**، ج٥، ص ٤٨٨.

(٥) **المصدر نفسه**، ج٥، ص ٤٩٢.

(٦) **المصدر نفسه**، ج٥، ص ٥٠٢.

الأمثلة على ذلك أنه في عهد معاوية بن يزيد الذي تولى سنة ٦٤هـ/ ٦٨٤م وتوفي بعد ولايته بفترة وجيزة، والذي أراد أن يجعل الأمر شورى من بعده، وأنه على الرغم من أن اليمانية من أهل الشام وخاصة جند الأردن بزعامة حسان بن بحدل الكلبي استمروا في مساندتهم للخلافة الأموية، إلا أن البقية الباقية من أجناد الشام وكذلك مقاتلة البصرة والكوفة وخراسان ومصر أعلنت تأييدها لعبدالله بن الزبير في الحجاز[١]، وقد فسحت هذه الأزمة العصبية التي مرت بها الدولة الأموية المجال أمام القادة من القوى القبلية اليمانية والقيسية لأخذ زمام الأمر بأيديهم، وبمعنى آخر أصبحت المقاتلة (القوة العسكرية القبلية) هي التي تقرر مصير الخلافة وليست الدولة أو الأسرة الحاكمة[٢].

وخلال هذه الازمة السياسية برزت شخصيات قادة هم في الأصل زعماء لقبائلهم في العصر الأموي، ومن الأمثلة على ذلك زفر بن الحارث الكلابي الذي تمتع بمكانة رفيعة عند الأمويين أهلته لبروز دوره في كثير من أحداث عصره، وبالتالي التأثير على سلطة الخليفة في العصر الأموي، فقد كان زفر ضمن الوفد الذي أرسله يزيد بن معاوية إلى عبدالله بن الزبير في مكة عندما امتنع ابن الزبير عن بيعة يزيد بولاية العهد، في محاولة لثني ابن الزبير عن رأيه وتحذيره من الفتنة، وتعريفه بما له من البر والكرامة، بيد أن مساعي الوفد باءت بالفشل[٣]. وشارك زفر بن الحارث بقوة قوامها ألف رجل من أهل الجزيرة في جيش مسلم بن عقبة المري الذي خرج بأمر يزيد لقتال أهل المدينة في وقعة الحرة سنة ٦٣هـ/ ٦٨٣م، وذلك بعد أن رفض أهل المدينة بيعة يزيد[٤].

ولعب زفر بن الحارث دورا مهما في حفظ الخلافة في الأسرة الأموية بعد وفاة يزيد بن معاوية، واضطراب القبائل القيسية شمال بلاد الشام في قنسرين وقرقيسيا ضد الدولة الأموية، حيث أنهم كانوا ناقمين على قبائل كلب اليمانية التي حظيت بمكانة على حساب القيسية، وذلك لأن يزيد وابنه خالد كانا أبناء كلبيات، وكان لحسان بن مالك بن بحدل الكلبي- خال يزيد- مركز مؤثر في الدولة في الوقت الذي كان فيه أخوه سعيد بن مالك أميرا على قنسرين، فلم يرق للقيسية إسناد

---

(١) اليعقوبي، **تاريخ**، ج٢، ص ١٧٠؛ الطبري، **تاريخ**، ج٥، ص ٥٣١.

(٢) فوزي، **الجيش والسياسة**، ص ٥٩.

(٣) البلاذري، **أنساب الأشراف**، ج٥، ص ٣٢٣؛ خطاب، أدهم فاضل وعبد، فاضل غزاي. "زفر بن الحارث الكلابي ودوره في أحداث عصره". **مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية- جامعة الموصل**، ٢٠٠٩م، مج٨، ع٤، ص ٢٢٩- ٢٤٩. (سيشار إليه فيما بعد: خطاب وعبد، "زفر بن الحارث").

(٤) ابن خياط، **تاريخ**، ص ٢٣٦؛ اليعقوبي، **تاريخ**، ج٢، ص ١٦٥؛ خطاب وعبد، "زفر بن الحارث" مج٨، ع٤، ص ٢٢٩- ٢٤٩.

الإمارة إلى رجل من كلب، فوثب أهل قنسرين من القيسية بقيادة زفر بن الحارث على سعيد وأخرجوه منها[1].

وقد ازداد أمر هؤلاء القادة ونجده واضحا في مجريات مؤتمر الجابية، فقد أشارت الروايات إلى أن قادة المقاتلة (شيوخ القبائل) فرضوا شروطهم على الأسرة الأموية، وكان من ضمن الشروط[2]: أن يكون خالد بن يزيد وليا للعهد بعد مروان بن الحكم ومن بعده عمرو بن سعيد الأشدق، وأن يفرض لألفين رجل من كلب ألفين درهم من العطاء لكل واحد منهم، وأن يستشاروا ويؤخذ برأيهم في الأمور المهمة، وأشترط الحصين بن نمير السكوني أن ينزل بالبلقاء من كان بالشام من كندة وأن يجعلها لهم مأكلة[3]، وبالطبع فإن قبول الأمويون بشروط هؤلاء القادة كان ضروريا ومنطقيا جدا، وخصوصا أن الأسرة الأموية كادت أن تفقد سلطتها وغدا مصيرها معلقا بأيدي هؤلاء القادة؛ لذا يعد ما حدث في مؤتمر الجابية أيضا دليل أكيد على تأثير القادة العسكريين في سلطات الخلفاء في العصر الأموي[4].

رابعا: العمال والولاة:

كانت الدولة الأموية تنهج النظام اللامركزي في الإدارة، وبموجب اللامركزية الإدارية كانت بلاد الشام تحت إدارة الخليفة وكانت مقسمة إلى أجناد، بينما كان الولاة في الأقاليم يعينون من يرونه مناسبا من العمال والأمراء على الأقاليم التابعة لهم، فقد كان والي العراق مثلا يعين من يشاء على أقاليم المشرق التي كانت ضمن ولايته دون الرجوع إلى الخليفة في دمشق، وكذلك بالنسبة لوالي مصر الذي كان مسؤولا عن أفريقية (تونس وشرقي الجزائر) والمغرب الأوسط والمغرب الأقصى والأندلس بعد فتحها[5]، وقد قامت أسس النظام الإداري في الدولة الإسلامية على الأنظمة التي سادت في بلاد فارس ومصر والشام في العهدين الساساني والبيزنطي، وكما هو معلوم أنه أجريت الكثير من التعديلات والتنظيمات، فتوسعت ونمت نموا تناسب والتطورات السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي شهدتها الدولة الإسلامية. وقد راعى الخلفاء بعض

---

(١) الطبري، **تاريخ**، ج٥، ص ٥٣١؛ فلهوزن، **تاريخ**، ص ٦٦؛ خطاب وعبد، "زفر بن الحارث" مج٨، ع٤، ص ٢٢٩- ٢٤٩.

(٢) اليعقوبي، **تاريخ**، ج٢، ص ١٧١.

(٣) الطبري، **تاريخ**، ج٥، ص ٥٤٤.

(٤) فوزي، **الجيش والسياسة**، ص ٦٠.

(٥) فوزي، **الخلافة الأموية**، ص ٥٢٣.

الاعتبارات عند تعيين الولاة والعمال، منها: القرابة، والشرف الاجتماعي، والكفاءة، والشجاعة، والتقوى[1].

ويمثل العمال والولاة أحد أركان الدولة الإسلامية، ونظرا لما لهم من دور في إدارة أقاليم وولايات الدولة في العصر الأموي، فمن المنطقي أن يكون لهم صلاحيات وسلطات يمكن أن تصل حد التأثير في سلطات الخليفة، فقد كان الولاة والعمال ممثلين للخلفاء في الأقاليم والولايات، وكان الخليفة- في الغالب- مأخوذا بجريرة ولاته، ولذلك فقد كان الخلفاء حريصون على اختيار عمالهم في الولايات والأقاليم[2]، وعليه فإن هذا المبحث يتناول دور العمال والولاة في التأثير في سلطة الخليفة الأموي ٤١- ٦٤هـ/ ٦٦١- ٦٨٤م.

تشير الروايات أنه لما صار الأمر في يدي معاوية استكثر أن تكون مصر طعمة لعمرو بن العاص ما عاش، ورأى عمرو أن الأمر كله قد صلح به وبتدبيره وعنائه وسعيه فيه، وظن أن معاوية سيزيده الشام مع مصر فلم يفعل معاوية، فتنكر عمرو لمعاوية فاختلفا حتى ظن الناس وظنوا أنهما لن يتصالحا، فتدخل بينهما معاوية بن حديج فأصلح أمرهما وكتب بينهما كتابا، وشرط فيه شروطا لمعاوية وعمرو خاصة وللناس عامة، وأن لعمرو ولاية مصر سبع سنين، وعليه السمع والطاعة لمعاوية، وتواثقا وتعاهدا على ذلك، وأشهد عليهما به شهودا، ثم مضى عمرو بن العاص على مصر واليا عليها فلم يلبث إلا سنة أو سنتين وتوفى[3]. ومن موقف عمرو بن العاص الآنف، وتصرف معاوية بن حديج في فض الخلاف بين الطرفين، يتضح دور العمال والولاة في التأثير على سلطة الخليفة، لدرجة أن يتدخل طرف ثالث لحل الخلاف الذي حدث بين الخليفة وواليه.

وكتب معاوية إلى عمرو بن العاص، وهو على مصر، يسأله أن يعينه ببعض من خراج مصر، وذلك لأن السائلين والوافدين عليه من أهل الحجاز والعراق قد أثقلوا عليه، وهو بحاجة ليدفع أعطيات الجند، فكتب إليه عمرو[4]:

---

(١) عياش، حسن حسين عبدالله. **الولاة والعمال في الجهاز الإداري في صدر الإسلام منذ فترة الرسول (ص) وحتى نهاية الدولة الأموية (١هـ - ١٣٢هـ).** رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، ٢٠٠٢م، ص ٩. (سيشار إليه فيما بعد: عياش، **الولاة والعمال**).

(٢) البطاينة، "سياسة بني أمية"، مج١٩، ع٧- ٨، ص ٤٥١- ٤٦٥.

(٣) ابن سعد، **الطبقات**، ج٥، ص ٧٩.

(٤) الدينوري، **الأخبار الطوال**، ص ٢٢٢.

مَعَاوِي إِنَّ تُدْرِكُكَ نَفْسُ شَحِيحَةٌ فَمَا وَرِثَتْنِي مِصْرُ أُمِّــــيٌ وَلَا أَبِي
وَمَا نُلْتُهَا عَفْوًا وَلَكِــنَّ شُرْطَتَهَا وَقَدْ دَارَتِ الْحَرْبُ الْعَوَانَ عَلَى قُطْبٍ
وَلَوْلَا دِفَاعِيَّ الْأَشْعِرِيِّ وَصَحْبِهِ لِأَلْفَيْتُهَا تَرْغُــو كَـــرَاغِيَّةٍ السّقْبِ[١]

ومن الرد الذي أجاب به عمرو بن العاص طلب معاوية، يتبين مدى قوة موقف عمرو بن العاص كوالي لمصر، وأثر ذلك في سلطة الخليفة، لدرجة أن معاوية لم يعاود طلبه ولم يستطع أن يأخذ منه شيئا دون رضاه[٢]؛ كونه أحد أنصار معاوية والذين لعبوا دورا هاما في إيصال بني أمية لسدة الحكم. وفي رواية للطبري أن عمرو بن العاص سأل معاوية: يا أمير المؤمنين، ألست أنصح الناس لك؟ فأجابه معاوية: بذلك نلت ما نلت[٣].

ومما ورد في العلاقة بين عمرو بن العاص ومعاوية، "أن معاوية قال لعمرو بن العاص أحب أن تصفح لي عن الوهط، ضيعتك، فقال: يا أمير المؤمنين أحب أن تعرض لي عنها، قال: لا، فأبى عمرو أن يفعل، فقال معاوية: مثلك يا عمرو كمثل ثور في روضة، إن ترك رتع، وإن هيج نطح، فقال عمرو: ومثلك يا أمير المؤمنين مثل بعير في روضة يصيب من أخلاط الشجر فيها، فرأى شجرة على صخرة زلاء، فرغب عما هو فيه وتعاطى الشجرة فتكسر"[٤]. وعلى الرغم من أن البعض قد يبدو له أن هذه الرواية قد لا يقبلها المنطق، وخصوصا أنها غريبة ومفردة، إلا أنها هذا لا يمنع أن نوردها لأنها تعبر عن مظهر من مظاهر تأثير الولاة على الخلفاء وجرأتهم في محاورتهم وخصوصا عمرو بن العاص الذي كان موقفه قوي جدا ومؤثرا على معاوية بسبب ما بذله معه لإيصال بني أمية لسدة الحكم. كما ذكر ابن أعثم أن عمرو بن العاص كان له دور في أنه أشار على معاوية بتولية يزيد العهد، وذلك بعد وفاة الحسن بن علي[٥].

وروى البلاذري: "قال معاوية يوماً: ما أعجب الأشياء؟ فقال يزيد ابنه: أعجب الأشياء هذا السحاب الراكد بين السماء والأرض لا يدعمه شيء من تحته ولا هو منوط بشيء من فوقه،

---

(١) السقب: هو ولد الناقة الذكر لحظة أن تضعه أمه يسمى سقب، والراغية هي الناقية، ويقال كرغاء السقب أي شؤما عليهم. والرغاء أيضا هو صوت الناقة أو البعير. انظر: الفراهيدي، **العين**، ج٢، ص ١٣٤؛ ابن منظور، **لسان العرب**، مج٣، ص ٢٠٣٥.

(٢) الدينوري، **الأخبار الطوال**، ص ٢٢٢.

(٣) الطبري، **تاريخ**، ج٥، ص ٣٣٥.

(٤) البلاذري، **أنساب الأشراف**، ج٥، ص ٧٥.

(٥) ابن أعثم الكوفي، **الفتوح**، ج٤، ص ٣١٨.

وقال الضحاك بن قيس: أعجب الأشياء إكداء العاقل وحظ الجاهل، وقال سعيد بن العاص: أعجب الأشياء ما لم ير مثله، وقال عمرو بن العاص: أعجب الأشياء غلبة من لا حق لـه ذا الحـق علـى حقه، فقال معاوية: أعجب من ذلك إعطاء من لا حق له ما ليس له بحق من غير غلبة"[1].

ودلالة هذه القصة أن معاوية أراد أن يعرّض بعمرو بن العاص وأنه لا يستحق أن تكـون له مصر ما عاش، وفي المقابل كان عمرو بن العاص- كما يبدو- من الرواية يرى أن معاويـة لـم يصل إلى ما وصله إلا بجهود عمـرو معـه، وبـذلك يظهـر أثـر الـولاة علـى الخليفـة، فعمـرو بـن العاص يمثل في مصر قوة يهابها معاوية، مما يستدعي معاوية على الإيفاء له بكل الشـروط التـي شرطها عليه وعدم خرق أيا منها.

وأراد معاوية أن يأخذ أرضاً لعمرو بـن العـاص، فكتـب إليـه عمـرو بشـعر هجـي بـه خفـاف بـن ندبة[2]:

أَبَا خراشة إِمَّـــا كُنْتُ ذَا نَفَرٍ	فَإِنَّ قَوْمِيَّ لَـــــمْ تأكْلهم الضَّبْعَ[3]
وَكُـلَّ قَوْمِكَ يُخَشِّي مِنْكَ بَائِقَةٍ	فَأُنْظُرْ قَلِيــــلَا وَأَبْصَرَهَا بِمَنْ تَقَعُ
فَالسُّلَّمَ تَأْخُذُ مِنْهَا مَا رَضِيَتْ بِهِ	وَالْحَرْبَ يَكْفِيكَ مِنْ أَنْفَاسِهَا الجرع

(بحر البسيط)

وقيل أن معاوية عندما جاءه خبر وفاة عمرو بن العاص بمصر، قال: "قد مات رجل كان الأمر بمصر أمره"[4].

ومن الأحداث التي تعبر أيضا عن تأثير العمال والولاة علـى سلطة الخليفـة الأمـوي، أن معاوية استعمل عبد الله بن عمـرو بـن العـاص علـى الكوفـة، فأتـاه المغيـرة بـن شـعبة، فقـال لـه: استعملت عبد الله بن عمرو على الكوفة، وأباه عمرو على مصـر، تكـون أنـت بـين لحيـي الأسـد.

---

(١) البلاذري، **أنساب الأشراف**، ج٥، ص ٨٤.

(٢) هو خفاف بن عمير بن الحارث بن الشريد السلمي، وهو ابـن عـم خنسـاء بنـت عمـرو بـن الشـريد الشـاعرة. انظر: ابن قتيبة، محمد بن عبدالله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ/ ٨٨٨م). **الشعر والشعراء**. تحقيـق: أحمـد محمـد شـاكر، دار المعارف، القاهرة، د ت، ج١، ص ٣٤١. (سيشار إليه فيما بعـد: ابـن قتيبـة، **الشعر والشعراء**)؛ البلاذري، **أنساب الأشراف**، ج٥، ص ٧٧.

(٣) ابن قتيبة، **الشعر والشعراء**، ج١، ص ٣٤١.

(٤) البلاذري، **أنساب الأشراف**، ج٥، ص ٣٠.

فعزله عنها واستعمل المغيرة على الكوفة، وبلغ عمرو ما قاله المغيرة لمعاوية، فدخل عمرو على معاوية، فقال: أتستعمل المغيرة على خراج الكوفة، فيغتال المال، ويذهب به، فلا تستطيع أن تأخذه منه؟ استعمل على الخراج رجلا يهابك، ويتّقيك. فعزل معاوية المغيرة عن الخراج، واستعمله على الصلاة. فلقى المغيرة عمرو، فبدأ عمرو وقال: أنت المشير على أمير المؤمنين بما أشرت، في عبد الله؟ قال: نعم. قال: فهذه بتلك(١).

وعندما توفي عمرو بن العاص سنة ٤٣هـ/ ٦٦٣م، أقر معاوية ابنه عبد الله بن عمرو، ثم استصفى معاوية مال عمرو بن العاص، فكان معاوية بذلك هو أول من استصفى مال عامل، وكان قبل ذلك، إذا مات له عامل، يشاطر ورثته من ماله، فكان الناس يكلموه في ذلك(٢)، فيتحجج بأن: هذه سنة سنها عمر بن الخطاب(٣).

وعندما عزل معاوية عبد الله بن عمرو بن العاص عن مصر فيما بعد، ولاها أخيه عتبة ابن أبي سفيان(٤). وهذا التصرف يدل على قوة تأثير الولاة والعمال على سلطة الخليفة الأموي بصورة مباشرة أو غير مباشرة، فوالي كعمرو بن العاص بالنسبة لمعاوية لا يمكن أن يُغفل دوره المؤثر في وصول الأخير للسلطة؛ كونه ممثلاً له في التحكيم ومستشاراً وداهية من دهاة العرب الذي لا يمكن لمعاوية أن ينكر أفضاله؛ لذا فقد كان من الطبيعي وتحت قوى وظروف معينة، أن يقوم الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان بتعيين عبدالله بن عمرو بن العاص والياً على مصر بعد وفاة أبيه، لاسيما وأن الخليفة معاوية كان قد وهب مصر طعمة لعمرو بن العاص، ومن الرواية السابقة يبدو أيضا أن معاوية كان متخوفا من أن يرث أبناء عمرو بن العاص مصر كما كان الأمر لأبيهم وفقا للشرط الذي شرطه على معاوية، لذلك استصفى مصر ولم يكن هذا عهده بأموال عماله قبل ذلك، ولكنه خالف عادته في مقاسمة عماله، وسار على سنة عمر بن الخطاب ليبرر موقفه.

---

(١) الطبري، **تاريخ**، ج٥، ص ١٦٦؛ ابن مسكويه، **تجارب الأمم**، ج٢، ص ٧.

(٢) اليعقوبي، **تاريخ**، ج٢، ص ١٣٠؛ الطبري، **تاريخ**، ج٥، ص ١٨١.

(٣) البلاذري، **أنساب الأشراف**، ج٥، ص ١٦٠؛ اليعقوبي، **تاريخ**، ج٢، ص ١٣٠؛ الطبري، **تاريخ**، ج٥، ص ١٨١.

(4) Kennedy, H., "Egypt as a Province in the Islamic Caliphate 641–868", **The Cambridge History of Egypt,** 1998 AD, Vol. 1, P. 62-85. (It's will be pointed to later: Kennedy, "Egypt as a Province in the Islamic Caliphate").

ومن الروايات التي ذكرتها المصادر وتعبر عن أن تصرفات العامل أو الوالي أسهمت في التأثير على الخليفة في اتخاذ قرار معين كعزله أو تعيينه مثلا، ما جاء في أنه بلغ معاوية فساد أهل البصرة وكثرة العبث فيها، وضعف واليها عبد الله بن عامر عن ضبط الناس، فعزله معاوية وكان ذلك سنة ٤٤هـ/ ٦٦٤م، وولى عليها حارث بن عبد الله الأزدي[١]، فتركه أربعة أشهر، ثمّ عزله وولى زياد[٢].

وذكر ابن الجوزي أن معاوية كان إذا أراد أن يولي رجلاً من بني حرب ولاه الطائف، فإن رأى فيه ما يعجبه ولاه مكة معها، فإن أحسن الولاية جمع له معها المدينة، "فكان إذا ولى الطائف رجلاً قيل: هو في أبي جاد (أي في أول الأمر)[٣]، وإذا ولاه مكة قيل: هو في القرار، فإذا ولاه المدينة قيل: هو قد حذق"[٤]. وهذا يدل أيضا على أن قابليات العمال والولاة وكفاءتهم كانت أحد القوى المؤثرة في توجه الخليفة نحو قرارات عزلهم أو ترقيتهم.

ومن الحوادث الدالة أيضا على تأثير الولاة على الخليفة، أنه بلغ المغيرة بن شعبة وهو على الكوفة أن زياد قدم على معاوية راجيا منه أن يوليه الكوفة، فخرج المغيرة إلى معاوية، فلما قدم عليه سأله أن يعزله، وأن يقطع له منازل بقرقيسيا بين ظهري قيس، فلما سمع بذلك معاوية خاف بائقته، وقال: والله لترجعن إلى عملك يا أبا عبد الله[٥].

وأراد المغيرة ذات مرة أن يبلو معاوية، فكتب إليه يشكو ويسأله "الإذن في إتيان المدينة أو الطائف، فكتب إليه: أنت وذاك، وإن شئت فصر إلينا وأنت كما قال الأول[٦]:

اِخْتَرْ لِنَفْسُكَ مَا بَدَّالِكَ رَاشِدًا   وَدَعَ الْخِدَاعُ فَقَدْ كَفَاكَ الْأَوَّلُ

(بحر الكامل)

فكتب إليه المغيرة:

---

(١) ابن الجوزي، **المنتظم**، ج٥، ص ٢٠٩.

(٢) الطبري، **تاريخ**، ج٥، ص ٢٩٥.

(٣) ابن الجوزي، **المنتظم**، ج٥، ص ٢٦٧.

(٤) **المصدر نفسه**، ج٥، ص ٢٦٧.

(٥) الطبري، **تاريخ**، ج٥، ص ٢١٦.

(٦) البلاذري، **أنساب الأشراف**، ج١٣، ص ٣٤٧.

إِنَّ الّذِي تَرْجُو سُقَاطُكَ وَالّذِي سَمَـــكَ السَّمَاءَ مَكَانَهَا لِمُضَلّلِ

أجَعَلَتْ مَا أَلْقِيُّ إِلَيْكَ خَدِيـــعَةً حَاشَا الْإِلَهِ وَتَرْكِ ظَنّكَ أَجْمَلَ"[١].

(بحر الكامل)

ومما سبق يتبين أثر الولاة والعمال على سلطة الخليفة وقراراته وأن الخليفة كـان يخـاف من عواقب عزلهم في بعض الأحيان لذلك يضطر أن يسـايرهم حتـى آن لاحـق، وخصوصـا فـي فترات التأسيس وانشغال الدولة بالقضاء على المعارضات والثورات.

وفي رواية: أنه لما ضعف ابن عامر عن عمله، وانتشر الأمر بالبصرة عليـه، كتـب إليـه معاوية يستزيره، فقدم على معاوية، واستخلف على البصـرة قيس بـن الهيثم، فـرده معاويـة إلـى عمله، وعندما ودعه قال له: "إني سائلك ثلاثاً، فقل: هن لك. قال: هن لك وأنا ابن أم حكيم، قـال: ترد علي عملي. ولا تغضب، قال: قد فعلت؛ قال: وتهب لـي مالـك بعرفـة؛ قـال: قـد فعلـت. قـال: وتهب لي دورك بمكة؛ قال: قد فعلت، قال: وصلتك رحم! قال: فقال ابن عامر: يا أمير المؤمنين، إني سائلك ثلاثاً فقل: هن لك؛ قال: هن لك وأنا ابـن هنـد؛ قـال: تـرد علـي مـالي بعرفـة، قـال: قـد فعلت، قال: ولا تحاسب لي عاملاً، ولا تتبع لي أثراً. قال: قد فعلـت، قـال: وتنكحنـي ابنتـك هنـداً؛ قال: قد فعلت"[٢]. وقيل: "إن معاوية قال له: اختر بين أن أتتبع أثرك وأحاسبك بمـا صـار إليـك، وأردك إلى عملك، وبين أن أسوغك مـا أصـبت، وتعتـزل، فاختـار أن يسـوغه ذلـك ويعتـزل"[٣]. وهنا يتبين تأثير الولاة على سلطة الخليفة، فقد تنبه معاوية إلى الثروة التي جناها ابـن عـامر مـن عمله على البصرة وهذا اتضح من هذا الحوار الذين كان بينه وبين معاوية حين قرر عزلـه[٤].

وكان زياد بـن أبـي سـفيان مـن ولاة الدولـة الأمويـة الـذين شـاع ذكـرهم واتسـع نفـوذهم بصورة أثرت في سلطة الخليفة، فقد أهدى زيـاد إلـى معاويـة ذات مـرة هـدايا كثيـر، وكـان مـن ضمنها عقد جوهر نفيس، فأعجب به معاوية، فلما رأى زياد ذلـك، قـال لـه: "يـا أميـر المـؤمنين،

---

(١) البلاذري، **أنساب الأشراف**، ج١٣، ص ٣٤٧.

(٢) الطبري، **تاريخ**، ج٥، ص ٢١٣.

(٣) **المصدر نفسه**، ج٥، ص ٢١٣.

(٤) الكريطي، جابر رزاق غازي. "طرق وموارد تجمع ثروات ولاة وعمال الدولة العربية الإسلامية حتى نهاية العصر الأموي". **حولية المنتدى للدراسات الإنسانية**، المنتدى الوطني لأبحاث الفكر والثقافة، ٢٠١٣م، مج٦، ع١٥، ص ١٩١- ٢١٧. (سيشار إليـه فيمـا بعـد: الكريطـي، "طـرق ومـوارد تجمـع ثـروات ولاة وعمـال الدولـة العربية الإسلامية").

دوخت لك العراق، وجبيت لك برها وبحرها، وغثها وسمينها، وحملت إليك لبها وقشورها. فقال له يزيد: لئن فعلت ذلك لقد نقلناك من ولاء ثقيف إلى عز قريش، ومن عبيد إلى أبي سفيان، ومن القلم إلى المنابر! وما امكنك ما اعتددت به إلا بنا، فقال له معاوية: حسبك! وريت بك زنادي"(١).

ومن الأدلة المؤكدة التي تعبر عن أثر الولاة والعمال في سلطة الخليفة الأموي وتوجيه قراراته أن زياد كتب إلى معاوية أنه قد ضبط العراق بيمينه، وشماله فارغة، فجمع له معاوية الحجاز مع العراقين (الكوفة والبصرة)(٢)، واستخلف على البصرة سمرة بن جندب الفزاري، وشخص إلى الكوفة، فكان زياد يقيم ستة أشهر بالكوفة، وستة أشهر بالبصرة(٣). وذكر الطبري أن معاوية "استعمل زياداً على البصرة وخراسان وسجستان، ثم جمع له الهند والبحرين وعمان، وقدم البصرة في آخر شهر ربيع الآخر- أو غرة جمادى الأولى- سنة خمس، والفسق بالبصرة ظاهر، فاشٍ، فخطب خطبةً بتراء لم يحمد الله فيها، وقيل: بل حمد الله فقال: الحمد لله على إفضاله وإحسانه، ونسأله المزيد من نعمه، اللهم كما رزقتنا نعماً، فألهمنا شكراً على نعمتك علينا"(٤).

وكان زياد مؤثرا في قرارات الخليفة معاوية، فعندما خرج حجر بن عدي وأصحابه على معاوية في العراق، بعث زياد بثلاثة من الشهود، ليشهدوا عند معاوية بما فعل حجر وأصحابه، وهم: أبو بردة بن أبي موسى، وشريح بن هانىء الحارثي، وأبو هنيدة القيني، فأتوا معاوية، وشهدوا على حجر وأصحابه، فأمر معاوية بهم، فقتلوا، فدخل مالك بن هبيرة على معاوية، وقال: "يا أمير المؤمنين، أسأت في قتلك هؤلاء النفر، ولم يكونوا أحدثوا ما استوجبوا به القتل. فقال معاوية: قد كنت هممت بالعفو عنهم إلا أن كتاب زياد ورد علي يعلمني أنهم رؤساء الفتنة، وأني متى قتلتهم اجتثثت الفتنة من أصلها"(٥). ومن تأثير زياد على معاوية أنه كان يستشيره ويشكوه بعض أموره، فقد كتب معاوية إلى زياد يشكو أقربائه، فقال له زياد: عليك بالموالي فإنهم أنصر وأغفر وأشكر(٦).

---

(١) الجهشياري، **الوزراء والكتّاب**، ص ٢٤.

(٢) اليعقوبي، **تاريخ**، ج٢، ص ١٣٩؛ الطبري، **تاريخ**، ج٥، ص ٢٨٨؛ المسعودي، **مروج الذهب**، ج٣، ص ٢٨.

(٣) ابن الجوزي، **المنتظم**، ج٥، ص ٢٢٤.

(٤) الطبري، **تاريخ**، ج٥، ص ٢١٦.

(٥) الدينوري، **الأخبار الطوال**، ص ٢٢٤؛ الطبري، **تاريخ**، ج٥، ص ٢٧٢.

(٦) البلاذري، **أنساب الأشراف**، ج٥، ص ٣٦.

وروى البلاذري عن المدائني: "قال زياد: لم يغلبني معاوية بالسياسة إلا في رجل من بني تميم استعملته فكسر الخراج ولحق به فآمنه، فكتبت إليه: إن في هذا مفسدةً للعمال وحملاً على سوء الأدب، فأبعث به إلي، فكتب إلي معاوية: إنه لا يصلح أن أسوس وتسوس الناس سياسةً واحدة، إنا إن نشتد جميعاً نهلك الناس ونحرجهم، وإن نلن جميعا نبطرهم، ولكن تلين وأشتد وتشتد وألين، فإذا خاف أحدهم وجد باباً فدخله"[١].

وفي رواية أن عبدالله بن عمرو بن غيلان كان يلي البصرة لمعاوية سنة ٥٤هـ/ ٦٧٤م[٢]، فخطب يوما على منبر البصرة، وحصبه رجل من بني ضبة[٣] يقال له جبير بن الضحاك، فأمر به فقطعت يده، فاشتكى بنو ضبة الوالي إلى معاوية أنه بالغ في عقوبة الرجل[٤]، فقال معاوية: "أمّا القود من عمّالي، فلا سبيل إليه، ولكن، إن شئتم، ودينا صاحبكم. قالوا: فدِه. فواده من بيت المال، وعزل عبد الله، وولى عبيد الله بن زياد"[٥]. ومن هذه الرواية يتضح فعل هذا الوالي مع جبير بن الضحاك وأثر ذلك في اتخاذ معاوية قرار إعطاء الدية لبنو ضبة ومن ثم عزل الوالي.

وروي أنه لما مات زياد سنة ٥٤هـ/ ٦٧٤م "وفد عبيد الله إلى معاوية فقال له: من استخلف أخي على عمله بالكوفة؟ قال: عبد الله بن خالد ابن أسيد، قال: فمن استعمل على البصرة؟ قال: سمرة بن جندب الفزاري، فقال له معاوية: لو استعملك أبوك استعملتك، فقال له عبيد الله: أنشدك الله أن يقولها إلي أحدٌ بعدك: لو ولاك أبوك وعمك لوليتك!... فلما قال عبيد الله ما قال ولاه خراسان، ثم قال له حين ولاه: إني قد عهدت إليك مثل عهدي إلى عمالي، ثم أوصيك وصية القرابة لخاصتك عندي: لا تبيعن كثيراً بقليل، وخذ لنفسك من نفسك، واكتف فيما بينك وبين عدوك بالوفاء تخف عليك المؤونة وعلينا منك، وافتح بابك للناس تكن في العلم منهم أنت وهم سواء، وإذا عزمت على أمر فأخرجه إلى الناس، ولا يكن لأحد فيه مطمع، ولا يرجعن عليك

---

(١) البلاذري، **أنساب الأشراف**، ج٥، ص ٩٢.

(٢) ابن خياط، **تاريخ**، ص ٢٢٤.

(٣) بنو ضبة: وهم جماعة، ففي مضر: ضبة بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار بن ربيعة بن معد بن عدنان. وفي قريش: ضبة بن الحارث بن فهر بن مالك. وفي هذيل: ضبة بن عمرو بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل. وجماعة ينسبون إلى كل واحد من هؤلاء. انظر: السمعاني، **الأنساب**، ج٤، ص ١٠.

(٤) ابن الجوزي، **المنتظم**، ج٥، ص ٢٧٨؛ البلاذري، **أنساب الأشراف**، ج٥، ص ٢٤٩.

(٥) ابن مسكويه، **تجارب الأمم**، ج٢، ص ٢٩؛ البلاذري، **أنساب الأشراف**، ج٥، ص ٢٩٢.

وأنت تستطيع، وإذا لقيت عدوك فغلبوك على ظهر الأرض فلا يغلبوك على بطنها، وإن احتاج أصحابك إلى أن تؤاسيهم بنفسك فآسهم"[١].

ومن الأدلة التي تعبر عن تأثير الولاة على قرارات الخليفة، ما ورد في أن المغيرة بن شعبة- وكان وال معاوية على الكوفة- هو الذي أشار على معاوية بأخذ البيعة ليزيد بولاية العهد[٢]، وسبب ذلك أن معاوية هم أن يعزل المغيرة بن شعبة عن الكوفة ويوليها سعيد بن العاص، فلما بلغ ذلك المغيرة قدم الشام على معاوية، فقال: "يا أمير المؤمنين، قد علمت ما لقيت هذه الأمة من الفتنة والاختلاف، وفي عنقك الموت، وأنا أخاف إن حدث بك حدث أن يقع الناس في مثل ما وقعوا فيه بعد قتل عثمان، فاجعل للناس بعدك علماً يفزعون إليه، واجعل ذلك يزيد ابنك"[٣]. وقيل أن معاوية استشار زياد، فبعث زياد إلى عبيد بن كعب النميري يستشيره، فقال عبيد له: "لا تفسد على معاوية رأيه ولا تمقت إليه ابنه، وألقى أنا يزيد سراً من معاوية فأخبره عنك أن أمير المؤمنين يستشيرك في بيعته، وأنت تتخوف خلاف الناس لهنات ينقمونها عليه، وأنت ترى له ترك ما ينقمون عليه فتستحكم لأمير المؤمنين الحجة على الناس، ويسهل لك ما تريد، فتكون قد نصحت يزيد وأرضيت أمير المؤمنين"[٤]. فكتب زياد إلى معاوية ينصحه بعدم الاستعجال ويبين له تخوفه من نفرة الناس[٥]، وبالمقابل أخبر زياد يزيد بن معاوية بنية أبيه، ونصحه بأن يصلح حاله وبالفعل كف يزيد عن كثير مما كان يصنع[٦].

وفي رواية أن معاوية كتب إلى زياد وهو بالبصرة، يخبره أن المغيرة بن شعبة قد دعا أهل الكوفة إلى البيعة ليزيد بولاية العهد من بعده، وليس المغيرة بأحق بابن أخيك منك، وطلب من زياد أن يدعو الناس ويأخذ منهم البيعة ليزيد بولاية العهد. فلما بلغ زياد رسول معاوية وقرأ كتابه، دعا برجل من أصحابه وثقاته، وطلب منه أن يذهب إلى معاوية ويخبره أن يتمهل في البيعة ليزيد، ويقول له: "فما يقول الناس إذا دعوناهم إلى بيعة يزيد، وهو يلعب بالكلاب والقرود، ويلبس المصبّغ، ويدمن الشراب، ويمشي على الدفوف، وبحضرتهم الحسين بن علي، وعبدالله بن عباس، وعبدالله بن الزبير، وعبدالله بن عمر، ولكن تأمره ويتخلّق بأخلاق هؤلاء حولاً وحولين،

---

(١) الطبري، **تاريخ**، ج٥، ص ٢٩٥.

(٢) اليعقوبي، **تاريخ**، ج٢، ص ١٢٧؛ الطبري، **تاريخ**، ج٥، ص ٣٠١؛ ابن الجوزي، **المنتظم**، ج٥، ص ٢٨٥.

(٣) ابن مسكويه، **تجارب الأمم**، ج٢، ص ٢٩.

(٤) ابن الجوزي، **المنتظم**، ج٥، ص ٢٨٥.

(٥) الطبري، **تاريخ**، ج٥، ص ٣٠٢.

(٦) ابن الجوزي، **المنتظم**، ج٥، ص ٢٨٥.

فعسينا أن نموّه على الناس"[١]، فلما وصل الرسول إلى معاوية وأدى إليه الرسالة قال معاوية: "ويلي على ابن عبيد! لقد بلغني أن الحادي حدا له أن الأمير بعدي زياد، والله لأردنه إلى أمه سمية، وإلى أبيه عبيد"[٢]. ومن هذه الرواية يتبين أن رأي زياد كان له دور في انزعاج معاوية وتخوفه من مطامع زياد في ولاية العهد من بعده، وقد يكون له تأثير في دفع معاوية نحو تعجيل البيعة ليزيد أو الإصرار على اتخاذ هذا القرار وإشاعته بين الناس.

وقيل أن معاوية كتب إلى المغيرة بن شعبة وهو على الكوفة: "أظهر شتم علي وتنقصه، فكتب إليه: ما أحب لك يا أمير المؤمنين أن كلما عتبت تنقصت، وكلما غضبت ضربت، ليس بينك وبين ذلك حاجز من حلمك ولا تجاوز بعفوك"[٣].

وكتب معاوية إلى النعمان بن بشير وهو على الكوفة، يأمره أن يزيد أهل الكوفة في أعطياتهم عشرة دنانير، فكان النعمان ينفذ بعضاً ويرد بعضاً، ويقول: أنا قفل مفتاحه بالشام، ثم جاءوا أهل الكوفة بكتب من معاوية فعمهم بالزيادة[٤]، وقال ابن همام السلولي[٥] في ذلك[٦]:

زِيَادَتُنَا نَعَمَانِ لَا تَحْبِسِنَّهَا	تُـــــقِ اللهَ فِينَا وَالْكِتَابَ الّذِي تَتْلُو
فَإِنَّكَ قَـــــدْ حَمَلَتْ فِينَا أَمَانَةً	وَقَدْ عَجَّزَتْ عَنْهَا الصلادمة[٧] الْبَزْلُ
فَلَا تَكُ بَابَ الشَّرِّ تَحَسُّنَ فَتْحِهِ	عَلَيْنَا وَبَابَ الْخَيْـــرِ أَنْتَ لَـــــهُ قُفْلٌ
وَقَدْ نُلْتُ سُلْطَانًا عَظِيمًا فَلَا تَكَنِّ	لِغَيْرِكَ جَمَّاتِ النَّدَى[٨] وَلَــكَ الْبُخْلُ
أَيُنَفِّذُ مَا زِيدُوا وَتُمْحَى زِيَادَتُي	فَمَا إِنَّ دَمِيَّ إِنَّ سَاغَ هَذَا لَكُمْ بَسُلَ[٩]

(١) اليعقوبي، **تاريخ**، ج٢، ص ١٢٨.

(٢) اليعقوبي، **تاريخ**، ج٢، ص ١٢٨.

(٣) البلاذري، **أنساب الأشراف**، ج٥، ص ٣٠.

(٤) **المصدر نفسه**، ج٥، ص ٢٢.

(٥) عبدالله بن همام السلولي، من بني مرة بن صعصعة، شاعر إسلامي، أدرك معاوية وبقي إلى أيام سليمان بن عبدالملك وتوفي سنة ١٠٠هـ/ ٧١٨م، يقال له العطار لحسن شعره. انظر: الزركلي، **الأعلام**، ج٤، ص ١٤٣.

(٦) البلاذري، **أنساب الأشراف**، ج٥، ص ٢٢.

(٧) جمع صلدم وتعني القوي الشديد. انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مج٤، ص ٢٤٨٢.

(٨) جمات الندى تعني الكثير من العطاء وهي كناية عن الكرم. انظر: **المعجم الوسيط**. مجمع اللغة العربية، القاهرة، ٢٠٠٤م، ص ١٣٧. (سيشار إليه فيما بعد: **المعجم الوسيط**).

(٩) ساغ أي طاب. ويقال بسل فلان أي عبس غضبا أو شجاعة، وبسل الطعام أو الشراب أي فسد، وتأتي بمعنى الحبس، ويقال بسل الشي أي أخذه قليلاً قليلا، والبسْلُ هو الحرام. انظر: **المرجع نفسه**، ص ٥٧ و٤٦٣.

أَبَى لِي كِتَابُ اللهِ وَالدِّينِ وَالتُقَى	وبالشام إِنَّ حَكَمَتْهُ الْحَكَـــمُ وَالْعَدْلُ
أَرِيدُ أَميـــــرِ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّهُ	عَلَى كُلِّ أَنْحَاءِ الرُّجَّالِ لَـــهُ الْفَضْلُ
مُهَاجِرَةَ الْأَقْوَامِ يَرْجُونَ فَضْلَهُ	وَهُلَّاكَ أَعْرَابٍ أَضَـــرَّ بِهُمِ الْمَحَلُّ

وكما هو معلوم حادثة مقتل الحسين بن علي كانت فاجعة ألهبت أفئدة المسلمين في جميع بقاع الأرض، وعلى الرغم من أنها حدثت في زمن يزيد بن معاوية وعليه فإن كل المصادر تحمله وزرها، إلا أن بعض الروايات تذكر أن يزيد ندم بعد ذلك، وقال: "لعن الله ابن مرجانة، فإنه أخرجه واضطره، وقد كان سأله أن يخلى سبيله ويرجع فلم يفعل، أو يضع يده في يدي، أو يلحق بثغر من ثغور المسلمين حتى يتوفاه الله عز وجل فلم يفعل، فأبى ذلك ورده عليه وقتله"(١). وقال: "لقد كنت أرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين، لعن الله ابن سمية، أما والله لو كنت أنا صاحبه لعفوت عنه"(٢). وبالطبع فإن العاقل الذي يقرأ التاريخ لا يمكن أن يبرئ يزيد من هذه الفعلة، ولا أن يحملها ابن زياد حملا كاملا، إلا أن الروايات أيضا تدل على أن عبيد الله بن زياد لعب دورا ليس بالهين في التأثير على سلطة الخليفة وقراره في موضوع قتل الحسين بن علي وأصحابه، وهذا يتماشى مع أهداف هذه الدراسة التي تسعى إلى الكشف عن تأثير الولاة والعمال في سلطة الخليفة في العصر الأموي.

ومن تأثير الولاة على الخلافة وسلطات الخلفاء أيضا، أن بعض أهل الحجاز شكوا عمرو بن سعيد الأشدق إلى يزيد واتهموه بالتقصير في مقاومة ابن الزبير، وكان ممن اشتكى الوليد بن عتبة، فاستجاب يزيد لذلك وبعث الوليد بن عتبة واليا إلى الحجاز، وعزل عمرو بن سعيد، وعاتبه، فقال عمرو: "كنت أرفق به لآخذه ولو كان معي جند لناهضته، على أني قد اجتهدت، فقال يزيد: اشد ما أنكرت عليك أنك لم تكتب إلي تسألني أن أمدك بأهل الشام إذا لم يكن فيمن أنهضت معك إلى ابن الزبير كفاية غير أولي عدد وعدة"(٣).

ونظرا لدور العمال والولاة في التأثير على سلطة الخليفة، فقد سأل معاوية سعيد بن العاص عن مروان عندما قدم سعيد على معاوية سنة ٥٤هـ/ ٦٧٤م، وكان مروان آنذاك على

(١) الطبري، **تاريخ**، ج٥، ص ٥٠٦.

(٢) ابن سعد، **الطبقات**، ج٦، ص ٤٤٧؛ الدينوري، **الأخبار الطوال**، ص ٢٦٠؛ البلاذري، **أنساب الأشراف**، ج٣، ص ٤١٥؛ ابن أعثم الكوفي، **الفتوح**، ج٥، ص ١٢٦: ١٢٩؛ ابن مسكويه، **تجارب الأمم**، ج٢، ص ٨٢؛ ابن الجوزي، **المنتظم**، ج٥، ص ٣٤١- ٣٤٢؛ ابن طولون الدمشقي، **قيد الشريد**، ص ٥٥.

(٣) البلاذري، **أنساب الأشراف**، ج٥، ص ٣٣٤.

المدينة، فقال له: "يا أبا عثمان، كيف تركت أبا عبد الملك؟ قال: تركته ضابطاً لعملك، منفذاً لأمرك. قال: إنه كصاحب الخبزة كفى نضجها فأكلها، قال: كلا، والله يا أمير المؤمنين، إنه لمع قوم لا يحمل بهم السوط، ولا يحل لهم السيف، يتهادون كوقع النبل، سهمٌ لك وسهمٌ عليك؛ قال: ما باعد بينك وبينه؟ قال: خافني على شرفه، وخفته على شرفي، قال: فماذا له عندك؟ قال: أسره غائباً، وأسره شاهداً؛ قال: تركتنا يا أبا عثمان في هذه الهنات؛ قال: نعم يا أمير المؤمنين، فتحملت الثقل، وكفيت الحزم، وكنت قريباً لو دعوت أجبت، ولو ذهبت رفعت"[1]. ومن هذه الرواية يمكن الكشف عن دور الولاة في الترويج لأنفسهم وكفاءاتهم مما يستدعي الخليفة إجابتهم إلى مطالبهم وتعيينهم.

خامسا: القضاة والكتّاب:

تميز القضاء في العصر الأموي عما سبقه في أن الخلفاء الأمويين لم يمارسوا القضاء، وعينوا القضاة في دمشق، ونظرا لأن الدولة الأموية كانت تتبع النهج اللامركزي في الإدارة، فقد كانوا ولاة الأمصار هم الذين يعينون القضاة في الأقاليم بأنفسهم[2]، ليمارسوا السلطة القضائية بدلا عنهم، وظل الخليفة يعين القضاة في دمشق، ويشرف على أعمال القضاة ويراقب الأحكام القضائية التي تصدر عنهم[3].

ونظرا لأهمية القضاء في الإسلام، فمن الطبيعي أن يكون للقضاة دور في التأثير على سلطة الخليفة في العصر الأموي، وتشير المصادر إلى أن معاوية بن أبي سفيان كان أول من أتخذ قاضيا، وكان الخلفاء قبله يباشرون القضاء بأنفسهم، فقد قال عمر بن الخطاب لأبي بكر: "أنا أكفيك القضاء"، وكان يقضي له ولكن دون أن يتم تعيينه قاضيا رسميا[4]. وربما كان الخلفاء الراشدين قبل معاوية يمارسون القضاء ولكن ليس بتلك الصورة المنظمة التي كانت في زمن الأمويين، وعلى الرغم من أن عمر بن الخطاب كان أول من نظم القضاء، وسار الخلفاء من بعده

(١) الطبري، **تاريخ**، ج٥، ص ٢٩٥.

(٢) فوزي، **تاريخ النظم**، ص ٢٨٧.

(٣) الزحيلي، **تاريخ القضاء**، ص ١٦٦.

(٤) وكيع، محمد بن خلف بن حيان (ت ٣٠٦هـ/ ٩١٨م). **أخبار القضاة**. تحقيق: سعيد محمد اللحام، عالم الكتب، د م، د ت، ص ٧٨. (سيشار إليه فيما بعد: وكيع، **أخبار القضاة**).

على نهجه مع التعديل في بعض التنظيمات، إلا أن منصب القاضي بصفة رسمية ظهر لأول مرة في عهد معاوية[١].

فقد روى البلاذري عن الواقدي أنه كان لعبد الرحمن بن زيد بن الخطاب أرض إلى جانب أرض لمعاوية، وكان وكيل معاوية بالمدينة أحد مواليه ويدعى النضير، فعمد النضير إلى أرض عبد الرحمن فضمها إلى أرض معاوية وقال هذه لأمير المؤمنين، فقال عبد الرحمن: عندي البينة أن أبا بكر بن أبي قحافة أقطعها لي بعد مقتل أبي باليمامة، فقال النضير: هذه قطيعة أمير المؤمنين، فرفعت القضية إلى مروان بن الحكم والي المدينة آنذاك، لكن مروان لم يجرؤ على اتخاذ القرار، لاسيما أن معاوية يمثل أحد طرفي القضية، مما دفع بصاحب الشكاية الى الذهاب الى دمشق لمقابلة معاوية، وعرض شكايته عليه، وكان جواب معاوية متعنتا واحتج بقوله: "تركت أرضك لم تعمرها حتى عملتها، فلما غرست فيها خمسة آلاف ودية قلت: قطيعة أبي بكر، وقد روي عن عمر أنه بلغه أن قوماً يتحجرون الأرض ثم يدعونها عطلاً فيجيء آخرون فيزرعونها أنها لمن زرعها، فقال: والله ما قلت الحق يا معاوية فأنصفني"[٢]. وأمام إلحاح عبد الرحمن، طلب معاوية القاضي فضالة بن عبيد الأنصاري، وكان قد رفض المسير الى قصر معاوية، وأصر على قدومهما مجلسه: "في بيته يؤتى الحكم"[٣]. وظهرت صرامة القاضي في المساواة بين الخصمين "ألقيت لهما وسادة وقيل اجلسا عليها، فتكلم عبد الرحمن بقوله الأول، وتكلم معاوية بقوله الأول، فرأى فضالة أن القول قول عبد الرحمن والحق معه، فقضى به"[٤]. ولم يكن أمام معاوية الا القبول بحكم القاضي "نقبل ما قلت، أرأيت ما غرست فيها؟ قال: يقوم ذلك لك، فإن شاء عبد الرحمن دفع إليك قيمة غراسك، وإن شاء ضمنك قيمة الأرض. فقال عبد الرحمن: قد أنصفت"[٥].

وهنا يحاول القاضي التأكيد على إحقاقه الحق:"يا أمير المؤمنين أو بمثل زيد بن الخطاب وعمر يفعل هذا بعقبهما؟! فقال معاوية: فالغراس له، وما مد إليه يده من أرضي فهو له صلةً لرحمه، وكتب له بذلك إلى وكيله وقضى دينه وألحقه في شرف العطاء وقال: أنت مستحق لذلك

(١) بن حسين، **الدولة الأموية**، ص ١٦٣.

(٢) البلاذري، **أنساب الأشراف**، ج٥، ص ١٣٩.

(٣) **المصدر نفسه**، ج٥، ص ١٣٩.

(٤) **المصدر نفسه**، ج٥، ص ١٣٩.

(٥) **المصدر نفسه**، ج٥، ص ١٣٩.

يا ابن أخي الفاروق والشهيد، وأعطاه مالاً"[١]. في الوقت نفسه يوجه القاضي لمعاوية نصيحة، بالإحسان لأهل المدينة، ففيها خيرة أهل العلم من الصحابة "والله لو فعلت غير هذا فقدم على أهل مدينة الهجرة وبقية الناس فشكاك لكان في ذلك ما لا يحسن ولا يجمل، فقال معاوية: جزاك الله على المعاونة على الحق خيراً، وانصرف ابن زيد فأخذ ماله"[٢].

ومما روي في تأثير القضاة في سلطة الخليفة، أن القاضي سليم بن عتر التجيبي، وكان قد تولى القضاء لمعاوية سنة ٤٠هـ/ ٦٨٠م في مصر، عرضت عليه مسألة في الميراث سببت خصومة بين اثنين، فحكم بينهما، ثم تناكروا الحكم فعادوا إليه، فقضى بينهما، ودوّن الحكم في سجل خاص، ومنذ ذلك الوقت استخدمت السجلات في النظام القضائي في الإسلام[٣].

ويرى فوزي أن القضاة في العصر الأموي لم يتأثروا بالسياسة، بل أنهم كانوا ذوي كلمة نافذة على الولاة والعمال في الأقاليم المختلفة، وذلك بسبب أن بعض الخلفاء كانوا قد رفعوا من شأن القضاة وحثوهم على العدالة، وألا تأخذهم في الله لومة لائم[٤]، وبذلك فإن القضاة في العصر الأموي كانوا مؤثرين على سلطة الخليفة لا متأثرين. ويمكن الاستدلال على هذا الرأي بالآتي: فقد روي أن رجلًا يسمى صخير بن أبي الجهم أعتدى على القاضي مصعب بن عبد الرحمن وهو على الشرطة[٥]، فكسر أنفه، وشفع فيه معاوية، لكن القاضي رفض أن يقبل شفاعة معاوية وقال: "لا! ضربني، وأنا سلطان، وللسلطان أن يأخذ حقه ويُؤدِّب، لو فعل هذا لغيري، لاقتصصت لمن فعل ذلك به، وأخذت منه حق السلطان بسفهه"[٦]، وكان ذلك الرفض بسبب أن مصعب بن عبد الرحمن كان قد أتهم بقتل أحد فتيان المدينة واسمه إسماعيل بن هبار، وجزاء له على فعلته أمر الخليفة بأن يجلد مائة سوط وأن يحبس لمدة سنة[٧]؛ لذا رفض عبد الرحمن شفاعة الخليفة. ومن

---

(١) البلاذري، **أنساب الأشراف**، ج٥، ص ١٣٩.

(٢) **المصدر نفسه**، ج٥، ص ١٣٩.

(٣) الكندي، أبي عمر محمد بن يوسف المصري (ت ٣٥٠هـ/ ٩١٧م). **كتاب الولاة وكتاب القضاة.** تحقيق: رفن كست، مطبعة الآبا اليسسوعيين، بيروت، ١٩٠٨م، ص ٣١٠. (سيشار إليه فيما بعد: الكندي، **الولاة والقضاة**).

(٤) فوزي، **تاريخ النظم**، ص ٢٨٩.

(٥) كان بعض القضاة يتولون إمرة الشرطة بالإضافة إلى القضاء، ومنهم على سبيل المثال: مصعب بن عبد الرحمن الذي استعمله مروان بن الحكم أثناء ولاية الأخير على المدينة. انظر: شعيب، علي حسن أحمد حسن. "مجتمع قضاة المدينة أبان العصر الأموي". **حولية كلية اللغة العربية بالزقازيق**، جامعة الأزهر، ٢٠٠٩م، مج٣، ع٢٩، ص٢٨٨١- ٢٩٧٨. (سيشار إليه فيما بعد: شعيب، "مجتمع قضاة المدينة").

(٦) وكيع، **أخبار القضاة**، ص ٨٤.

(٧) الزبيري، **نسب قريش**، ص ٣٧١؛ شعيب، "مجتمع قضاة المدينة"، مج٣، ع٢٩، ص٢٨٨١- ٢٩٧٨.

خلال الحادثة الآنفة يُستشف بوضوح دور القضاة في التأثير على سلطة الخليفة الأموي، لدرجة أنه وصلت بهم الأمور إلى رفض شفاعة الخليفة نفسه، وأيضا تعبر عن قوة القضاء واستقلاله في العصر الأموي.

أما بالنسبة للكتّاب، فقد تمتع الكاتب بمكانة مرموقة في الدولة الإسلامية[1]، فلولا الكتّاب لما استقام أي أمر ولا تم له عزم، و"بالكتابة جُمع القرآن، وحُفظت الألسن والآثار، ووكدت العهود، وأُثبتت الحقوق، وسيقت التواريخ، وبقيت السكوك، وأمن الإنسان النسيان، وقيدت الشهادات"[2]، ولقد كان للكتّاب دور مؤثر في سلطة الخليفة في العصر الأموي، ومن القرارات المهمة التي اتخذها الخليفة معاوية بتأثير من بعض الكتّاب، أن معاوية كان أول من اتخذ ديوان الخاتم، وكان سبب ذلك أنه كتب لعمرو بن الزبير بمائة ألف درهم على أن يستلمها من زياد أثناء ولاية زياد العراق، ففض عمرو الكتاب وجعلها مائتي ألف درهم، فلما رفع زياد الحساب إلى معاوية، أخبر معاوية زياد بأنه لم يكتب لابن الزبير إلا بمائة ألف، وأمره أن يسترد منه المائة ألف الزائدة، وأن يحبسه بها، ومنذ ذلك الحين أنشأ معاوية ديوان الخاتم وقلده عبدالله بن محمد الحميري[3]، وقيل عبيد بن أوس الغساني[4].

وكان لمعاوية كاتب يقال له: عبد الرحمن بن دراج، وكان له أخ، يقال له: عبيد الله بن دراج، وكانا هو وأخيه موليي لمعاوية، فقلد معاوية عبيدالله الخراج بالعراق، وكان المغيرة بن شعبة- آنذاك- على العراق، وطالب عبيد الله أهل السودان أن يهدوا له في النوروز والمهرجان، ففعلوا، فبلغ ذلك عشرة آلاف ألف درهم في سنة. ومن هذه الرواية يتضح أن الكتّاب لعبوا دور في رفد موارد الدولة وبالتالي هذا سيؤثر على سلطة الخليفة وقراراته[5].

ومن الأدلة التي ذكرتها المصادر أنه عندما خرج الحسين بن علي إلى الكوفة اجتمعت حوله الناس، وكان النعمان بن بشير والي الكوفة من قبل يزيد لينا وضعيفا، فدعا يزيد بن معاوية

---

(١) القلقشندي، أحمد بن عبدالله (ت ٨٢١هـ/١٤١٧م). **صبح الأعشى.** دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٢٢م، ج١، ص ٣٥. (سيشار إليه فيما بعد: القلقشندي، **صبح الأعشى**).

(٢) الصولي، أبي بكر محمد بن يحيى (ت ٣٣٥هـ/ ٩٤٦م). **أدب الكاتب.** تحقيق: محمد بهجة الأثري، المكتبة العربية، بغداد، ١٣٤١هـ، ج١، ص ٢٢. (سيشار إليه فيما بعد: الصولي، **أدب الكاتب).**

(٣) الجهشياري، **الوزراء والكتّاب،** ص ٢٢.

(٤) الصولي، **أدب الكاتب،** ج٢، ص ١٤٣.

(٥) الجهشياري، **الوزراء والكتّاب،** ص ٢٢.

كاتبه سرجون بن منصور الرومي، وكـان يستشيره، وأخبره الخبر. فقال لـه: أكنت قـابلا من معاوية لو كان حيا؟ قال: نعم. قال: فاقبل مني، فإنّه ليس للكوفة إلّا عبيد الله بن زياد"(١).

روى البلاذري عن الهيثم بن عدي عن أبي المخارق قال: "كنت أحمل كتب كاتب معاوية وأدخل بها معه إليه، فدخلت ذات يوم فكأنه أعجبه مني ما يعجب الملك من خادمه فقال لي: ويحك من أنت؟ قلت: أنا زياد مولى عبد الله بن أذينة الحارثي، قال: صاحبنا بصفين؟ قلت: نعم يرحمه الله، ثم أقبل على كاتبه فقال: عليك أبداً بصاحبك الأول فإنك تلقاه على مودة واحدة، وإن طال العهد وشطت الدار، وإياك وكل مستحدثٍ فإنه يستطرف قوماً ويميل مع كل ريح"(٢). ومن هذه الرواية يتضح أن حسن أدب الكاتب واستحسان معاوية لتصرفه وفعله كان لـه دور في التأثير على معاوية.

ومن طريف أخبار الكتّاب وتخوف السلطة منهم، ما أورده الجهشياري أنه في مرة من المرات كان زياد بن أبي سفيان يُملي على كاتبه أسرارا، وكان ابنه عبيد الله بحضرته، فنعس زياد وقام لينام، وقال لعبيد الله بأن يتعهد الكاتب ولا يغيّر شيئا مما رسمه لـه، فأراد عبيد الله أن يقضي حاجة، ولم يرد أن ينبه أباه أو يقوم ويترك الكاتب، فشد إبهاميّ الكاتب بخيط وختمها وقام لحاجته، وعندما استيقظ زياد سأل الكاتب عن حالته تلك، فأخبره بما فعله عبيد الله، فشكر زياد لابنه صنيعه(٣).

وفي سنة ٥٦هـ/ ٦٧٥م، قدم المغيرة بن شعبة على معاوية واستعفاه من الولاية وشكا إليه ضعفه، فوافق معاوية على ذلك، وأراد أن يولي سعيد بن العاص، فبلغ الخبر ابن خنيس كاتب المغيرة، وذهب إلى سعيد بن العاص فأخبره وكان عنده رجل من أهل الكوفة يقال لـه ربيعة- أو الربيع- من خزاعة، فذهب الرجل الخزاعي إلى المغيرة وقال لـه: يا مغيرة، ما أرى أمير المؤمنين إلا قد قلاك، رأيت ابن خنيس كاتبك عند سعيد بن العاص يخبره أن أمير المؤمنين يوليه الكوفة، قال المغيرة: أفلا يقول كما قال الأعشى:

---

(١) ابن قتيبة، **الإمامة والسياسة**، ج١، ص ١٨٧؛ الجهشياري، **الوزراء والكتّاب**، ص ٢٦؛ ابن مسكويه، **تجارب الأمم**، ج٢، ص ٤٠.

(٢) البلاذري، **أنساب الأشراف**، ج٥، ص ٦٩.

(٣) الجهشياري، **الوزراء والكتّاب**، ص ٢٣؛ بن حسين، **الدولة الأموية**، ص ٣٩.

أمْ غابَ رَبُّكَ فاعتَرَتْكَ خَصَاصَةٌ   ولعلّ ربّكَ أنْ يعودَ مؤيَّدا

(بحر البسيط)

وعند ذلك قرر المغيرة أن يتمهل وذهب إلى يزيد، وحدثه بموضوع ولاية العهد، مما جعل معاوية يعيد المغيرة إلى عمله بالكوفة، وأمره أن يعمل في بيعة يزيد، فشخص المغيرة إلى الكوفة، وأتاه كاتبه ابن خنيس، فقال له: والله ما غششتك ولا خنتك، ولا كرهت ولايتك، ولكن سعيداً كانت له عندي يدٌ وبلاء، فشكر ذلك له، فرضي عنه وأعاده إلى كتابته، وعمل المغيرة في بيعة يزيد، وأوفد في ذلك وافداً إلى معاوية[1].

ومن هذه الرواية يتضح الدور الذي كان لابن خنيس من خلال علاقته بسعيد بن العاص والمغيرة بن شعبة، وما ترتب على ذلك من تشجيع يزيد على موضوع ولاية العهد، ومن ثم إدراك معاوية بأنه بحاجة للمغيرة في هذه الفترة التي تتطلب جهود من الوالي لأجل دعوة أهل العراق للبيعة ليزيد بولاية العهد، وهذا كله يعبر عن دور الكتّاب كقوة مؤثرة في سلطة الخليفة الأموي.

(١) الطبري، **تاريخ**، ج٥، ص ٣٠١.

الفصل الثالث

القوى غير الرسمية المؤثرة في سلطة الخليفة الأموي

٤١- ٦٤هـ/ ٦٦١- ٦٨٤م

أولا: زعماء القبائل.

ثانيا: بطانة الخليفة وحاشيته.

ثالثا: الشعراء.

رابعا: الموالي وأهل الذمة.

الفصل الثالث

القوى غير الرسمية المؤثرة في سلطة الخليفة الأموي

٤١ـ ٦٤هـ/ ٦٦١ـ ٦٨٤م

يقصد بالقوى غير الرسمية المؤثرة في سلطة الخليفة الأموي تلك القوى والظروف التي كان لها تأثير دون أن ترتبط بقصر الخلافة ارتباطا فرضته ظروف العمل أو التعيين، وهي أقرب ما يكون لأن تكون قوى خارجية أثرت بشكل أو بآخر في سلطة الخليفة ودفعته إلى اتخاذ بعض السياسات والقرارات حيال أحداث معينة؛ فقد كانت الزعامات القبلية تؤثر في سلطة الخليفة في العصر الأموي، وحرص الخلفاء على الحفاظ على تحقيق التوازنات القبلية والتصرف في كثير من الأمور تحت تأثير زعماء القبائل وقوتهم، ومن المعلوم أن الزعامات القبلية تمثل قوى غير رسمية أي لم يتم رسمها ولا تعيننها من قبل الخلفاء، ولكنها فرضت نفسها كقوة مؤثرة بسبب الأعراف والسنن والتقاليد المتبعة في المجتمع آنذاك.

وكذلك الحال بالنسبة لبطانة الخليفة وحاشيته من المقربين كالمرافقين والأصدقاء والنساء وغيرهم ممن لا يمثلون جانب رسمي أو يشغلون وظيفة معينة في الدولة تفرض عليهم أن نضعهم تحت فئة القوى الرسمية.

بالإضافة إلى الشعراء، والموالي وأهل الذمة وهما يمثلان قوتان مؤثرتان في سلطة الخليفة دون أن يكون لها علاقة رسمية بالخليفة الأموي، وإن كان هناك خلاف بسيط في موضوع الموالي كونهم يقصد بهم المسلمين من غير العرب أو أهل الذمة أو غيرهم ممن عاشوا في رعاية الدولة الإسلامية وشغل الكثير منهم مناصب في الدولة وبسببها أصبحوا مؤثرين في سلطة الخليفة. إلا أن المقصود بهم هنا فئتي الموالي وأهل الذمة بمفهومها الواسع بغض النظر عن عملهم أو وظيفتهم، وتمثلان فئات غير رسمية، أما بالنسبة للموالي وأهل الذمة الذين يندرجون تحت فئة رسمية كالكتاب وغيرهم، فقد تم وضعهم في الفصل الثاني تحت فئة الكتاب وهي فئة رسمية لها تنظيم خاص بها. وقد كان لتلك الفئات أثر لا يستهان به في سلطة الخليفة الأموي، وإن كانت غير رسمية، بل أن أثرها فاق في كثير من الأحيان القوى الرسمية، ويمكن ملاحظة ذلك من خلال ما يلي:

أولا: زعماء القبائل:

لم يغب دور القبيلة عن مسرح الأحداث السياسية منذ ظهور الإسلام، فقد قامت الدولة الأموية أساسا على مبدأ قبلي بحت وهو الثأر لعثمان المقتول ظلما، وهذا المبدأ يمثل بعدا معبرا

عن العصبية القبلية كونها أحد المظاهر السياسية والاجتماعية التي لا يمكن أن تنفك عن تاريخ الدولة الأموية، فقد قامت خلافة بني أمية بمساندة رجال القبائل العربية في الشام، واستند الأمويين على القبيلة والنسب القرشي في إثبات شرعية خلافتهم، وكان المجتمع العربي منقسما إلى عصبيتين قيسية ويمنية، تمثلت القيسية بقبائل نزار (تميم، وربيعة، ومضر) من عرب الشمال، بينما تمثلت اليمنية في قبائل أخرى منها قبيلة كلب التي كانت أكثرها عددا، وأقدمها استقرارا في الشام، وكانت قبيلة كلب تتزعم يمانية الشام، ورغم أن النفوذ القبلي خمد في صدر الإسلام وعصر الخلافة الراشدة، إلا أن انتشار القبائل العربية في الأمصار على إثر الفتوحات الإسلامية حمل معه العصبية القبلية بين عرب الشمال الذين انتسبوا لجدهم عدنان وعرفوا بالعدنانية، وعرب الجنوب الذين انتسبوا لجدهم قحطان وعرفوا بالقحطانية، وتحولوا مع مرور الزمان إلى حزبين سياسيين اشتد التنافس بينهما وظهر ذلك جليا في العصر الأموي[١].

ورغم أن معظم الخلفاء الأمويين حاولوا استعمال سياسة التوازن في تقريب التكتلات القبلية والزعامات التي تمثلها[٢]، وحرصوا على عدم الانحياز لطرف على حساب الآخر، إلا أن بعض منهم شذّ عن هذه القاعدة وأظهر ميلا لكتلة قبلية على حساب الأخرى[٣]، مما نتج عنه عواقب وخيمة أدت في نهاية المطاف إلى اعتبار المؤرخين العصبية القبلية أحد العوامل التي أدت إلى سقوط الدولة الأموية سنة ١٣٢هـ/ ٧٥٠م.

ونظرا لذلك فمن الطبيعي أن يكون للزعامات القبلية تأثير على الخلفاء الأمويين، ودور في توجيه سلطاتهم التي تنعكس على سياسة الدولة الأموية، وأصبح منصب سيد القبيلة أو زعيم القبيلة منصبا إداريا في عهد الخلفاء السفيانيين، فقد أمر الخليفة يزيد بن معاوية واليه على العراق عبيد الله بن زياد أن يُرئِس أشيم بن شقيق بكرا بن وائل بالبصرة[٤]، وهذا يدل على الأهمية العظيمة للزعامات القبلية بالنسبة للدولة الأموية، ورغم أن هذا التعيين حدث فعلا بتوجيه من الخليفة يزيد، إلا أن هذا لا يتعارض مع ما أشرنا إليه آنفا في أن الزعامات القبلية تصنف تحت عنوان القوى غير الرسمية، وذلك لأن مصطلح (زعماء القبائل) موضوع بحثنا، لم يقتصر على رأس كل قبيلة أو سيدها فقط، فقد شمل الكثير ممن يمثلون مكانة مرموقة، وكلمتهم نافذة لدى

(١) عبدالله، "أساليب الخليفة معاوية"، مج١٠، ع٢٠، ص ٧- ٢٥.

(٢) دكسن، عبد الأمير عبد حسين. **الخلافة الأموية**. دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٣م، ص ١٤٠. (سيشار إليه فيما بعد: دكسن، **الخلافة الأموية**).

(٣) الخاطرية، **أبعاد تأثير القبيلة**، ص ٣٥.

(٤) الطبري، **تاريخ**، ج٥، ص ٥١٥.

جماعتهم، وحتى وإن أمر الخليفة يزيد بتعيين بعض الرؤساء على قبائلهم، إلا أن علاقتهم بالخلافة والسلطة الأموية لم تكن علاقة فرضها هذا المنصب أو بناء على هذا التعيين، بل ترتبط بما هو أبعد من ذلك من مصالح ومتطلبات القبائل التي هي رعايا الدولة الإسلامية، وتقوم بأدوار كبيرة في السلم والحرب.

تظافرت عدة عوامل أدت إلى تأثير الزعامات القبلية على سلطات الخلفاء في العصر الأموي، منها: التغيرات السياسية وما رافقها من استئثار زعماء وشيوخ القبائل بالمناصب السياسية والإدارية[١]، والتغيرات الاجتماعية وما تبعها من سياسة التوطين القبلي في الأمصار[٢]، والتعصب لقريش دون غيرها، والدوافع الاقتصادية المتمثلة في رغبة القبائل في الحصول على المغانم المادية[٣] وما ترتب عليها من خصومات ومشكلات قبلية، فقد استطاع الأمويين توظيف العطاء في تغيير موازين القوى لصالحهم وتحقيق الكثير من التوازن بين اليمانية والقيسية بما يخدم أهدافهم ومصالحهم[٤].

وكان لقبيلة كلب وجود استثنائي في علاقتها بالسلطة الأموية- لا سيما- في فترة حكم الفرع السفياني، وخصوصا أن معاوية تزوج ميسون بنت بحدل، وبذلك صارت كلب أحد العصبيات التي أستند عليها خلفاء الفرع السفياني[٥]، فقد شاركت كلب إلى جانب معاوية في صفين، وشاركت في معركة الحرة بأدوار قيادية، حيث كان مخارق الكلبي على ميسرة جيش مسلم بن عقبة المري[٦]، مما يعطي دلالة واضحة على الدور المميز لهذه القبيلة في العلاقة بالخلافة الأموية، وفي ذلك قيل: "لم يُؤيد الملك بمثل كلب"[٧]. وكان حسان بن مالك بن بحدل الكلبي عاملا لمعاوية على فلسطين وظل عليها طوال حكم البيت السفياني[٨].

---

(١) الدوري، **مقدمة في تاريخ**، ص ٥٩؛ الخاطرية، **أبعاد تأثير القبيلة**، ص ٣٩.

(٢) الجابري، محمد عابد. **العقل السياسي العربي.** مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٠م، ص ٢٥٣. (سيشار إليه فيما بعد: الجابري، **العقل السياسي العربي**)؛ الخاطرية، **أبعاد تأثير القبيلة**، ص ٣٩.

(٣) الدوري، عبد العزيز. "الديمقراطية في فلسفة الحكم العربي". **مجلة المستقبل العربي**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٧٩م، مج٢، ع٩، ص ٦٠- ٧٦. (سيشار إليه فيما بعد: الدوري، "الديمقراطية")؛ الخاطرية، **أبعاد تأثير القبيلة**، ص ٣٩.

(٤) الجابري، **العقل السياسي العربي**، ص ٢٥٣ وما بعدها؛ الخاطرية، **أبعاد تأثير القبيلة**، ص ٣٩.

(٥) الزويد، "مصاهرات بني أمية"، مج٩، ع٢، ص ٢٧- ٤١.

(٦) ابن عساكر، **تاريخ دمشق**، ج٥٧، ص ١٣٢.

(٧) **المصدر نفسه**، ج١٥، ص ٢٧٧.

(٨) الطبري، **تاريخ**، ج٥، ص ٥٣١.

وحرص يزيد بن معاوية كذلك على حفظ العلاقات مع أخواله بنو كلب، فقد تزوج منهم، وقرّب خاله حسان حتى أن أحد شعراء كلب عيّر حسان بأنه نال المجد بميسون وليس بكونه ابن بحدل[١]، وأقطع يزيد بن معاوية خاله سعيد بن مالك بن بحدل إقليم بيت الآبار، وهي قرية من غوطة دمشق[٢]، وأبقى خاله حسان على منصب والي جند فلسطين[٣]، وعيّن حميد بن حريث بن بحدل على شرطته[٤]. وروي أن الضحاك بن قيس شتم يزيد بن معاوية ذات مرة في المسجد، فقام إليه شاب من كلب بعصا معه، فضربه بها، وقامت مواجهات بين الكلبيين والقيسيين نتيجة لذلك، وكانت هذه أحد الحوادث التي سبقت موقعة مرج راهط ٦٤هـ/ ٦٨٣م[٥].

ولم يقتصر الأمر على قبيلة كلب ولا يمانية الشام، فقد كان تأثير الزعامات القبلية القيسية على بني أمية في السياسة والإدارة واضحا في إشارات تم جمعها من المصادر التاريخية، ففي ولاية عبدالله بن عامر على البصرة سنة ٤١هـ/ ٦٦١م، عين قيس بن الهيثم القيسي على خراسان[٦]، وذلك كون أم عبدالله بن عامر منهم فهم أخواله[٧]، وإن كان هذا الأمر لا يعني قطعا أن الخؤولة هي سبب التعيين، إلا أنه بلا شك ستكون سبب مؤثر ولو بصورة غير مباشرة، وخصوصا أنه عندما عزل سنة ٤٣هـ/ ٦٦٣م عين عليها قيسيا آخر هو طفيل بن عوف اليشكري[٨].

وحفظت لنا المصادر التاريخية بعض الروايات التي تدل على تأثير الزعامات القبلية على سلطات الخلفاء في العصر الأموي، ففي سنة ٥٠هـ/ ٦٦٩م وفد على معاوية في دمشق

---

(١) البلاذري، **أنساب الأشراف**، ج٥، ص ١٥٧.

(٢) الحموي، **معجم البلدان**، ج١، ص ٥٢٠.

(٣) الطبري، **تاريخ**، ج٥، ص ٥٣١.

(٤) ابن عساكر، **تاريخ دمشق**، ج١٥، ص ٢٧٧.

(٥) البلاذري، **أنساب الأشراف**، ج٦، ص ٢٦٥؛ ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج٣، ص ٢٣٩؛ الزويد، "مصاهرات بني أمية"، مج٩، ع٢، ص ٢٧- ٤١.

(٦) الطبري، **تاريخ**، ج٥، ص ١٧٢؛ ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج٣، ص ١٥؛ الزويد، "مصاهرات بني أمية"، مج٩، ع٢، ص ٢٧- ٤١.

(٧) أمه هي دجاجة بنت أسماء بن الصلت بن حبيب. انظر: الزبيري، **نسب قريش**، ص ١٤٩؛ الزويد، "مصاهرات بني أمية"، مج٩، ع٢، ص ٢٧- ٤١.

(٨) الطبري، **تاريخ**، ج٥، ص ٢١٢؛ ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج٣، ص ٣٨؛ الزويد، "مصاهرات بني أمية"، مج٩، ع٢، ص ٢٧- ٤١.

بعض شيوخ القبائل، وكان منهم الأحنف بن قيس، وجارية بن قدامة السعدي[١]، والجون بن قتادة العبشمي، والحتات بن يزيد[٢]، فأعطى معاوية لكل واحد منهم مائة ألف، بينما أعطى الحتات بن يزيد سبعين ألفا فقط، وفي طريق عودتهم إلى ديارهم سأل بعضهم بعضا عما أعطاهم معاوية، وعندما علم الحتات بأنه أقلهم جائزة من قبل معاوية، رجع إلى معاوية، وعاتبه قائلا: "فضحتني في بني تميم، أما حسبي بصحيح! أو لست ذا سن! أو لست مطاعاً في عشيرتي! فقال معاوية: بلى؛ قال: فما بالك خسست بي دون القوم! فقال: إني اشتريت من القوم دينهم ووكلتك إلى دينك ورأيك في عثمان بن عفان- وكان عثمانياً- فقال: وأنا فاشتر مني ديني، فأمر له بتمام جائزة القوم"[٣].

وتعبر هذه الرواية عن حرص معاوية على استمالة الزعامات القبلية عن طريق إغداق الأموال عليها، وذلك إدراكا منه لأهميتها كقوة عسكرية وسياسية يستند عليها في حكمه[٤]، وكذلك يتبين تأثير تلك الزعامات عليه من موقف الحتات وعتابه بأنه لم يحصل على المساواة كما حصل نظرائه، مما جعل معاوية يرضيه بالقول والمال.

وكان مما قاله جارية بن قدامة السعدي لمعاوية حين عاتبه على نصرته لعلي بن أبي طالب: "دع عنك علياً وذكره، فوالله ما ابغضناه مذ أحببناه، ولا غششناه مذ نصحناه... إن قوائم السيوف التي لقيناك بها بصفين لفي أيدينا... إنك لم تملكنا قسراً ولم تفتحنا عنوةً ولكنا أعطينا عهوداً ومواثيق، فإن وفيت لنا وفينا، وإن نزعت إلى غير ذلك فقد تركنا وراءنا رجالاً أنجاداً[٥] وأذرعاً شداداً وأسنة حداداً، فإن بسطت لنا فتراً[٦] من غدر دلفنا إليك بباعٍ من ختر[٧]... يا أمير

---

(١) هو أبو أيوب ويقال أبو يزيد، شهد صفين مع علي، ووفد على معاوية، له صحبة، وكان مطاعا في قومه. انظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م). **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام.** تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٩م، ج٤، ص ٢٦. (سيشار إليه فيما بعد: الذهبي، **تاريخ الإسلام**).

(٢) هو أبو المنازل الحتات بن يزيد من بني حوى بن سفيان بن مجاشع، من شيوخ بني تميم، وكان قد وفد على النبي وآخى بينه وبين معاوية. انظر: ابن عساكر، **تاريخ دمشق،** ج١٠، ص ٢٧١.

(٣) الطبري، **تاريخ،** ج٥، ص ٢٤٢؛ ابن عساكر، **تاريخ دمشق،** ج١٠، ص ٢٧٧.

(٤) النعيمي، نزار محمد قادر. **الجيش وتأثيراته في سياسة الدولة الإسلامية.** دار الكتاب الثقافي، إربد، ٢٠٠٣م، ص ٨٩. (سيشار إليه فيما بعد: النعيمي، **الجيش وتأثيراته**).

(٥) يقال: رجل نجُدٌ أي شديد البأس، ورجال أنجاد أي رجال أيقاظ. انظر: ابن منظور، **لسان العرب،** مج٦، ص ٤٣٤٨.

(٦) الفتر هو الشبر. انظر: **المصدر نفسه،** مج٥، ص ٣٣٤١.

(٧) الختر يعني الغدر والخديعة. انظر: **المصدر نفسه،** مج٢، ص ١٠٩٩.

المؤمنين فقد بلونا قريشاً فوجدناك اليوم أوراها زنداً[1] وأكثرها زبداً[2] وأحسنها رفداً[3]، فارعنا رويدا، فإن شر الرعاء الحطمة[4]"[5].

ووفد على معاوية ناجذ بن سمرة وهو من بني الحارث بن عبد مناة من كنانة، ومعه واثلة بن الأسقع الكناني وهو أيضا من بني ليث بن بكر الكناني، فلما وصلا باب معاوية، أمر معاوية بالإذن أولا لناجذ، فمنعه واثلة من ذلك وعاتب معاوية أن أذن له قبله، فتحجج معاوية بأن ناجذ يوم الفجار[6] كان معه، بينما واثلة كان عليه، فقال له واثلة: يا معاوية أبثأر الجاهلية تطالبني؟! فاعتذر معاوية وقضى له حوائجه[7].

وفي رواية البلاذري عن المدائني ما يؤكد سياسة معاوية المتوازنة مع التكتلات القبلية، فقد كتب إلى زياد ذات مرة: "إن حولك مضر وربيعة واليمن، فأما مضر فولهم الأعمال واحمل بعضهم على رقاب بعض، وأما ربيعة فأكرم أشرافهم فإن أتباعهم منقادون لهم، وأما اليمن فأكرمهم في العلانية وتجاف عنهم في السر"[8].

ويتضح من ذلك عمق التأثير القبلي على معاوية، هذا فضلا عن فطنة معاوية في معرفة رجال القبائل وطبائع التعامل معهم ومداراتهم وإنزال كل منهم منزلته وحفظ مكانته.

وروي أن عبيد الله بن كعب النميري قدم على معاوية، فسأله معاوية عن حال زياد في ولايته، فأخبره[9]. وهذا دليل على أن زعماء القبائل كانوا مؤثرين في سلطة الخليفة، وكانوا أهل ثقة ومشورة عند الخلفاء.

وكان للقبائل الكوفية أثر في إقلاق السلطة الأموية في قضية حجر بن عدي الكندي، فقد كان أشراف الكوفة موالين للخلافة ولكن عشائرهم كانت مناصرة للثائر العلوي، فأمرهم زياد بن

---

(١) الزند هو العود الذي يقدح به النار. انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مج٣، ص ١٨٧١.

(٢) كناية عن الكرم، لأن أكثر القوم زبدا هو أكثرهم إطعاما للطعام. انظر: **المصدر نفسه**، مج٣، ص ١٨٠٣.

(٣) رفدا أي عطاء وصلة. انظر: **المصدر نفسه**، مج٣، ص ١٦٨٧.

(٤) الرعاء جمع راعي، والحطمة هي السنة الشديدة الجدب. انظر: **المصدر نفسه**، مج٢، ص ٩١٦.

(٥) البلاذري، **أنساب الأشراف**، ج٥، ص ٦٨.

(٦) الفجار هي حرب كانت بين قيس عيلان وبني كنانة، وسميت بهذا الاسم لأنهم استحلوا فيها القتال في الأشهر الحُرم. انظر: المسعودي، **مروج الذهب**، ج٢، ص ٢١٢.

(٧) البلاذري، **أنساب الأشراف**، ج٥، ص ٨٣.

(٨) **المصدر نفسه**، ج٥، ص ٢٣.

(٩) **المصدر نفسه**، ج٥، ص ٩٨؛ ابن عساكر، **تاريخ دمشق**، ج٣٨، ص ٢١١.

أبي سفيان بمنع عشائرهم من موالاة حجر، وتهدد زياد زعماء الكوفة ومن بينهم محمد بن الأشعث الكندي- وهو سيد كندة- بقطع كل نخيله وهدم منازله وتقطيعه هو إذا لم يحضر له حجرا بن عدي؛ وخوفا من ضياع امتيازاتهم المادية والسياسية، سعى الزعماء لتأطير عشائرهم، والتوقيع على شهادة باتهام حجر بن عدي وأصحابه بأنهم خلعوا الطاعة ودعوا للحرب والفتنة[1].

ولم يقتصر موقف القبائل الكوفية على الأدوار المخالفة للسياسة الأموية، فقد ذكرت المصادر التاريخية بعض المواقف الكوفية الموالية للأمويين، فقد كلف الخليفة معاوية أشراف الكوفة بالقضاء على ثورة المستورد بن علفة الخارجي[2] في ولاية المغيرة بن شعبة سنة ٤٣هـ/ ٦٦٣م[3]، فاستجاب الأشراف له وقضوا على الثورة[4]. وألتف أشراف الكوفة في عهد الخليفة يزيد بن معاوية حول والي العراق عبيد الله بن زياد عندما أراد القضاء على ثورة الحسين بن علي، ونجح الأشراف في إقناع قبائلهم بضرورة التحالف مع الوالي الأموي والتخلي عن الحسين بن علي[5]. وقد كافأ الخليفة يزيد أحد هؤلاء الأشراف، وهو كثير بن شهاب بن الحصين بن ذي الغصة الحارثي من مذحج، بإقطاعه ضياعا بالجبل، وتعيينه على ماسبذان ومهرجان قذف وحلوان والماهين[6].

وفي سنة ٥٤هـ/ ٦٧٤م قام رجل من بني ضبة بحصب[7] عبدالله بن عمرو بن غيلان وهو قائما يخطب على منبر البصرة، وكان واليها من قبل معاوية آنذاك- فأمر عبدالله بن عمرو بالرجل الذي حصبه فقطعت يده، فخاف بنو ضبة أن يصل الأمر إلى معاوية وتنالهم بعض العقوبة، فطلبوا من الوالي أن يكتب لهم كتاب يخرج به أحدهم إلى معاوية ليخبروه بما حصل من الرجل وأنه قد أخذ عقوبته، فأعطاهم الوالي الكتاب ولكن بنو ضبة حبسوا الكتاب عندهم قرابة

---

(١) الطبري، **تاريخ**، ج٥، ص ٢٦٣؛ بن حسين، **الدولة الأموية**، ص ٣٦١.

(٢) هو أحد الثوار الخارجين على الأمويين في عهد معاوية، وسبب خروجهم هو إنكار الجور والظلم كما يزعمون، وبايعه أصحابه سنة ٤٣هـ/ ٦٦٣م. انظر: البلاذري، **أنساب الأشراف**، ج٥، ص ١٧٥.

(٣) **المصدر نفسه**، ج٥، ص ١٧٥.

(٤) الطبري، **تاريخ**، ج٥، ص ١٨٨.

(٥) **المصدر نفسه**، ج٥، ص ٣٠٥.

(٦) من أعمال خراسان. انظر: ابن خرداذبة، أبي القاسم عبيد الله بن عبدالله (ت ٣٠٠هـ/ ٩١٢م). **المسالك والممالك**. تحقيق: حماه الله ولد السالم، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٤م، ص ١٨. (سيشار إليه فيما بعد: ابن خرداذبة، **المسالك والممالك**)؛ البلاذري، **فتوح البلدان**، ص ٤٣٢؛ بن حسين، **الدولة الأموية**، ص ٣٦٢.

(٧) حصب أي رماه بالحصى. انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مج٢، ص ٨٩٣.

ستة أشهر، ثم وافوا معاوية وأخبروه الخبر، فكان رد معاوية أن أعطاهم دية صاحبهم، وعزل عبدالله بن عمرو، وأعطاهم الخيار أن يختاروا من يرونه مناسبا ليكون واليا على البصرة، ومن ثم ولى عليهم عبيد الله بن زياد[١].

وقدم مالك بن هبيرة السكوني على معاوية يوما، فسأله عن أحوال أهل الحجاز، فأجابه: "رأيت ابن عمر فرأيته رجل نفسه، ورأيت الحسن بن علي فرأيته ظاهر الجمال طاهر القلب، ورأيت عبد الله بن مطيع العدوي فرأيت سفيهاً يريد أن يُعد فقيهاً، ورأيت ابن الزبير فرأيت رجلاً تكفيه واحدة فيصيرها عشراً وهو يحاول أمراً ليس من أهله"[٢]، فاستحسن معاوية منه هذا الجواب، وسوده على قومه، وذلك لأن معاوية سأله عن سيد قومه فقال له من سودته يا أمير المؤمنين، فقال معاوية: فأنت سيدهم، فقال مالك: "فقرب مجلسي واقض حاجتي والقني ببشر حسن"[٣].

وكان مالك بن هبيرة قبل ذلك قد شفع عند معاوية لحجر بن عدي الكندي سنة ٥١هـ/ ٦٧١م وطلب منه أن يسلمه إياه، إلا أن معاوية رفض ذلك، فغضب مالك واعتبر ذلك جحودا من معاوية، مما جعل معاوية يمنحه مائة ألف درهم[٤]، وهذا التصرف يعبر عن تأثير الزعامات القبلية على معاوية، فكما هو واضح فإن معاوية تخوف من أن يؤثر غضب مالك بن هبيرة على ولاء قبيلته للأمويين، كونه سيد القبيلة؛ لذا لاطفه معاوية وأكرمه بالعطاء[٥].

ومن المواقف التي تتضح فيها تأثير الزعامات القبلية في سلطة الخليفة، أن معاوية أصدر قرارا بهدر دم كثير بن شهاب المذحجي، وذلك بسبب سرقته الكثير من الأموال عندما كان

---

(١) الطبري، **تاريخ**، ج٥، ص ٢٩٩؛ انظر أيضا: ابن خياط، **تاريخ**، ص ٢٢٤؛ البلاذري، **أنساب الأشراف**، ج٥، ص ٢٤٩؛ ابن الجوزي، **المنتظم**، ج٥، ص ٢٧٨.

(٢) البلاذري، **أنساب الأشراف**، ج٥، ص ٢٤.

(٣) **المصدر نفسه**، ج٥، ص ٢٤.

(٤) الطبري، **تاريخ**، ج٥، ص ٢٧٤.

(٥) بن حسين، **الدولة الأموية**، ص ٣٥٨.

عاملا لمعاوية على خراسان، وهرب بها إلى هاني بن عروة المرادي[1] لاجئا، فما كان من هاني إلا أن قام بدور الوساطة حتى توصلوا إلى اتفاق بين كثير ومعاوية[2].

وكان لرجال القبائل مكانة عند الخلفاء وكانوا يأخذون بقولهم ومشورتهم في كثير من أمور الدولة، فقد وفد عبيد الله بن زياد في أهل العراق على معاوية سنة ٥٩هـ/ ٦٧٩م، وكان ضمن الوفد الأحنف بن قيس التميمي، فطلب معاوية من ابن زياد أن يدخل رجاله عليه بناء على منازلهم وشرفهم، فأذن لهم، ودخل الأحنف بن قيس في آخرهم، فعلم معاوية أن منزلة الأحنف من عبيد الله سيئة، ثم تكلم القوم والأحنف ساكت، فقال معاوية: "ما لك يا أبا بحر لا تتكلم؟ قال: إن تكلمت خالفت القوم"[3]، ثم قال معاوية للوفد انهضوا فقد عزلت عنكم عبيد الله، وطلب منهم أن يختاروا واليا عليهم بدلا عنه، فلبثوا أياما يسمون رجالا من أشراف الشام أو رجالا من بني أمية، وعندما قدموا على معاوية اختلفت كلمتهم ولم يتفقوا، والأحنف لا يتكلم، فسأله معاوية، فكان رده: "إن وليت علينا أحداً من أهل بيتك لم نعدل بعبيد الله أحداً، وإن وليت من غيرهم فانظر في ذلك، قال معاوية: فإني قد أعدته عليكم، ثم أوصاه بالأحنف، وقبح رأيه في مباعدته"[4].

وفي رواية أن معاوية عاتب الأحنف بن قيس يوما: "أو تراني أنسى طلبك الحيل في أمر أتانيه الله لتبطله (يعني يوم الحكمين)"[5]، وكان مما أورده البلاذري أيضا في أحد الردود التي رد بها الأحنف على معاوية حين عاتبه، قول الأحنف: "والله ما أتيناك يا أمير المؤمنين لتهدينا من ضلالة، ولا لتغنينا من عيلة، ولا لتمنعنا من ذلة، ولكن للسمع وللطاعة"[6].

ومن هاتين الروايتين يتبين طبيعة العلاقة بين الخلافة والزعامات القبلية، فها هو معاوية تارة يعاتب الأحنف ويذكر له سابقته في تأييده لعلي دون معاوية، وتارة أخرى يوصي واليه ابن

---

(١) أحد سادات الكوفة وأشرافها، كان من أنصار علي بن أبي طالب، غضب عليه عبيد الله بن زياد بسبب أنه خبأ عنده مسلم بن عقيل عندما أرسله الحسين بن علي إلى الكوفة، ودعاه إلى تسليم مسلم بن عقيل، فرفض، وضربه ابن زياد وحبسه ومن ثم قتله وصلبه بسوق الكوفة سنة ٦٠هـ/ ٦٨٠م. انظر: الزركلي، **الأعلام**، ج ٨، ص ٦٨.

(٢) المبّرد، أبي العباس محمد بن يزيد (ت ٢٨٥هـ/ ٨٩٨م). **الكامل**. تحقيق: محمد أحمد الدالي، مؤسسة الرسالة، د م، ١٩٩٢م، مج١، ص ١٦٠. (سيشار إليه فيما بعد: المبّرد، **الكامل**)؛ ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ج١، ص ١٢٢.

(٣) ابن الجوزي، **المنتظم**، ج٥، ص ٣٠٤؛ انظر أيضا: ابن سعد، **الطبقات**، ج٩، ص ٩٤.

(٤) الطبري، **تاريخ**، ج٥، ص ٣١٦؛ انظر أيضا: النويري، **نهاية الإرب**، ج٢٠، ص ٢٢٨.

(٥) البلاذري، **أنساب الأشراف**، ج١٢، ص ٣١٧.

(٦) **المصدر نفسه**، ج٥، ص ٢٧؛ ابن فضل الله العمري، **مسالك الأبصار**، ج٢٤، ص ٢٧٨.

زياد بالإحسان إلى الأحنف بن قيس وإكرامه، وهذا يعبر عن سياسة التوازن التي كان معاوية يتبعها في معاملته مع الزعامات القبلية.

ومما يعبر أيضا عن طبيعة العلاقة بين معاوية وزعماء القبائل لدرجة أن الأمر أحيانا لا يخلو من بعض التصريح الذي لا يمكن أن يرضاه خليفة في زمان آخر غير زمان معاوية، ولكن نظرا لقرب عهد معاوية بالتقاليد العربية في عصرما قبل الإسلام، ولأن معاوية كان يحفظ لشيوخ القبائل مكانتهم وينزلهم منازلهم، فقد كان يتقبل منهم ولو على مضض ما لن يقبله خليفة آخر في عصر غير عصره، فقد قال معاوية يوما: "الأرض لله وأنا خليفة الله فما أخذت فلي، وما تركته للناس فبالفضل مني، فقال صعصعة بن صوحان[1]: ما أنت وأقصى الأمة في ذلك إلا سواء، ولكن من ملك استأثر، فغضب معاوية وقال: لهممت، قال صعصعة: ما كل من همَّ فعل، قال: ومن يحول بيني وبين ذلك؟ قال: الذي يحول بين المرء وقلبه[2]، وخرج وهو يقول بيت الشماخ[3]:

أَرِيدُونِي إِرَادَتَكُمْ فَإِنْي وَحَذْفَةً كَالْشَّجَا تَحْتَ الْوَرِيدِ"[4].

وقدم صعصعة بن صوحان على معاوية ذات يوم، فقال معاوية: "قدمت خير مقدم قدمت أرض المحشر، فقال صعصعة: إن خير المقدم لمن قدم على الله آمناً يوم القيامة، وأما أرض المحشر فليس ينفع الكافر قرب المحشر ولا يضر المؤمن بعده"[5].

وقال معاوية لصعصعة ذات يوم: "يا أهل العراق قلدتم أمركم غلاماً من النخع، يعني إبراهيم بن الأشتر، فقال: لو كان معك لقلدته أمرك، إنه شجاع نجيح نصيح يعلم ما يأتي ويذر، وما رأينا بعد أبيه مثله"[6].

قال معاوية يوماً: "لقد أكرم الله الخلفاء أفضل الكرامة، أنقذهم من النار وأوجب لهم الجنة، وجعل أنصارهم أهل الشام، فقال صعصعة بن صوحان: تكلمت فهجرت، وليس الأمر كما ذكرت، أنى يكون خليفةً من ضرب الناس قسراً، وخدعهم مكراً، وساسهم جبرا؟! فأما إطراؤك

---

(١) ابن قتيبة، **المعارف**، ص ٤٠٢؛ ابن سعد، **الطبقات**، ج٨، ص ٣٤٠.

(٢) المسعودي، **مروج الذهب**، ج٣، ص ٤٠.

(٣) هو الشماخ بن ضرار بن حرملة المازني الغطفاني، شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام، توفي سنة ٢٢هـ/ ٦٤٣م. انظر: الزركلي، **الأعلام**، ج٣، ص ١٧٥.

(٤) البلاذري، **أنساب الأشراف**، ج٥، ص ٢٧.

(٥) **المصدر نفسه**، ج٥، ص ٣٨؛ انظر أيضا: ابن سعد، **الطبقات**، ج٦، ص ١٩.

(٦) البلاذري، **أنساب الأشراف**، ج٥، ص ٣٨.

أهل الشام فلا أعلم أحداً أطوع لمخلوق في معصية خالق منهم، اشتريت أديانهم بالمال، فإن تدره عليهم يمنعوك وينصروك، وإن تقطعه عنهم يخذلوك، فاستبان الغضب في وجه معاوية ثم قال: لولا أن القدرة تذهب الحفيظة، وأن الحلم محمود المغبة، ما عدت لقولك يا صعصعة مرةً بعد مرة، ثم قال:

عَفَوْتُ عَنْ جَهْلِهِمْ حُلْمًا وَمُكَرَّمَةً

وَالْحُلْمَ عَنْ قُدْرَةٍ مِنْ أفْضَلِ الْكَرَمِ"[1].

وخرج معاوية من دمشق هارباً من الطاعون[2]، فلما كف الطاعون رجع إليها، ولما أشرف على الغوطة ألتقى بهمام بن قبيصة النميري، ورأى معاوية بستانا، فسأل عنه، فقال همام: "يا معاوية ملكت الشرق والغرب فلم تكتف بذلك حتى أردت أن تأخذ أموالنا، لا أشبع الله بطنك. فضحك معاوية ثم حرك دابته فقال: حتى نمير[3] تحاقني في الغوطة"[4]. وتعبر هذه الرواية عن مكانة زعماء القبائل لدى معاوية وقوة تأثيرهم عليه، لدرجة أن همام النميري يتجرأ أن ينتقد الخليفة ويعبر له عما يدور في نفسه من أن معاوية استأثر بكل شيء دون الناس.

وكذلك الضحاك بن قيس الفهري الذي كان من ثقات معاوية، فقد أوكل معاوية إليه أن حين وفد عليه أهل العراق سنة ٥٩هـ/ ٦٧٩م[5]، أن يدعوهم إلى البيعة ليزيد بولاية العهد: "إني جالس من غد للناس فأتكلم بما شاء الله، فإذا فرغت من كلامي فقل في يزيد الذي يحق عليك،

---

(١) البلاذري، **أنساب الأشراف**، ج٥، ص ٣٨.

(٢) على الرغم من أن الباحثة ترى أنه من الممكن أن تكون هذه الحادثة حدثت في خلافة معاوية كما تذكرها المصادر وكأنها حتما صارت في خلافة معاوية لا ولايته، إلا أن الإشارات التي أوردتها المصادر حول طواعين بلاد الشام، لم تورد حدوث طاعون في دمشق إبان خلافة معاوية، ولكن وقع طاعون بالكوفة سنة ٤٩هـ/ ٦٦٩م في ولاية المغيرة بن شعبة، وكذلك طاعون آخر سنة ٥٣هـ/ ٧٦٢م عرف بطاعون زياد بن أبيه، وأن هذا الطاعون الذي وقع بدمشق وخرج معاوية منه بسبب وقوعه كان قد وقع في فترة ولاية معاوية على الشام قبل توليه الخلافة، وأنه اندلع من قرية تسى داب، وفكر معاوية في إجلاء سكانها، إلا أن الصحابي أبا الدرداء عامر بن عامر الأنصاري حال بين معاوية وبين تنفيذ ذلك، وهناك إشارات أفادت بأن هذا الطاعون أمتد حتى حمص ومن ثم دمشق ولذلك خرج منها معاويا اتقاء له. انظر: العدوي، أحمد. **الطاعون في العصر الأموي.** المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، ٢٠١٨م، ص ٦٧. (سيشار إليه فيما بعد: العدوي، **الطاعون في العصر الأموي**)؛ فاضل، نصير بهجت. "الطواعين في صدر الإسلام والخلافة الأموية". **مجلة جامعة كركوك للدراسات الإنسانية**، ٢٠١١م، مج٦، ع٢، ص ٩٨- ١١٥. (سيشار إليه فيما بعد: فاضل، "الطواعين في صدر الإسلام والخلافة الأموية").

(٣) بنو نمير بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر من قيس عيلان بن مضر، ويقصد بهم هنا قبيلة همام بن قبيصة. انظر: ابن حزم، **جمهرة**، ص ٢٧٢.

(٤) البلاذري، **أنساب الأشراف**، ج٥، ص ١٢٥.

(٥) ذكر ابن أعثم أن ذلك كان ومعاوية على فراش الموت. انظر: ابن أعثم الكوفي، **الفتوح**، ج٤، ص ٣٤٥.

وَادْعُ إلى بيعته"[١]، ورغم أن الأحنف بن قيس أكد على معاوية أن يمحص يزيد وبين له عظم المسؤولية الملقاة عليه في اختيار من يصلح للأمة، إلا أن الضحاك بن قيس استطاع بمكانته وقوة تأثيره أن يستمر في الدعوة ليزيد، ويبين لهم أن طاعة ولي الأمر واجبة وأن أهل العراق يُنعتون بالشقاق والنفاق[٢]، وكان معاوية قد عينه على ولاية الكوفة بعد زياد[٣]، ولم يقتصر نفوذ الضحاك في حياة معاوية فحسب، فقد خطب الضحاك على المنبر يوم وفاة معاوية وكان حينئذ صاحب شرطته[٤]، وأكفان معاوية في يده[٥]، ومما يدل على عظم مكانة الضحاك عند الخلفاء الأمويين في قادم الأيام ما حفظته لنا المصادر، فمما روي في هذا المجال: أن معاوية بن يزيد بن معاوية عندما كان مريضا أمر الضحاك بن قيس أن يصلي بالناس بدمشق[٦]. كما أن الخليفة يزيد بن عبدالملك (١٠١- ١٠٥هـ/ ٧٢٠- ٧٢٤م) عين عبدالرحمن بن الضحاك في خلافته على المدينة[٧].

وروي أن الضحاك دخل على معاوية وعنده أبو الجهم بن حذيفة، "فقال أبو الجهم: يا أبا أنس كيف ترى الدهر؟ قال: هو كما قال الأسدي:

أَبَى الْخُلْدُ أَنَّ الدَّهْرَ أَفْنَتَّ صُرُوفُهُ	رجالاً كَرَّامًا مِنْ لُوَيٍّ بْن غَالِبٍ
فَلَا تأمْنِنن الدَّهْــــرَ إنْــــي رَأَيْتِهِ	تُنَاوِلُ كِسْرَى مجذياً فِي الْكَتَائِبِ
فَلَمْ تَنْجُهُ م الْمَوْتَ حَــــزْمٌ وَحِيلَةً	وَقَدْ كَـانَ مُحْتَالًا كَثِيرَ التَّجَارِبِ

فقال أبو الجهم- وكان شريراً: كأنك أردت أمير المؤمنين بهذا، قال: كليكما أردت، فقال معاوية: كلنا يجري إلى غايةٍ وهو بالغها"[٨].

ويبدو أن سياسة معاوية في تعامله مع زعماء القبائل كانت حاضرة في مجالسه، يطرحون أراءهم بجرأة- وكأنهم أمام زعيم قبلي- وهذا ما حرص عليه معاوية. فمما جاء بالرواية

(١) المسعودي، **مروج الذهب**، ج٣، ص ٢٩؛ انظر أيضا: ابن قتيبة، **الإمامة والسياسة**، ج١، ص ١٨٨.

(٢) ابن قتيبة، **الإمامة والسياسة**، ج١، ص ١٨٨؛ المسعودي، **مروج الذهب**، ج٣، ص ٢٩.

(٣) ابن خياط، **تاريخ**، ص ٢١٩؛ ابن قتيبة، **المعارف**، ص ٣٥٣.

(٤) ابن سعد، **الطبقات**، ج٦، ص ٣٢؛ ابن أعثم الكوفي، **الفتوح**، ج٤، ص ٣٤٥.

(٥) ابن سعد، **الطبقات**، ج٦، ص ٣٢؛ البلاذري، **أنساب الأشراف**، ج٥، ص ١٦٢.

(٦) ابن سعد، **الطبقات**، ج٧، ص ٤٣.

(٧) اليعقوبي، **تاريخ**، ج٢، ص ٢٤٠.

(٨) البلاذري، **أنساب الأشراف**، ج٥، ص ٧٤.

التالية دليل على هذا التوجه السياسي. فقد حضر صحار بن عياش العبدي[1] يوما بين يدي معاوية فقال: "... يا أمير المؤمنين، ومنا أعقل أهل زمانه، اشترط على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أسلم الجنة؛ ومنا الذي قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: فيك خصلتان يحبهما الله ورسوله الأناة والحلم؛ ومنا أزهد أهل زمانه هرم بن حيان؛ ومنا أشجع أهل زمانه حكيم بن جبلة العبدي الذي قطعت رجله فرمى بها قاطعه فقتله ثم توسده، فقيل له: من بك[2] يا أبا نجيد؟ فقال: وسادي؛ ومنا أبلغ الناس في زمانه صعصعة بن صوحان؛ ومنا الحارث بن مرة، حمل في غزاةٍ على خمسمائة دابة؛ ومنا عبد الله بن سوار خرج في أربعة آلاف إلى ثغر السند ولم يوقد أحد في عسكره ناراً لطعام حتى أتى البلاد، ورأى في عسكره ناراً فسأل عنها فقيل امرأة ولدت فاتخذ لها خبيص، فأمر أن يطعم أهل العسكر كلهم الخبيص ثلاثة أيام؛ ومنا أرمى أهل زمانه عمرو بن مساور النكري؛ ومنا أيمن الناس في زمانه شعرا: الممزق، غزا النعمان بن المنذر بلاد عبد القيس فسايره وحدثه وأنشده فاعجبه فكلمه فيهم فعدل عنهم"[3].

وهذه الرواية تعبر عن جرأة زعماء القبائل في حضرة معاوية، وأثرهم عليه، بالإضافة إلى مكانتهم عنده، وتعبر أيضا عن بعض مظاهر البلاط الأموي في زمن ولاية معاوية على الشام ومن ثم خلافته، وتكشف لنا ما يمكن أن نؤيد به الرأي القائل أن معاوية كان أقرب إلى شيخ القبيلة منه إلى المَلك، وإن حرص الأمويين على إظهار شرعيتهم ونسبة المُلك إلى أنفسهم باعتبارهم خلفاء الله، إلا أنهم لا يزالون أقل أبهة وتظاهرا بشكليات الملك من العباسيين، وكان الحكم الأموي- كما أسلفنا- أقرب إلى التقاليد القبلية والعربية أكثر من الحكم العباسي فيما بعد، وبدا ذلك واضحا- من وجهة نظر أصحاب هذا الرأي- في احتفاظ الخلفاء الأمويين بالعلاقات مع الأطراف القبلية[4].

وترجح الباحثة أن تكون هذه الرواية تعود إلى زمن ولاية معاوية على الشام قبل أن يصير خليفة، وذلك لأن صحار العبدي توفي بالبصرة سنة ٤٠هـ/ ٦٦٠م[5]، ولكن لا يمنع ذكرها لأنها تعبر عن نفس السياسة التي نهجها معاوية في فترة خلافته مع زعماء القبائل، هذا فضلا عن

---

(١) هو صحار بن عياش العبدي، خطيب ومفوه، كان من شيعة عثمان، وطالب بدم عثمان شهد صفين مع معاوية، وسكن البصرة ومات بها سنة ٤٠هـ/ ٦٦٠م. انظر: الزركلي، **الأعلام**، ج٣، ص ٢٠١.

(٢) هكذا في الأصل، وربما هي ما بك.

(٣) البلاذري، **أنساب الأشراف**، ج٥، ص ١٣٠.

(٤) جب، **دراسات**، ص ٤٨.

(٥) الزركلي، **الأعلام**، ج٣، ص ٢٠١.

أن ولاية معاوية على الشام كانت امتداد لخلافته التي قامت فيما بعد في الشام على نفس الأسس التي كانت عليها ولايته هناك.

وكان لزعماء القبائل تأثير في تعيين معاوية ليزيد وليا لعهد، فكما تمت الإشارة آنفا، قال الحصين بن نمير السكوني لمعاوية يوما محفزا إياه على تعيين يزيد: "يا معاوية! والله لئن لقيت الله ولم تبايع ليزيد لتكونن مضيعا للأمة"[1]. وربما كان للحصين بن نمير مطامع من وراء هذه المشورة، ولكن هذا لا ينفي عمق تأثير الزعامات القبلية من يمانية الشام على معاوية في موضوع مهم كولاية العهد من بعده.

وحاول الخليفة معاوية من الاستفادة من دهاء روح بن زنباع الجذامي[2]، فأرسله إلى سيد جذام ناتل بن قيس[3]، وكان ناتل قد تمرد على معاوية واستولى على أموال بيت مال فلسطين[4]، ولكن محاولة معاوية باءت بالفشل، فقد استطاع ناتل أن يقنع روح بن زنباع بالتساهل في الشروط التي أرسله بها معاوية للمفاوضة مع ناتل، مقابل عشرين ألف دينار، وعندما عاد روح إلى معاوية عرف أنه خانه، وتهدده بأنه سيعاقبه عقوبة شديدة، فطلب روح السماح من معاوية ورق قلب معاوية له وسامحه[5].

وتعبر هذه الحادثة عن مكانة زعماء القبائل وتأثيرهم على سلطة الخليفة الأموي، وتصف فاضل هذا اللفتة من معاوية بالذكية، وذلك لأنه تنبه إلى ما يمكن أن يسببه الخلاف بين أبناء القبيلة الواحدة في فت عضد ناتل بن قيس، ولكن الأمر لم يتحقق كما خطط له معاوية، وأيضا يمكن القول أن روح بن زنباع قبل العرض الذي عرضه عليه ناتل بن قيس لأنه أدرك أنه لا يستطيع مواجهته، والأهم من هذا وذاك أن هذه الرواية تدل على تأثير الزعامات القبلية على

---

(١) ابن أعثم الكوفي، **الفتوح**، ج٤، ص ٣٣١ وما بعدها.

(٢) هو أحد التابعين، ينتسب إلى قبيلة جذام اليمانية الشامية، قاتل إلى جانب معاوية في حرب صفين، ثم ولاه معاوية على بعلبك، وكان يكتب لعبد الملك بن مروان إلى جانب سرجون بن منصور، توفي بين سنتي ٨٣هـ/ ٧٠٢م، و٩٠هـ/ ٧١٠م. انظر: فاضل، أزهار هادي. "روح بن زنباع وأثره في السياسة الأموية"، **مجلة التربية والعلم- العراق**، ٢٠٠٨م، مج١٥، ع٢، ص ٨٣- ١٠٥. (سيشار إليه فيما بعد: فاضل، "روح بن زنباع").

(٣) هو ناتل بن قيس بن يزيد بن حياء بن امرئ القيس الجذامي، أبوه قيس بن زيد كان سيد جذام بالشام، ووفد على الرسول- صلى الله عليه وسلم- وأسلم، شهد ناتل بن قيس صفين مع معاوية وكان على جذام ولخم، خرج على عبدالملك بن مروان فبعث إليه عبدالملك بعمرو بن سعيد ليقتله، وقتله سنة ٦٦هـ/ ٦٨٥م. انظر: ابن عساكر، **تاريخ دمشق**، ج٦١، ص ٣٧٢.

(٤) الطبري، **تاريخ**، ج٥، ص ٣٣٣.

(٥) البلاذري، **أنساب الأشراف**، ج٥، ص ٧٤.

السلطة الأموية، ودليل ذلك أن معاوية لم يقتل روح بن زنباع وسامحه لأن روح يمثل ثقل عند القبائل الشامية، وقتله سيفتح لمعاوية أبوابا هو في غنى عنها[1].

وفي أواخر خلافة معاوية جرت محاولة إلحاق نسب جذام بالقبائل المضرية، ويبدو أن الأمر استمر إلى خلافة يزيد، إذ طلب منه روح بن زنباع إلحاق نسبه بمعد نزار: "يا أمير المؤمنين ألحقنا بإخواننا، فإنا قوم معدّيون، والله ما نحن في قصب ولا من غاب[2] شجر اليمن فألحقنا بإخواننا"[3]، ولكن بنو جذام وعلى رأسهم ناتل بن قيس رفضوا هذا الأمر، وأكدوا نسبتهم إلى القبائل اليمانية، فقال زعيمهم ناتل بن قيس ليزيد: "يا أمير المؤمنين بلغني أن روح بن زنباع قام إليك، فزعم أنه من معد وذلك ما لا نعرفه ولا تعرفه ولكنا من قحطان يسعنا ما وسع قحطان، ويعجزنا ما عجز عنه"[4].

وهذا الأمر يبدو أنه جاء من باب تحقيق التوازنات القبلية، وهو المبدأ الذي سار عليه بعض الخلفاء؛ فالقبائل اليمانية في الشام كانت أعدادها كبيرة، ونفوذها يتعاظم يوما بعد يوم أمام القيسية الشامية، وهذا التصرف أيضا ربما للحد من تعاظم القيسية في الجزيرة الفراتية التي كانت تشكل خطرا على الخلافة الأموية، ونظرا لأن جذام لا تربطها أية رابطة عصبية بقيسية الجزيرة، فمن المنطقي والمحتمل أن تكون هذه المحاولة لضم جذام لقيس بمباركة الخلفاء الأمويين ستحقق التوازن في الشام، ولن تشكل خطر على الدولة الأموية من قبل قيسية الجزيرة بسبب انضمام جذام للتكتل القيسي[5].

ومن الإجراءات التي قام بها معاوية؛ بهدف تحقيق التوازن بين التكتلات القبلية أنه عمل على إيجاد نوع جديد من التنظيم؛ وذلك سعيا لخدمة مصالح الدولة[6]، فقد أقطع جماعة من كندة وهم العثمانية الذين رحلوا عن الكوفة حين قدم إليها علي، قطائع في نصيبين[7]، وأقطع النمرانية

---

(١) خريسات، محمد عبد القادر. "دور جذام في الحياة العامة في بلاد الشام منذ الفتح الإسلامي حتى سقوط الدولة الأموية". **دراسات العلوم الإنسانية- الأردن،** ١٩٨٩م، مج١٦، ع٣، ص ٧- ٢٩. (سيشار إليه فيما بعد: خريسات، "دور جذام")؛ فاضل، "روح بن زنباع"، مج١٥، ع٢، ص ٨٣- ١٠٥.

(٢) ربما المقصود غاف أو رعان اليمن أي جبالها. انظر: ابن عساكر، **تاريخ دمشق،** ج٦١، ص ٣٧٦.

(٣) **المصدر نفسه،** ج٦١، ص ٣٧٦.

(٤) **المصدر نفسه،** ج٦١، ص ٣٧٦؛ فاضل، "روح بن زنباع"، مج١٥، ع٢، ص ٨٣- ١٠٥.

(٥) فاضل، "روح بن زنباع"، مج١٥، ع٢، ص ٨٣- ١٠٥.

(٦) جب، **دراسات،** ص ٤٦؛ كاتبي، غيداء خزنة. **الخراج منذ الفتح الإسلامي حتى أواسط القرن الثالث الهجري.** مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٧م، ص ٣٠٨. (سيشار إليه فيما بعد: كاتبي، **الخراج**).

(٧) الحموي، **معجم البلدان،** ج٥، ص ٢٨٨؛ ياسين، **أرض الصوافي،** ص ٩٦.

وهي قرية قرب الغوطة لنمران بن يزيد بن عبيد المذحجي وقيل أقطعها نمران بن يزيد بن عبدالرحمن فنسبت إليه[١]، وأرضا قرب دمشق لزمل بن عمرو العبدري، وقرية في الشام لبني حرب بن خزيمة[٢]، وأقطع كلب قطائع في المزة[٣] وأنزلهم فيها، وكذلك أقطع أسامة بن زيد التنوخي وعشيرته قطائع في المزة أيضا، بالإضافة إلى أنه أقطع قريش وأشراف العرب إقطاعات من أرض الصوافي[٤] وهذه سابقة لم يسبقه إليها حتى عثمان بن عفان في الفترات الحرجة للدولة[٥]، وهذا النوع من التنظيم يعد من التنظيمات التي لجأت إليها الدولة لضرورات سياسية[٦].

ووفد قوم من الأنصار على معاوية، فلما دخلوا عليه، قال لهم: "يا معشر الأنصار، قريش لكم خير منكم لها، فإن يك ذلك لقتلى أحد فقد نلتم يوم بدر مثلهم، وإن يكن للأثرة[٧] فوالله ما تركتم لنا إلى صلتكم سبيلاً، لقد خذلتم عثمان يوم الدار وقتلتم أنصاره يوم الجمل وصليتم[٨] بالأمر يوم صفين"[٩].

---

(١) الحموي، **معجم البلدان**، ج٥، ص ٣٠٤؛ ابن عبد الحق، عبد المؤمن القطيعي البغدادي (ت ٧٣٩هـ/ ١٣٣٨م). **مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع.** تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٢م، ج٣، ص ١٣٩٠. (سيشار إليه فيما بعد: ابن عبد الحق، **مراصد الاطلاع**)؛ كاتبي، **الخراج**، ص ٣٠٨.

(٢) بنو حرب بن خزيمة بن لؤي بن غالب وهم بطن من قريش. انظر: البلاذري، **أنساب الأشراف**، ج١، ص ٤٤؛ كاتبي، **الخراج**، ص ٣٠٨.

(٣) المزة هي قرية كبيرة بالقرب من دمشق، وبها قبر دحية الكلبي صاحب رسول الله، ويقال لها مزة كلب. انظر: الحموي، **معجم البلدان**، ج٥، ص ١٢٢.

(٤) الصوافي أو الصفية وجمعها الصفايا هو ما يصطفيه الخليفة أو القائد من المغنم لنفسه قبل القسمة، وقيل الصفايا ما يُنقل والقطائع ما لا يُنقل. والصوافي هي كل أرض لم يكن لها مالك عند الفتح، فاعتبرت فيئا للمقاتلة، ويدخل فيها أيضا أراضي الأسر الحاكمة والنبلاء وأراضي كل من قُتل أو هرب في الحرب، بالإضافة إلى أراضي البريد والأراضي المخصصة لدور العبادة وبيوت النار. انظر: الزبيدي، السيد محمد مرتضى الحسيني (ت ١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م). **تاج العروس من جواهر القاموس.** تحقيق: عبد الصبور شاهين، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الكويت، ٢٠٠١م، ج٣٨، ص ٤٢٨. (سيشار إليه فيما بعد: الزبيدي، **تاج العروس**)؛ كاتبي، **الخراج**، ص ٢٩٥.

(٥) ابن عساكر، **تاريخ دمشق**، ج٢، ص ٢٠٦.

(٦) كاتبي، **الخراج**، ص ٣٠٨.

(٧) الأثرة بالضم تعني المكرمة المتوارثة. انظر: الفيروز أبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ/ ١٤١٤م). **القاموس المحيط.** تحقيق: أبو الوفا نصر الهوريني، دار الكتب العلمية، بيروت، د ت، ج٢، ص ٤. (سيشار إليه فيما بعد: الفيروز أبادي، **القاموس المحيط**).

(٨) صلي فلان بالأمر أي قاسى وعانى من شدته. انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مج٤، ص ٢٤٩٢.

(٩) البلاذري، **أنساب الأشراف**، ج٥، ص ٦٢؛ ابن عساكر، **تاريخ دمشق**، ج، ٥٩، ص ١٨١.

وهذه القول من معاوية يعبر به عن فضل قريش على الأنصار، وربما له أغراض خفية كتأكيد شرعيتهم وغيره، ولكن لا يهمنا في هذا المقام منه إلا دور الزعامات القبلية في التأثير على سلطة الخليفة، فقد رد قيس بن سعد[١] على معاوية قائلا: "أما ما قلت من أن قريشاً خير لنا منا لهم فإن يفعلوا فقد أسكناهم الدار وقاسمناهم الأموال وبذلنا لهم الدماء ودفعنا عنهم الأعداء، وأنت زعمت سيد قريش فهل لنا عندك جزاء؟ وأما قولك إن يكن ذلك لقتلى أحد فإن قتيلنا شهيد وحينا ثائر، وأما ذكرك الأثرة فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنا بالصبر عليها، وأما خذلان عثمان فإن الأمر في عثمان كان الأجفلى[٢]، وأما قتل أنصاره يوم الجمل فما لا نعتذر منه وبودك أن الجميع اصطلموا[٣]، وأما قولك إنا صلينا بالأمر يوم صفين فإنا كنا مع رجل لم نأله خيراً"[٤].

ويبدو من الرواية الآنفة أن رد قيس بن سعد كان مسكتا لمعاوية، وذلك لأن معاوية بعد أن خرجوا القوم قال: "لله درهم فوالله ما فرغ كلامه حتى ضاق المجلس علي وما كان فيكم رجل يجيبه؛ ثم ترضاهم ووصلهم"[٥]. وروي أن معاوية قال لقيس بن سعد بن عبادة: "والله يا قيس لقد كنت أكره أن تنجلي هذه الغمة وتنكشف الهبوة وأنت حي، فقال قيس: وأنا والله يا معاوية قد كنت أكره أن تنجلي وأنت أمير المؤمنين"[٦].

وعندما توفي معاوية، قام الوليد بن عتبة بن أبي سفيان خطيبا بالمدينة- وكان واليها- ينعي معاوية ويدعو إلى بيعة يزيد، فلما رأى روح بن زنباع إبطاءهم قال: "أيها الناس، إنا لا ندعوكم إلى لخم وجذام وكلب، ولكنا ندعوكم إلى قريش ومن جعل الله له هذا الأمر واختصه به،

---

(١) هو قيس بن سعد بن عبادة الخزرجي الأنصاري، توفي في آخر خلافة معاوية. انظر: الذهبي، **تاريخ الإسلام**، ج٤، ص ٢٨٩.

(٢) أي الجماعة من الناس والجماعة من كل شيء. انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مج١، ص ٦٤٣.

(٣) أي بودك أن الجميع أبيدوا واستؤصلوا. انظر: **المصدر نفسه**، مج٤، ص ٣٤٨٨.

(٤) البلاذري، **أنساب الأشراف**، ج٥، ص ٦٢؛ التوحيدي، أبي حيان (ت ٤١٤هـ/ ١٠٢٣م). **الإمتاع والمؤانسة**. تحقيق: عبد المنعم فريد، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ٢٠١٦م، ج٢، ص ٣٩٦. (سيشار إليه فيما بعد: التوحيدي، **الإمتاع والمؤانسة**).

(٥) البلاذري، **أنساب الأشراف**، ج٥، ص ٦٢.

(٦) **المصدر نفسه**، ج٥، ص ٧٤.

وهو يزيد بن معاوية، ونحن أبناء الطعن والطاعون، وفُضالات الموت، وعندنا إن أجبتم وأطعتم من المعونة والعائدة ما شئتهم"[١].

ويرى الدوري أيضا أن نظرة الخليفة إلى سلطته باعتبارها تستند إلى قوة القبيلة والتقاليد العربية والأعراف القبلية في تقريب شيوخ القبائل ومراعاة شعور الزعامات القبلية، كانت أحد أسباب إدخال الوراثة في الخلافة، وبالتالي فيمكن من خلال ذلك إدراك حجم تأثير الزعامات القبلية في سلطة الخليفة في الفترة موضوع الدراسة[٢].

وقد أشار شمر بن ذي الجوشن[٣] على ابن زياد في سنة ٦١هـ/ ٦٨١م بعدم مصالحة الحسين وإعطائه ما طلب، وذلك لأن الحسين عندما تفاوض معه عمر بن سعد، طلب منه أن يحقق له إحدى ثلاث: إما أن يتركه يرجع إلى المكان الذي أتى منه، أو أن يسيّره إلى أي ثغر من ثغور المسلمين فيكون رجلاً من المسلمين له ما لهم، وعليه ما عليهم، أو أن يأتي يزيد فيضع يده في يده، فيرى فيما بينه وبينه رأيه، فما كان من شمر بن ذي الجوشن إلا شكك في نوايا عمر بن سعد "والله لقد بلغني أن حسيناً وعمر بن سعد يجلسان بين العسكرين فيتحدثان عامة الليل"[٤]، وجعل ابن زياد يعدل عن القبول بالصلح مع الحسين[٥].

وفي حوادث ٦٤هـ/ ٦٨٤م، رُوي أن المختار بن عبيد الله الثقفي كان في الحبس، فبعث إلى زائدة بن قدامة[٦]، يطلبه أن يسير إلى عبد الله بن عمر بالمدينة فيسأله أن يشفع له عند يزيد بن معاوية، فيكتب إلى عبيد الله بن زياد بتخلية سبيله، وكانت صفية أخت المختار زوج عبد الله بن عمر، فبكت وجزعت، فلما رأى ذلك عبد الله بن عمر كتب مع زائدة إلى يزيد بن معاوية

---

(١) الجاحظ، أبي عثمان عمرو بن بحر البصري (ت ٢٥٥هـ/ ٨٦٨م). **البيان والتبيين**. تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، د ت، ج١، ص ٣٩٢. (سيشار إليه فيما بعد: الجاحظ، **البيان والتبيين**).

(٢) الدوري، **النظم الإسلامية**، ص ٤٣.

(٣) شمر بن ذي الجوشن بن قرط الضبابي الكلابي، من قتلة الحسين بن علي، شهد صفين مع علي، ثم أقام بالكوفة إلى أن كانت حادثة مقتل الحسين، أرسله عبيدالله بن زياد مع آخرين إلى يزيد بن معاوية في الشام يحملون إليه رأس الحسين، ولما قام المختار الثقفي بتتبع قتلة الحسين، استطاع أحد رجاله أن يقتل شمر، ورحل بعض أبنائه إلى المغرب والأندلس، واشتهر منهم الصميل بن حاتم بن شمر بن ذي الجوشن. انظر: الزركلي، **الأعلام**، ج٣، ص ١٧٥.

(٤) الطبري، **تاريخ**، ج٥، ص ٤١٤.

(٥) ابن عساكر، **تاريخ دمشق**، ج٤٥، ص ٥١.

(٦) زائدة بن قدامة الثقفي، من قادة أهل الكوفة وشجعانهم، وهو ابن عم المختار الثقفي، توفي سنة ٧٦هـ/ ٦٩٥م. انظر: الزركلي، **الأعلام**، ج٣، ص ٤٠.

يسأله أن يخلي سبيل المختار، فقال يزيد: "يشفع أبو عبد الرحمن، وأهل ذلك هو"[1]، وكتب إلى ابن زياد بإطلاق سراح المختار[2].

ومما يدل على تأثير الزعامات القبلية على سلطات الخلفاء، أن مروان بن الحكم بويع بالجابية سنة ٦٤هـ/ ٦٨٤م بتأثير شيوخ القبائل الشامية، فقد ذكر الطبري قول "أهل الأردن وغيرهم لمروان: أنت شيخٌ كبير، وابن يزيد غلام وابن الزبير كهل، وإنما يقرع الحديد بعضه ببعض، فلا تباره بهذا الغلام، وارم بنحرك في نحره، ونحن نبايعك، ابسط يدك، فبسطها، فبايعوه"[3].

وكان الحصين بن نمير السكوني قد اشترط على مروان أن يُنزل البلقاء من كان بالشام من كندة، وأن يجعلها لهم مأكلةً، فأعطاه ذلك[4].

وكان الضحاك بن قيس الفهري وهو أحد شيوخ القبائل في الشام قد بايع لابن الزبير وولاه ابن الزبير على دمشق[5]، وكذلك ناتل بن قيس بفلسطين[6]، وزفر بن الحارث الكلابي[7] بقنسرين، والنعمان بن بشير بحمص[8]، وهذا الانحياز لابن الزبير من قبل تلك الزعامات التي تمثل ثقل قبلي في الشام يعد أحد القوى المؤثرة على الخلافة الأموية.

أضف إلى ذلك أن شخصيات أخرى كحسان بن مالك بن بحدل الكلبي الذي كان مواليا للأمويين، وكان معاوية يصله ويمنحه امتيازات، فقد أقطعه قصر البحادلة بدمشق[9]، وكان يزيد

---

(١) الطبري، **تاريخ**، ج٥، ص ٥٧٠.

(٢) ابن أعثم الكوفي، **الفتوح**، ج٥، ص ١٤٥.

(٣) الطبري، **تاريخ**، ج٥، ص ٥٣٤؛ ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج٨، ص ٣٣٩.

(٤) الطبري، **تاريخ**، ج٥، ص ٥٤٤؛ ابن مسكويه، **تجارب الأمم**، ج٢، ص ١٠٢.

(٥) ابن سعد، **الطبقات**، ج٧، ص ٤٣.

(٦) اليعقوبي، **تاريخ**، ج٢، ص ١٧٢.

(٧) هو أبو الهذيل زفر بن الحارث بن عبد عمرو بن معاذ الكلابي، كان كبير قيس في زمانه، شهد صفين مع معاوية أميرا على قنسرين، وشهد وقعة راهط مع الضحاك بن قيس الفهري، ولما قُتل الضحاك هرب إلى قرقيسيا عند مصب نهر الفرات، ولم يزل متحصنا بها إلى أن توفي سنة ٧٥هـ/ ٦٩٤م. انظر: التوحيدي، **الإمتاع والمؤانسة**، ج٢، ص ٣٩٦؛ البغدادي، عبد القادر بن عمر (ت ١٠٩٣هـ/ ١٦٨٢م). **خزانة الأدب.** تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٦م، مج٢، ص ٣٧٢. (سيشار إليه فيما بعد: البغدادي، **خزانة الأدب**).

(٨) البلاذري، **أنساب الأشراف**، ج٦، ص ٢٥٩؛ ابن الجوزي، **المنتظم**، ج٦، ص ٢٧؛ ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج٨، ص ٣٣٧.

(٩) ابن عساكر، **تاريخ دمشق**، ج٤، ص ١٤٨.

بن معاوية قد وكله أن يبايع لابنه معاوية بن يزيد[1]، وكان قد ولي الأردن ليزيد وظلت بيده حتى مؤتمر الجابية، ودعا ابن بحدل ومعه أهل الأردن إلى ابن أخته خالد بن يزيد بن معاوية[2]، وفي الوقت الذي بايع فيه ناتل بن قيس الجذامي لابن الزبير، بعث إلى حسان وهدده إن لم يخرج من بلاد قومه بنو جذام فإنه سيقاتله، مما جعل ابن بحدل يدرك أنه لا قوة له به وبقومه من جذام، فخرج إلى الأردن فنزل طبرية[3]. ومهما اختلفت الشخصيات التي كانت تؤيدها الأطراف القبلية، إلا أن الأهمية هنا تكمن في الكشف عن تأثير الزعامات القبلية على سلطات الخلفاء في العصر الأموي.

ثانيا: بطانة الخليفة وحاشيته:

تمثل بطانة الخليفة وحاشيته فئة مهمة من فئات البلاط، فهي تعد أحد الأركان التي تؤثر بصورة مباشرة في صلاح الخليفة ونظام الحكم برمته والعكس صحيح، وذلك نظرا للارتباط الوثيق، والقرب الشديد لهذه الفئة بالخليفة، وفي ذلك يقول الأحنف بن قيس: "من فسدت بطانته كان كمن غصّ بالماء، ومن غص بالماء فلا مساغ له، ومن خانه ثقاته فقد أُتي من مأمنه"[4].

وقال عمرو بن العاص في ذلك أيضا: "إن السلطان إذا كان صالحا ووزراؤه وزراء سوء امتنع خيره من الناس ولم يستطع أحد أن ينتفع منه بمنفعة. وشبهوا ذلك بالماء الصافي يكون فيه التمساح، فلا يستطيع أحد أن يدخله وإن كان محتاجا إليه"[5].

ومن الحوادث التي تروي تأثير بطانة الخليفة في سلطاته وقراراته أن عمرو بن العاص كلم معاوية في أن يأمر الحسن أن يقوم ويخطب بالناس، في اجتماعهم بالكوفة سنة ٤١هـ/ ٦٦٠م، ففعل معاوية ذلك رغم كراهته، وخطب معاوية، ثم نادى الحسن بن علي، فقال: قم يا حسن فكلم الناس، فكان مما قال: "أما بعد، يا أيها الناس، فإن الله قد هداكم بأولنا، وحقن دماءكم بآخرنا، وإن لهذا الأمر مدة، والدنيا دول، وإن الله تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم: {وإن

---

(١) البلاذري، **أنساب الأشراف**، ج٥، ص ٣٨٠.

(٢) ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج٨، ص ٣٣٧.

(٣) البلاذري، **أنساب الأشراف**، ج٦، ص ٢٥٩.

(٤) ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ج١، ص ٣٢.

(٥) **المصدر نفسه**، ج١، ص ٣٢.

أدري لعله فتنةٌ لكم ومتاعٌ إلى حين}[1]؛ فلما قالها قال معاوية: اجلس، فلم يزل ضرماً على عمرو، وقال: هذا من رأيك"[2].

ولأن نساء الخليفة وأهل بيته يعتبرون من بطانته وحاشيته والمقربين إليه، فقد أثرت نساء الخلفاء الأمويين سواء الزوجات منهن أو الجواري أو غيرهن على قرارات الخلفاء، ويمكن الاستدلال على تأثير بطانة الخليفة على سلطاته مما ورد في وصية معاوية ليزيد عندما حضرته الوفاة: "فإذا أردت أمرا فادع أهل السن والتجربة من أهل صنائعي والانقطاع إلي، فشاورهم ثم لا تخالفهم، وإياك والاستبداد برأيك، فإن الرأي ليس في صدر واحد. أصدق من أشار عليك حتى يجبيك على ما يعرف، ثم أطعه فيما أشار به، واخزن ذلك عن نسائك وخدمك"[3]، وهذا دليل واضح على إدراك الخليفة معاوية مدى تأثير النساء والخدم على الخلفاء، وبالتالي فإنه لم تفته هذه الناحية في وصيته لابنه.

روي أن عمر بن سعد بن أبي وقاص كان قد ولي خراج كورة همذان من قبل معاوية، وكتب له معاوية كتاباً بأنه لا سلطان لأحد عليه غيره، واستمر على خراج همذان حتى جاء عبد الرحمن ابن أم الحكم[4] واليا على الكوفة، فبقي على عمر بن سعد بعض المال، فلما جاء ابن أم الحكم، أخذ عمر المال وقال له: إنه لا سلطان لك علي، فلم يرض عبد الرحمن بذلك، واجتمعا عند معاوية فيما بعد وجرى بينهما كلام، واستعان عمر بن سعد بمعاوية على ابن أم الحكم، وتظلم منه في ولايته الكوفة حتى تشاتما، "فقال عمر: إنما كانت أم الحكم مجنونة فلم يرغب فيها رجال قريش، فزوجها أبو سفيان أباك، فنادت أم الحكم: لا وصلتك يا معاوية رحم، فقال: وما أصنع بك؟ ابنك جنى هذا عليك"[5].

وكان عبد الرحمن بن أم الحكم (ابن أخت معاوية) واليا لمعاوية على الكوفة، فأساء السيرة فيها، وطردوه منها سنة ٥٨هـ/ ٦٧٨م، فلحق بمعاوية وهو خاله، فولاه معاوية مصر، وبلغ معاوية بن حديج السكوني الخبر، فخرج إلى الخليفة معاوية وقابل ابن أم الحكم بالقرب من مصر، فقال له: ارجع إلى خالك فلعمري لا تسير فينا سيرتك في إخواننا من أهل الكوفة. فرجع

(١) القرآن الكريم، **سورة الأنبياء:** الآية ١١١.

(٢) الطبري، **تاريخ**، ج٥، ص ١٦٣.

(٣) ابن سعد، **الطبقات**، ج٦، ص ٢٩.

(٤) أم الحكم بنت أبي سفيان بن حرب بن أمية، وأمها هند بنت عتبة، تزوجها عبدالله بن عثمان بن ربيعة الثقفي، فولدت له عبد الرحمن، فكان يقال له: ابن أم الحكم. انظر: **المصدر نفسه**، ج١٠، ص ٢٢٨.

(٥) البلاذري، **أنساب الأشراف**، ج٥، ص ١٤٤.

إلى معاوية، ثم أقبل معاوية بن حُديج وافدا على معاوية، فدخل عليه وعنده أم الحكم[1]، فقالت: "من هذا يا أمير المؤمنين؟ قال: بخٍ! هذا معاوية بن حديج؛ قالت: لا مرحباً به! تسمع بالمعيدي خيرٌ من أن تراه؛ فقال: على رسلك يا أم الحكم! أما والله لقد تزوجت فما أكرمت، وولدت فما أنجبت، أردت أن يلي ابنك الفاسق علينا فيسير فينا كما سار في إخواننا من أهل الكوفة؛ ما كان الله ليريه ذلك، ولو فعل ذلك لضربناه ضرباً يطأطئ منه، وإن كره ذلك الجالس. فالتفت إليها معاوية، فقال: كفى"[2].

وهذا يعكس الدور المبكر للمرأة في التدخل والتأثير في شؤون الحكم والرئاسة وأمور الولايات، فتدخل أم الحكم أخت معاوية في سياسة معاوية وسلطاته، كان لأجل الذود عن ابنها وتلميع صورته وذم من أشار إليه بأي تهمة تسيء إليه، وإن كان ذلك يخالف رأي معاوية، إلا أنها لم تهتم لذلك في سبيل تحقيق مبتغاها بخصوص ابنها.

وقيل أن فاختة بنت قرظة[3] امرأة معاوية لامته على حلمه ومصانعته للناس وهو قد صار ملكا عليهم وغلب أمرهم، فقال معاوية: إن في العرب بقية بعد، ولولا ذلك لجعلت عاليها سافلها، ثم أمر بها أن تحتجب وأدخل عليه بعض شيوخ العرب، فدخل عليه رجلاً من قيس يقال له الحارث، فقال له معاوية: "يا حويرث، إيه أنت الذي طعنت في الخلافة وتنقصت أهلها؟ والله لقد هممت أن أجعلك نكالاً، فقال: يا معاوية إنما دعوتني لهذا؟ والله إن ساعدي لشديد، وإن رمحي لمديد، وإن سيفي لحديد، وإن جوابي لعتيد، ولئن لم تأخذ ما أعطيت بشكر لتنزعن عما نكره بصغر، فقال: أخرجوه عني، فأخرج، فقالت فاختة: ما أجرأ هذا وأقوى قلبه؟! فقال معاوية: ما ذاك إلا لإدلاله بطاعة قومه له"[4].

وتكرر المشهد فقد أمر معاوية حاجبه بأن يأذن لرجل من ربيعة يقال له جارية بالدخول عليه، وفاختة تسمع، فقال له معاوية، "إيه يا جويرية، أنت الذي بلغني عنك تخبيب للجند وقلة من الشكر؟ فقال: وعلام نشكر؟ ما تعطي إلا مداراةً ولا تحلم إلا مصانعةً، فاجهد جهدك، فإن ورائي من ربيعة ركناً شديداً لم تصدا أدرعهم مذ جلوها، ولا كلت سيوفهم مذ شحذوها، فقال: أخرجوه، ثم أمر معاوية حاجبه فأدخل إليه رجلاً من أهل اليمن يقال له عبد الله، فقال له: إيه يا عبيد السوء،

---

(١) ابن الجوزي، **المنتظم**، ج٥، ص ٢٩٢.

(٢) الطبري، **تاريخ**، ج٥، ص ٣١٢.

(٣) فاختة بنت قرظة القرشية، زوج معاوية بن أبي سفيان، غزت معه قبرص في خلافة عثمان سنة ٢٥هـ/ ٦٤٥م. انظر: ابن عساكر، **تاريخ دمشق**، ج٧٠، ص ٦.

(٤) البلاذري، **أنساب الأشراف**، ج٥، ص ١١٦.

ألحقتك بالأقوام وأطلقت لسانك بالكلام، ثم يبلغني عنك ما يبلغني من سوء الإرجاف؟! لقد هممت أن أخرجك وأنت عبرة لأهل الشام، فقال: أيا معاوية ألهذا دعوتني، ثم صغرت اسمي ولم تنسبني إلى أبي؟ وإنما سميت معاوية باسم كلبة عاوت الكلاب، فاربع على ظلعك فذلك خير لك، فقال لحاجبه: أخرجه، فقالت فاختة: صانع الناس بجهدك، وسِسهم برفقك وحلمك، فأخزى الله من لامك"[1].

ويتضح من هذه الرواية أن فاختة أرادت أن تشير على معاوية بعدم بذل ماله وجهد في مصانعة العرب مادام قد ملكهم، وصار عليهم قادر، إلا أن تأثير هذا الرأي على الخليفة جعله يريها ما يمكن أن يصدر من الناس في حالة لم يصانهم ولم يداريهم ويستعمل معهم أساليب الحلم والمهادنة والمداراة، وهذا يذكرنا بقول معاوية: "لو كانت بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت، قيل: وكيف يا أمير المؤمنين؟ قال: إن جبذوها[2] أرسلتها، وإن خلوها جبذتها"[3]، وما سبق الإشارة إليه من رواية عن ابن عباس أنه قال: "قد علمت بما كان معاوية يغلب الناس، كان إذا طاروا وقع وإذا وقعوا طار، وإذا قعدوا قام وإذا قاموا قعد"[4].

ومما سبق يمكن القول أن فاختة زوجة الخليفة تدخلت في طريقة حكم زوجها وأعطت رأيها في ذلك، وكذلك فإن معاوية الخليفة أشرك زوجته في الحكم نوعا ما- وجهة نظر بثينة بن حسين- وتأكيد ذلك أنه حاول إقناعها بوجهة نظره، وأطلعها بصورة مباشرة على طبيعة العلاقات في المجتمع الأموي، والوسائل التي يجب اتباعها[5].

وذكر ابن عساكر أن جارية من جواري معاوية كانت تغني له في مجلسه، وهي لابنة قرظة امرأته عين لها على معاوية[6]. وتدخلت فاختة أيضا لدى الخليفة لمصلحة الشعراء الذين يمدحون ابنها عبدالله بن معاوية، وطلبت من معاوية أن يكرمهم ويجود عليهم[7]. وبلغ من تأثير فاختة على معاوية في اتخاذ بعض القرارات ما جعل عمرا بن العاص يعيّر معاوية بأن زوجته

---

(١) البلاذري، **أنساب الأشراف**، ج٥، ص ١١٦.

(٢) جبذوها أي جذبوها وشدوها. انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مج٦، ص ٥٣٤.

(٣) البلاذري، **أنساب الأشراف**، ج٥، ص ٩٣.

(٤) **المصدر نفسه**، ج٥، ص ٩٣.

(٥) بن حسين، **الدولة الأموية**، ص ٣٠٤.

(٦) ابن عساكر، **تاريخ دمشق**، ج٧٠، ص ٧.

(٧) البلاذري، **أنساب الأشراف**، ج٥، ص ٢٩٦.

غلبته، فأجابه معاوية بـ: "إنهن يغلبن الكرام ويغلبهنّ اللئام"[1]. وهذا الرد من معاوية يعد إقرار منه بتأثير الحاشية على سلطات الخليفة الأموي.

وفي رواية أن معاوية عزل مروان بن الحكم عن المدينة بعد أن كتبت إليه رملة ابنته، وكان زوجها عمرو بن عثمان، فكتبت إلى أبيها تشكو آل أبي العاص، "وأنهم يتكبرون عليّ حتى وددت أن ابني كان منبوذا في البحر"، فعزل معاوية مروان عن المدينة[2].

وقيل أن رملة سمعت مروان بن الحكم يحرض زوجها على أبيها، وأن معاوية أخذ الخلافة باسم عثمان، ويحرضه على المطالبة بحقه، وأن بني أبي العاص أكثر عددا وفضلا من بني حرب، فلما خرج عمرو بن عثمان إلى الحج، قدمت رملة على أبيها في الشام وأخبرته الخبر[3]. ومن هذه الرواية يبدو تأثير حاشية الخليفة ودور النساء في التأثير على سلطاته وقراراته وعلاقاته مع الولاة والأمراء.

وفي تأثير النساء والحاشية أيضا ما يمكن ملاحظته من بعض المناصب المرتبطة بعلاقات المصاهرة والقرابة، فقد صاهر معاوية بن أبي سفيان سعيد بن العاص[4] وولاه[5]، وعلى الرغم من ذلك إلا أن المصاهرات لم تكن أيضا عائق أمام معاوية إذا اقتضت المصلحة السياسية خلاف ذلك، ولم تكن المصاهرة عند معاوية أساسا في اختيار الوالي، بل إن معاوية لا يتوانى عن تقريب من يراه مناسبا ومواليا له من الرجال لتوليته ومصاهرته[6]، فقد عزل سعيد بن العاص سنة ٥٤هـ/ ٦٧٣م[7]، وحرّض بينه وبين مروان بن الحكم للإيقاع بينهما كما تمت

(١) البلاذري، **أنساب الأشراف**، ج٥، ص ٤١.

(٢) ابن عساكر، **تاريخ دمشق**، ج٦٩، ص ١٥٥.

(٣) **المصدر نفسه**، ج٦٩، ص ١٥٥.

(٤) تزوج يزيد بن معاوية من رملة بنت سعيد، وتزوج خالد بن معاوية من آمنة بنت سعيد، وتزوج عبدالله بن معاوية من أم عثمان بنت سعيد، ثم من أم موسى بنت عمرو بن سعيد، وتزوج عبد الرحمن بن يزيد من مريم بنت سعيد. انظر: الزبيري، **نسب قريش**، ص ١٣٠ و١٨٣؛ الزويد، "مصاهرات بني أمية"، مج٩، ع٢، ص ٢٧- ٤١.

(٥) الطبري، **تاريخ**، ج٥، ص ٢٩٢.

(٦) البطاينة، "سياسة بني أمية"، مج١٩، ع٧- ٨، ص ٤٥١- ٤٦٥؛ الزويد، "مصاهرات بني أمية"، مج٩، ع٢، ص ٢٧- ٤١.

(٧) ابن خياط، **تاريخ**، ص ٢٢٢.

الإشارة آنفا. ومن أصهار معاوية أيضا سعيد بن عثمان بن عفان الذي كان زوجا لأخته رملة بنت أبي سفيان، وولاه معاوية خراسان سنة ٥٦هـ/ ٦٧٥م، ثم عزله عنها سنة ٥٧هـ/ ٦٧٦م(١).

ولعل من أهم نماذج الزيجات والمصاهرات التي يُشار إليها بالبنان في تأثير النساء على سلطة الخليفة هو نموذج زواج معاوية من ميسون بنت بحدل، والذي ترتب عليه أن صارت كلب أحد العصبيات التي أستند عليها خلفاء الفرع السفياني(٢)- كما تمت الإشارة آنفا- فقد كان لقبيلة كلب مواقف مساندة لمعاوية وتأثير كبير عليه(٣)، وهذا يعطي دلالة واضحة على التأثير الكبير لبطانة الخليفة على سلطته، ونتاج ذلك أيضا تأثير بعض الشخصيات الكلبية على الخلافة الأموية كحسان بن مالك بن بحدل الكلبي(٤).

واستمر دور قبيلة كلب وعلاقتها بالدولة الأموية كذلك في عهد يزيد بن معاوية الذي حرص على الحفاظ على العلاقات مع أخواله بنو كلب- كما أشرنا سابقا- فقد تزوج منهم، وقرّب خاله حسان(٥)، حتى أن أحد شعراء كلب عيّر حسان بأنه نال المجد بميسون وليس بابن بحدل، وأشرنا سابقا إلى أن يزيد بن معاوية أقطع خاله سعيد بن مالك بن بحدل إقليم بيت الآبار من غوطة دمشق(٦)، وأبقى خاله حسان على منصب والي جند فلسطين(٧)، وعيّن حميد بن حريث بن بحدل على شرطته(٨)، وهذا كله يعبر عن دور النساء في سلطات الخليفة.

ومن تأثير بطانة الخليفة على سلطته وقراراته خصوصا في مسألة التعيين والعزل، وتقريب الأقرب فالأقرب، ما جاء في أن معاوية ولى عنبسة بن أبي سفيان الطائف، ثم عزله عنها وولي عليها عتبة بن أبي سفيان، فعاتبه عنبسة في ذلك: "يا أمير المؤمنين والله ما نزعتني

---

(١) ابن خياط، **تاريخ**، ص ٢٢٤.

(٢) الزويد، "مصاهرات بني أمية"، مج٩، ع٢، ص ٢٧- ٤١.

(٣) ابن عساكر، **تاريخ دمشق**، ج٥٧، ص ١٣٢.

(٤) الطبري، **تاريخ**، ج٥، ص ٥٣١.

(٥) راجع: ص ١١٤ السطر الثاني من الأسفل؛ انظر أيضا: البلاذري، **أنساب الأشراف**، ج٥، ص ١٥٧.

(٦) الحموي، **معجم البلدان**، ج١، ص ٥٢٠.

(٧) الطبري، **تاريخ**، ج٥، ص ٥٣١.

(٨) ابن عساكر، **تاريخ دمشق**، ج١٥، ص ٢٧٧.

عن ضعف ولا خيانة فقال معاوية: إن عتبة ابن هند"[١]، وكان عنبسة أمه ابنة أبي أزيهر، وعتبة أمه هند بنت عتبة؛ لذا قرب معاوية أخيه ابن أمه على أخيه عنبسة.

ولم يتوقف الأمر عند معاوية، فقد أشرك يزيد بن معاوية اثنين من أصهاره معه في الإدارة، فعيّن على سجستان سنة ٥٩هـ/ ٦٧٨م[٢]، عباد بن زياد بن أبي سفيان زوج ابنتيه على التوالي رملة ثم أم عبد الرحمن، وكذلك عين صهره عثمان بن محمد بن أبي سفيان زوج ابنته أم عثمان إمرة الحج سنة ٥٩هـ/ ٦٧٨م[٣]، ومن ثم أصبح والي المدينة سنة ٦٢هـ/ ٦٨١م[٤]، وكذلك عين على المدينة عمرو بن سعيد وكان زوج أخته رملة بنت معاوية وأخو زوجته رملة بنت سعيد[٥]، وكانت زوجة عمرو بن سعيد أيضا من أخوال يزيد بنو كلب[٦]. وما لبث يزيد أن عزل عمرو بن سعيد وعين الوليد بن عتبة بدلا عنه، وكان الوليد بن عتبة أخو عتبة زوج رملة ابنة يزيد[٧].

وعندما قتل الحسين بن علي في موقعة كربلاء الشهيرة سنة ٦١هـ/ ٦٨١م، استعظمت زوج يزيد فاختة (أم كلثوم) بنت عبدالله بن عامر بن كريز قتل الحسين، وأقامت عليه المناحة، وكانت عند يزيد بدمشق[٨]. وهذا يعني أن النساء كان لهن دور في الخلاف لبعض القرارات التي يتخذها الخليفة تحت ضغط المعارضة السياسية، وإذا اعتبرنا المعارضة قوة ومقابلها النساء (بطانة الخليفة) قوة، ففي هذا الموقف يظهر تفاوت تأثير القوى، فرغم أن (المعارضة) و(بطانة الخليفة) كليهن يمثلان مؤثرات في سلطة الخليفة إلا أن إحداهن كانت ضاغطة أكثر بسبب الظروف الاستثنائية للمعارضة السياسة وما تمثله من قلق وتوتر للخلافة، وبالتالي تغلبت هذه القوة في تأثيرها على سلطة الخليفة أكثر من غيرها.

---

(١) البلاذري، **أنساب الأشراف**، ج٥، ص ٤٥؛ الطبري، **تاريخ**، ج٥، ص ٣٣٣؛ ابن عساكر، **تاريخ دمشق**، ج٣٨، ص ٢٦٣.

(٢) الطبري، **تاريخ**، ج٥، ص ٣١٥.

(٣) **المصدر نفسه**، ج٥، ص ٣٢١.

(٤) ابن خياط، **تاريخ**، ص ٢٣٦.

(٥) البلاذري، **أنساب الأشراف**، ج٥، ص ١٢.

(٦) الزويد، "مصاهرات بني أمية"، مج٩، ع٢، ص ٢٧- ٤١.

(٧) الزبيري، **نسب قريش**، ص ١٣٠.

(٨) ابن عساكر، **تاريخ دمشق**، ج٧٠، ص ٤.

وكذلك الأمر بالنسبة للرواية التي ذكرناها آنفا بخصوص أن معاوية وجه يزيد لغزو الروم، فأقام يزيد بدير سمعان[1]، ووجه الجنود لغزو ثغور الروم، فعندما غزا الجند الطوانة[2] أصابهم الوباء[3]، فقال يزيد الأبيات التي تمت الإشارة إليها[4]، فبلغ ذلك معاوية، وأقسم على يزيد بالله لتلحقن بهم حتى يصيبك ما أصابهم، فلحق بهم[5].

ويتضح من الروايات الآنفة دور النساء المقربات من الخلفاء كقوة مؤثرة فعلا في سلطات الخليفة وقراراته، وذلك باعتبارهن من حاشية الخليفة وبطانته.

ومن تأثير حاشية الخليفة على سلطات الخلفاء، ما ورد في حادثة تعيين عبدالله بن عامر بن كريز واليا على البصرة من قبل معاوية، فقد كان ابن كريز من المقربين من الخليفة، فهو ابن خال الخليفة عثمان بن عفان، لأن أم الخليفة عثمان هي أروى بنت كريز بن ربيعة[6]، وعندما أراد معاوية أن يعين عتبة بن أبي سفيان واليا على البصرة، كلمه عبدالله بن عامر أن يعينه على البصرة، ذاكرا له أن له ودائع بها وأموالا، فعينه معاوية واليا على البصرة سنة ٤١هـ/ ٦٦١م[7].

ثالثا: الشعراء:

سعى خلفاء بني أمية منذ بداية عهدهم إلى تبرير شرعيتهم ودعم حقهم في الخلافة، فقد وجد الخليفة معاوية بن أبي سفيان في نفسه الحاجة إلى مسوغات ودعائم تثبت أحقيته فيما ناله من الخلافة، وأدرك خلفاء بني أمية دور الشعراء في تلبية مطالبهم والتأكيد على شرعيتهم، فاستقطبوا عدد من الشعراء الموالين لهم، باعتبارهم الوسيلة الإعلامية المهمة في ذلك العصر[8].

---

(١) هو بظاهر أنطاكية، وهو غير الدير الذي يقع بنواحي دمشق. انظر: الحموي، **معجم البلدان**، ج٢، ص ٥١٧؛ ابن عساكر، **تاريخ دمشق**، ج٧٠، ص ٢٦٠.

(٢) بلد بثغور المصيصة وهي بين أنطاكية وبلاد الروم بالقرب من طرسوس. انظر: ابن عساكر، **تاريخ دمشق**، ج٧٠، ص ٢٦٠.

(٣) البلاذري، **أنساب الأشراف**، ج٥، ص ٩٤.

(٤) انظر: ص ٦٤ السطر الثاني من الأسفل.

(٥) ابن عساكر، **تاريخ دمشق**، ج٧٠، ص ٢٥٩.

(٦) ابن حجر العسقلاني، **الإصابة**، ج٨، ص ٩.

(٧) ابن سعد، **الطبقات**، ج٦، ص ٢٦؛ الطبري، **تاريخ**، ج٥، ص ١٧٠؛ الكريطي، جابر رزاق غازي. "سياسة عزل الولاة في الدولة الأموية: ولاة العراق أنموذجا". **مجلة الكلية الإسلامية الجامعة- العراق**، ٢٠١٣م، مج٧، ع٢٣، ص ٣٦٣- ٣٩٩. (سيشار إليه فيما بعد: الكريطي، "سياسة عزل الولاة").

(٨) عبدالله، "أساليب الخليفة معاوية"، مج١٠، ع٢٠، ص ٧- ٢٥.

وعلم الشعراء بما يريده الخلفاء منهم فمدحوهم، ورددوا المعاني والقيم التي كان الأمويين حريصين على إذاعتها للناس، ولأن بنو أمية أشاعوا أن الله تعالى حباهم بالخلافة وخصهم بالملك، لأنهم نخبة العرب نسبا وصفوة المسلمين خلقا وورعا، وهذا يعني التأكيد على مبدأ الجبر، استوعب شعراءهم فكرة الجبر وآمنوا بها، فكانوا كلما مدحوا خليفة أكدوا حقه معتمدين على فكرة الجبر والمشيئة الإلهية، ومن الأمثلة على ذلك شعر مسكين الدارمي[1] الذي مدح معاوية في أبيات مبينا فيها أن الخلافة قضاء وقدر، وأنها لا تكون إلا حيث أرادها الله، وأن الله أرادها ليزيد من بعد معاوية وبذلك لا يستطيع أحد منعه منها أو حجزها عنها[2]:

بُنِّيَّ خُلَفَاءِ اللهِ مَهْلًا فَإِنَّمَا ... يُبَوِّئُهَا الرَّحْمَنُ حَيْثُ يُرِيدُ

إِذَا الْمِنْبَرِ الْغُرْبِيّ خَلَاهُ رَبّهِ ... فَإِنَّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ يَزِيدُ[3]

وقول ابن همام السلولي عندما جاء مهنئا يزيد بالخلافة[4]:

أَعْطَيْتُ طَاعَةَ أَهْلِ الْأَرْضِ كُلّهُمْ ... فَأَنْتَ تَرْعَاهُمْ والله يرعاكا

ومما سبق يتبين أن شعراء المديح في العصر الأموي اجتهدوا في تبني السياسة الأموية كما رسمها الأمويين، وأن هؤلاء الشعراء وفقوا في مهمتهم وأجادوا تأديتها، فقد درجوا على القول بالجبر والمشيئة بلغة متقاربة وأسلوب متشابه، وصار الأمر وكأنه تقليدا ونهجا للسير عليه، وكذلك ملحوظ أيضا تقبل المجتمع لفكرة الجبر والشعر المتعلق بها، فأكثر الشعراء من الاهتمام بقضايا الخلافة والدعاية، وخصوصا الشعراء الرسميون الذين اتصلوا بالسلطة السياسية آنذاك، ولازموا الخلفاء والقادة والولاة وعايشوا الأحداث عن قرب، لدرجة أن الشعراء في تقريرهم لفكرة الجبر بدأ عليهم أن "اهتمامهم بالسلطان أكثر من اهتمامهم بالفن، فاتسم شعرهم بالبساطة والتقريرية الوضوح والمباشرة"[5].

---

(١) هو الشاعر ربيعة بن عامر بن أنيف، من بني دارم ويلقب بـ مسكين. انظر: ابن قتيبة، **الشعر والشعراء**، ج١، ص ٥٤٤.

(٢) إسماعيل، سليمان مختار محمد. "توظيف مبدأ الجبر لدى مداح بني أمية". **مجلة الساتل- جامعة مصراتة- ليبيا**، ٢٠٠٨م، س٢، ع٤، ص ٣٥- ٤٩. (سيشار إليه فيما بعد: إسماعيل، "توظيف مبدأ الجبر").

(٣) الدارمي، ربيعة بن عامر (ت ٨٩هـ/ ٧٠٧م). **ديوان مسكين الدارمي**. تحقيق: عبدالله الجبوري وخليل إبراهيم العطية، مطبعة دار البصري، بغداد، ١٩٧٠م، ص ٣٣. (سيشار إليه فيما بعد: الدارمي، **ديوان مسكين**)؛ ابن قتيبة، **الشعر والشعراء**، ج١، ص ٥٤٤؛ إسماعيل، "توظيف مبدأ الجبر"، س٢، ع٤، ص ٣٥- ٤٩.

(٤) البلاذري، **أنساب الأشراف**، ج٥، ص ١٦٣.

(٥) إسماعيل، "توظيف مبدأ الجبر"، س٢، ع٤، ص ٣٥- ٤٩.

ففي مطلع العصر الأموي، رُوي أن مروان بن الحكم أخذ أهل نابغة بني جعدة وماله، وذلك بعد أن كان النابغة مشايعا لعلي في صفين، وعندما قدم معاوية إلى الكوفة، جاءه النابغة ودخل عليه قائلًا[١]:

مِنْ رَاكِبٍ يَأْتِي اِبْنُ هِنْدٍ بِحَاجَتِي	وَمروَانِ وَالْأَنْبَاءُ تُنَمِّي وَتُجْلِبُ
فَإِنْ تَأْخُذُوا أَهْلِيَّ وَمَالِـــيَّ بِظَنَّةٍ	فَإنْي إِذَا مَا رِيمِ ظُلْمِي أَغَضَبٌ

فقال معاوية لمروان: ما تقول؟ قال: لا نرد عليه، فقال معاوية: "وما أهون عليك أن ينجحر هذا في غارٍ فيقطع عرضي بشعر تروبه العرب، فرد عليه ماله وأهله"[٢]. وهذه الرواية صارت دليلا على دور الشعراء في التأثير في سلطات الخلفاء وممثليهم في الفترة موضوع الدراسة من العصر الأموي.

فقد روي أن الشاعر حارثة بن بدر الغداني كتب في زياد بن أبي سفيان في فترة ولايته على البصرة من قبل معاوية، وذلك بسبب أن زياد كان قد كتب خمسمائة من شيوخ أهل البصرة في صحابته، وأعطاهم أعطيات، فقال حارثة[٣]:

أَلَا مَنْ مَبْلَغِ عَنِيّ زِيَـــــــادًا	فَنِعْمَ أَخـــُو الْخَلِيفَةِ وَالْأَمير!
فَأَنْتَ إِمَــــامُ مُعَدَّلَـــةٍ وَقَصْدٍ	وَحَزْمٍ حِينَ تَحَضُّرِكَ الْأُمُورَ
أَخُو خَلِيفَةِ اللهِ اِبْنِ حَـــــرْبٍ	وَأُنْتُ وَزَيَّرَهُ نِعْمَ الْوَزِيـــــرُ!
تُصِيبُ عَلَى الْهَوَى مِنْهُ وَتَأْتِي	مُحِبَّكَ مَا يُجِــنُّ لَنَـــا الضَّمِيرُ
بِأَمْـــــرِ اللهِ مَنْصُورِ مُعـــان	إِذَا جَـــارِ الرَّعِيَّةِ لَا تَجُـــورُ
وتقســــم بِالسَّوَاءِ فَلَا غَنِـــيٌّ	لِضَيْمِ يَشْتَكِـــيكَ وَلَا فَقِيـــــرُ

ومما يسبق نستدل على دور الشعراء في تعزيز مواقف الخلفاء وولاتهم، وذلك لأن معاوية كان يعطي ولاته مجالا لكي يحققوا بعض المكاسب السياسية[٤]، من أجل تعزيز الوجود الأموي في إقليم العراق، وبذلك فقد كان لهذا الشعر أثره غير المباشرعلى سلطة الخليفة الأموي.

---

(١) البلاذري، **أنساب الأشراف**، ج٥، ص ٩١.

(٢) **المصدر نفسه**، ج٥، ص ٩١.

(٣) الطبري، **تاريخ**، ج٥، ص ٢١٣.

(٤) عبدالله، "أساليب الخليفة معاوية"، مج١٠، ع٢٠، ص ٧- ٢٥.

وحفظت لنا الرواية التاريخية أبياتا للشاعر ابن سيحان المحاربي[١]، كانت سببا في أن شفع له الخليفة معاوية ذات يوم بسببها، فقد كان ابن سيحان شاعراً حلو اللسان، وكان نديما للوليد بن عتبة في الشراب، فخرج يوماً سكران، فدس مروان من غلمانه من أخذه وذلك بسبب عداوة مروان بينه وبين الوليد بن عتبة، فخاف الوليد من أن يفضحه مروان عند الناس، وعمد إلى ابن سيحان فأقام عليه الحد؛ تحسناً عند الناس بذلك، فكتب معاوية إليه يلومه: "فالعجب من ضربك ابن سيحان فيما تشرب منه، ما زدت على أن أعلمت أهل المدينة أن شرابك الذي تشربه معه يوجب الحد. إذا جاءك كتابي فأبطل الحد عن ابن سيحان، وأطفه على حلق المسجد، وأعلمهم أن صاحب شرطك ظلمه، وأن أمير المؤمنين قد أبطل ذلك الظلم عنه؛ أو ليس ابن سيحان الذي يقول:

إنْي أَمْرُؤٌ أَنْمِيَ إِلَى أفْضَلِ الرُّبَى	عَدِيدًا إِذَا أَرَفَضَتْ عَصَا الْمُتَخَلِّفِ
إِلَى نَضَدٍ مِنْ عَبْدِ شَمْسٍ كَأَنَّهُمْ هِضَابٌ	أَجًّا أَرْكَانُهَا لَــــمْ تَقْصِفْ
مَيَامِينَ يَرْضَــوْنَ الْكِفَايـــةَ إنَّ كَفَوْا	وَيَكْفُونَ مَا وَلُوا بِغَيْرِ تَكَلّفٍ
غَطَارِفَـــةَ ساســوا الْبِلَادَ فَأَحْسَنُوا	سِيَاسَتَهَا حَتَّى أَقَرَّتْ لِمُرْدِفٍ
فَمِنْ يك مِنْهُمْ مُوسِــرًا يَفُشُّ فَضْلُهُ	وَمَنْ يك مِنْهُمْ مُعْسِرًا يُعْفِفْ

وأمر له بخمسمائة دينار وإبل وغنم، وكتب إلى مروان يلومه على ما فعل"[٢].

وفي رواية أنه عندما شاع في الناس أن معاوية أراد أن يأخذ البيعة ليزيد، انقسم الناس في أمر ذلك إلى فرقتين: راض وساكت أو قائل ومنكر، فكان عقيبة الأسدي- شاعر أهل البصرة- ممن يكره بيعة يزيد ويبغضه، فأنشأ في ذلك يقول:

مَعَاُوِي إِنَّنَا بَشَرُ فَأَسْجِحْ[٣]	فَلَسْنَا بِالْجِبَالِ وَلَا الْحَديـدُ
أَكِلْتُم أرْضَنَا فجردتموهـا	فَهَلْ مَنْ قَائِمُ أَوْ مِنْ حَصِيدٍ
أَتُطَمِّعُ فِي الْخُلُودِ إذَا هَلَكِنَا	وَلَيْسَ لَنَا وَلَا لَكَ مَنْ خُلُودٍ
فَهَبَّهَا أَمَّـــةُ هَلَكَتْ ضَيَاعًا	يَزِيــدُ يسوسها وَأَبُو يَزِيدُ

---

(١) عبدالرحمن بن أرطأة بن سيحان المحاربي، كان منقطعا إلى بني أمية، ولد في المدينة ووفد إلى الشام، وتوفي بالمدينة سنة ٥٠هـ/ ٦٧٠م. انظر: الزركلي، **الأعلام**، ج٣، ص ٢٩٩.

(٢) البلاذري، **أنساب الأشراف**، ج٥، ص ١٤٣.

(٣) فاسجح أي فاعدل واعتدل. انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مج٣، ص ١٩٤٠.

قال: فبلغ ذلك معاوية، فأرسل إليه بعشرة آلاف درهم ليكف لسانه، فأنشأ عقيبة يقول الآبيات الآتية، وكافأة معاوية عليها بأن رسل له بدرة أخرى[١].

إِذَا الْمِنْبَرِ الْغُرْبِيّ حَــلَّ مَكَانِـهِ	فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَزِيــــــدُ
فَلَا زُلْتُ أَعْلَــــى النَّاسِ كَعْبًا	وَلَمْ تَزُلْ وُفُودُ يُسَامِيهَا إِلَيْكَ وُفُودِ
أَلَا لَيْتَ شِعْرِيَّ مَا يَقُولُ اِبْنُ عَامِرٍ	لِمَرْوَانٍ أَمْ مَــــاذَا يَقُولُ سَعِيدُ
بُنَيَّ خُلَفَاءِ اللهِ مَهْــــــلًا فَإِنَّمَا	يَنُـــوءُ بِهَا الرَّحْمَنُ حَيْثُ يُرِيدُ

وكان عبد الله بن همام السلولي- شاعر أهل الكوفة- ممن يبغض يزيد، فبلغه خبر أن معاوية قرر البيعة ليزيد بولاية العهد، فأنشأ يقول[٢]:

فَإِنْ تَأْتُوا بِرَمْلَةٍ أَوْ بِهِنْدٍ	نُبَايِعُهَا أَمِيرَةَ مُؤْمِنِينَا
وَكُلَّ بُنَيِّكَ ننرضاهـم جَمِيعًا	وَإِنَّ شِئْتُم فَعَمَّهُمِ اِلْبِطِينَا
إِذَا مَا مَاتَ كَسْرًى قَامَ كِسْرَى	نَعُدْ ثَلَاثَــةً مُتَنَــاسِقِيِّنَا
أَيَــا لَهَفًا لَوْ أَنَّ لَنَا رجــالاً	وَلَكَنَّا نَعُــودُ كَمَا عَنَيْنَا
إذاً لِضَرَبْتُم حَتَّــى تَعُــودُوا	بِمَكَّةِ تَلْعَقُونَ بِهَا السخينا[٣]
حَشَّيْنَا الْغَيْظَ حَتَّــى لَوْ سَقَيْنَا	دِمَاءَ بُنِّـي أَمِّيَّةً مَا رَوِيِّنَا

فبلغ ذلك معاوية فقال: "ما ترك ابن همام شيئا، ذكر الحرم وعيرنا بالسخينة، ماله إلا يخرجنا من جنتنا. قال: ثم وجه إليه معاوية ببدرة، فلما وصلت إليه شكرها لمعاوية ثم كتب إليه بهذه الأبيات[٤]:

أَتَانِي كِتَابُ اللهِ وَالدِّينِ قَائِمَ	وبالشام أَنَّ لَا فِيهِ حُكْمَ[وَلَا] عَدْلٌ
أَرِيدُ أَميرَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّــهُ	عَلَى كُلِّ أَحْوَالِ الزَّمَانِ لَهُ الْفَضْلُ

ومن الروايتين الآنفتين يتضح دور الشعراء في التأثير على سلطة الخليفة في العصر الأموي، فقد كان لهم تأثير واضح في موضوع العهد ليزيد، والدليل على ذلك أن معاوية كان

(١) ابن أعثم الكوفي، **الفتوح**، ج٤، ص ٣٢٩: ٣٣١.

(٢) البلاذري، **أنساب الأشراف**، ج٥، ص ٧٠؛ ابن أعثم الكوفي، **الفتوح**، ج٤، ص ٣٢٩: ٣٣١.

(٣) نوع من الطعام يُتخذ من دقيق وسمن. انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مج٣، ص ١٩٦٦.

(٤) ابن أعثم الكوفي، **الفتوح**، ج٤، ص ٣٢٩: ٣٣١.

يستميلهم ويشتريهم بالمال، ومهما كانت درجة صحة الرواية، إلا أنها تعكس بشفافية قدرة الشعراء في توجيه السياسة والتأثير عليها في العصر الأموي، وأن معاوية أستخدم المال لكسب الناس وإدانة الرؤوس له ولخلافته، وهذا دليل واضح على ذكائه ودهائه وحسن سياسته.

ومن الأمثلة على تبني الشعراء لوجهة النظر الأموي، ما قاله الشاعر كعب بن جعيل التغلبي(١)، محاولا أن يضفي صبغة الشرعية على خلافة معاوية، باعتباره أفضل القرشيين في نظره(٢):

كَأَنَّ أَبَا مُوسَى عَشِيَّةِ أَذْرَحَ(٣)	يُطَوِّفُ بِلُقْمَانِ الْحَكِيمِ يُوَارِبُهُ (٤)
وَلَمَّا تُدَارُوا(٥) فِي تُرَاثِ مُحَمَّدِ	سَمْتِ بِابْنِ هِنْدٍ فِي قُرَيْشٍ مُضَارِبِهِ

وكانت أم البراء بنت صفوان بن هلال من "النسوة الشواعر الفصيحات"(٦)، ووفدت على معاوية، فسألها عن حالها، ومن ثم لامها على قولها في نصرة علي(٧):

يَا زَيْدِ دُونَكَ صَارِمًا ذَا رَوْنَقِ	عَضْبَ(٨) الْمَهَزَّةَ لَيْسَ بِالْخُوَارِ
أَسَرْجَ جَوَادِكَ مُسْرِعًا وَمُشَمَّرًا	لِلْحَــرْبِ لَيْسَ مَوْلَيَا لِفِــرَارِ
أَجِبُ الْإِمَــامَ وَذَبَّ تَحْتَ لوائه	وَالْـــقَ الْعَـــدُوَّ بِصَارِمِ بَتَّارِ
يَا لَيْتَنِي أَصْبَحَتْ لَيْسَ بِعَــوْرَةٍ	فَأَذِبْ عَنْـــهُ عَسَاكِرَ الْفُجَّارِ (٩)

---

(١) هو كعب بن جعيل بن قمير من بني تغلب، شاعر إسلامي وقيل مخضرم، وكان شاعر معاوية وأهل الشام، توفي في خلافة الوليد بن عبد الملك (٨٦- ٩٦هـ/ ٧٠٥- ٧١٤م). انظر: عثمان، **الشعر السياسي**، ص ١٧.

(٢) المرجع نفسه، ص ١٧.

(٣) بلدة في نواحي الشام، كان فيها أمر الحكمين بين معاوية وعلي بن أبي طالب. انظر: الحموي، **معجم البلدان**، مج١، ص ١٣٠.

(٤) يداهنه ويداريه ويخادعه. انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مج١، ص ٥٥.

(٥) يقال: تدارأ القوم: إذا تدافعوا في الخصومة واختلفوا. انظر: عثمان، **الشعر السياسي**، ص ١٧.

(٦) ابن عساكر، **تاريخ دمشق**، ج٧٠، ص ٢٠٤.

(٧) القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج١، ص ٢٦١.

(٨) العضب هو الكسر والقطع. انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مج٤، ص ٢٩٨٢.

(٩) ابن بكار، العباس الضبي (ت ٢٢٢هـ/ ٨٣٦م). **أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان.** تحقيق: سينة الشهابي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٣م، ص ٤٤. (سيشار إليه فيما بعد: ابن بكار، **أخبار الوافدات**)؛ ابن طيفور، أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر (ت ٢٨٠هـ/ ٨٩٣م). **بلاغات النساء.** تحقيق: أحمد الألفي، مطبعة مدرسة والدة عباس الأول، القاهرة، ١٩٠٨م، ص ٧٩. (سيشار إليه فيما بعد: ابن طيفور، **بلاغات النساء**).

فقالت يا أمير المؤمنين {عفا الله عما سلف ومن عاد فينتقم الله}[1]، فقال هيهات والله لو عاد لعدت، فغضبت، وقالت: تعس شانيء علي، وخرجت دون أن تطلب حاجتها، ثم بعث إليها معاوية بمال[2].

ووفد حضين بن المنذر إلى معاوية في وفد من أهل العراق، فتأخر وصوله إلى معاوية أكثر من أهل الوفد الذين معه، فقال[3]:

وَكُلَّ صَغِيرَ الشَّأْنِ يَسْعَى مُشَمَّرَا	إِذَا فَتْحِ الْبَوَّابِ بَابَــكَ إِصْبَعَا
وَيَبْقَى الْجُلُوسُ الْمَاكِثُونَ رزانـةً	حَيَاءً إِلَى أَنْ يَفْتَحَ الْبَابَ أَجَمْعًا

فأمر معاوية أن يدخل أول الناس[4].

وفي رواية أن معاوية أغزى الناس ذات مرة، فحمل اليمانية في البحر، وحمل مضر في البر، فقال رجل من اليمانية متهدداً معاوية[5]:

يَا أَيّهَا الْقَــوْمَ الّذِينَ تَجْمَعُوا	بعكــا أَنَــاسٌ أَنْتُمْ أَمْ أَبَاعِــرُ
أَتَتِرُكَ قِيسَ تُرْتِعِي فِي بِلَادِكُمْ	وَنَحْنُ نُسَّامِيُّ الْبَحْرِ وَالْبَحْرِ زَاخِرٌ
فوالله مَا أَدْرِي وإِنِــي لِسَائِلِ	أَكَنَدَّةٍ تَحْمِــي أَصْلُنَا أَمْ يُحَابِرُ[6]
أَمِ الْغِرُّ مِنْ حَيِّيٍ قُضَاعَةٍ إِنَّهُمْ	هُمْ أَصْلُنَا لَــوْ تَسْتَمِرُّ الْمَرَائِــرُ
أَمَّا كَانَ فِي هَمَدَانِ حَامِي حَقِيقَةٍ	وَلَا كَانَ فِي عك وَلَا فِي الْأَشَاعِرِ

ورغم أن المصادر لم تذكر ما الذي فعله معاوية، إلا أن الرواية والأبيات الشعرية تعبر عن تأثير الشعراء في إلهاب أفئدة الناس ودفعهم نحو الثورة والفتنة وعدم القبول بالظلم من قبل السلطة، مما يشكل قوة مؤثرة على سلطة الخليفة.

وكان الأخطل[1] من شعراء بني أمية المشاهير، وكان مقدما عند خلفاء بنو أمية، ومما روي عنه في مدح بني أمية مشيرا إلى أحقيتهم في الخلافة قوله[2]:

---

(١) القرآن الكريم، **سورة المائدة:** الآية ٩٥.

(٢) القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج١، ص ٢٦١.

(٣) ابن عساكر، **تاريخ دمشق**، ج١٤، ص ٣٩٢.

(٤) البلاذري، **أنساب الأشراف**، ج٥، ص ١٢٠.

(٥) **المصدر نفسه**، ج٥، ص ١٠٨.

(٦) يحابر هو أحد أجداد اليمانية واسمه مر بن أد بن مالك. انظر: **المصدر نفسه**، ج٥، ص ١٠٨.

لا يُسْمَعُ الْجَهْلُ يَجْرِي فِي نَدِيِّهِمْ وَلَا أَمِّيَّةٌ فِـــي أَخْلَاقِهَا الْفِنْـــدُ[٣]

تَمَّتْ جدودهـــم، والله فَضْلُهُمْ وَجــدُّ قَـــوْمٍ سِوَاهُمْ خَامِلٌ نَكِدُ[٤]

هَمُّ الّذِينَ أَجَـــابَ اللهُ دَعْوَتِهِمْ لَمَّا لَاقَتْ نَوَاصِي الْخَيْلِ فاجتلدوا[٥]

(بحر السيط)

وللأخطل الكثير من الأبيات التي مدح فيها يزيد بن معاوية، ومنها ما قاله في قصيدة طويلة[٦]:

أَمَّا يَزِيدُ فَإِنِّي لَسْتَ نَاسِيُّهُ حَتَّى يَغِيبُنِي، فِي الرَّمْسِ، مَلْحُودِ[٧]

(بحر البسيط)

ومنها أيضا[٨]:

فَلَوْلَا يَزِيدُ، اِبْنَ الْإِمَامِ، أَصَابَنِي قوارع، يَجْنِيهَا عَلِيٌّ لِسَانِيُّ [٩]

(بحر الطويل)

وقيل أن مناسبة ذلك أن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت[١٠] شبّب برملة بنت معاوية في شعره، فبلغ يزيد ذلك، فغضب وطلب من الأخطل هجاء عبد الرحمن، فهجاه وعم بهجائه الأنصار، وشكا النعمان بن بشير ذلك إلى معاوية، وكان النعمان ذو منزلة عند معاوية، فتهدده معاوية بقطع

---

(١) سبق ترجمته.

(٢) الأخطل، **شعر**، ص ٣٠٣؛ عثمان، **الشعر السياسي**، ص ١٨.

(٣) الندي: المجلس. والفند هنا بمعنى الكذب. انظر: الأخطل، **شعر**، ص ٣٠٣.

(٤) جدود جمع جد ومعناها الحظ. والنكد: المشؤوم. انظر: **المصدر نفسه**، ص ٣٠٣.

(٥) النواصي جمع ناصية وهي الشعر في مقدمة الرأس. واجتلدوا أي تضاربوا بالسيوف. انظر: **المصدر نفسه**، ص ٣٠٣.

(٦) **المصدر نفسه**، ص ٧٨.

(٧) الرمس: القبر. انظر: **المصدر نفسه**، ص ٧٨.

(٨) **المصدر نفسه**، ص ٢١٤.

(٩) القوارع جمع قارعة وهي الداهية الشديدة. انظر: **المصدر نفسه**، ص ٢١٤.

(١٠) هو عبد الرحمن بن حسان بن ثابت الخزرجي الأنصاري، وأمه سيرين القبطية أخت أم المؤمنين مارية، قدم دمشق في أيام معاوية، ووفد على يزيد بن معاوية. انظر: ابن عساكر، **تاريخ دمشق**، ج٣٤، ص ٢٨٨.

لسانه، وتشفع في يزيد فشفع له عند أبيه، فأبى معاوية أن يعفو عنه إلا أن يعفو الأنصار عنه، فطلب إليهم يزيد ذلك، فوهبوه لهم[1].

وقوله[2]:

وَلَوْلَا يَزِيدُ، اِبْنَ الْمُلُوكِ، وَسَيَّبَهُ[3] تَجَلَّلَتْ[4] حِدبارا[5]، مِنَ الشَّرِّ، أَنَكِدَا[6]

(بحر الطويل)

وقوله في موضع آخر[7]:

نِعْمَ الْخُؤُولَةُ، مِنْ كَلْبٍ، خُؤُولَتَهُ وَنِعْمَ مَا وَلَدَ الْأَقْوَامِ، إِذْ وَلِدُوا

(بحر البسيط)

ومن الروايات المعبرة عن تأثير الشعراء في سلطة الخليفة الأموي، ما روي عن أن معاوية أوعز إلى رجل من الأزد يقال له ذو الكلاع[8] أن يواجه وفود الأمصار في مجلسه بطلب البيعة ليزيد، فقام الرجل وقال: هذا أمير المؤمنين- وأشار بيده إلى معاوية- فإن مات فهذا- وأشار إلى يزيد- فمن أبى فهذا- وأشار إلى السيف- ثم قال[9]:

مُعَاوِيَةُ الْخَلِيفَةِ لَا نُمَـــارِي فَإِنْ يُهْلِكُ فَسَائِسَنَا يَزِيدُ[10]

فَمِنْ غُلْبِ الشَّقَاءِ عَلَيْهِ جَهْلَا تَحَكَّمِ فِي مُفَارِقِهِ الْحَديـدَ

ومن تأثير الشعراء أيضا ما روي عن أن سبب عزل معاوية لعبد الرحمن بن أم الحكم الثقفي عن الكوفة، أنه بلغه عنه أبيات شعر قالها حارثة بن بدر الغداني فيه:

---

(١) الأخطل، **شعر**، ص ٢١٩؛ ابن عساكر، **تاريخ دمشق**، ج٤٨، ص ١١٤.

(٢) الأخطل، **شعر**، ص ٢١٩.

(٣) السيب هو العون. انظر: **المصدر نفسه**، ص ٢١٩.

(٤) تجللت أي ركبت. انظر: **المصدر نفسه**، ص ٢١٩.

(٥) الحدبار هي الناقة الذاهبة السنام، البادية العظام. انظر: **المصدر نفسه**، ص ٢١٩.

(٦) الأنكد هو المشؤوم اللئيم. انظر: **المصدر نفسه**، ص ٢١٩.

(٧) **المصدر نفسه**، ص ٣٠٢.

(٨) ذو الكلاع الحميري، يكنى بأبي شرحبيل، شارك في معركة صفين في صف معاوية وقتل فيها. انظر: ابن عساكر، **تاريخ دمشق**، ج١٧، ص ٣٨٢.

(٩) وقيل الذي قال ذلك هو يزيد بن المقنع العذري. انظر: ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج٣، ص ١٠١.

(١٠) نماري: نجادل وننازع ونخالف. انظر: عثمان، **الشعر السياسي**، ص ٢١.

نَهَارُهُ فِي قَضَايَا غَيْرِ عَادِلَـــــةٍ	وَلَيْلَهُ فِي هَوَى سَعْدِ بْن هَبَّارُ
لَا يَسْمَعُ النَّاسُ أصواتا لهم خَفِيَتْ	إِلَّا دَوِيًّا دَوِيِّ النَّحْلِ فِي الْغَارِ
فَيُصْبِحُ الْقَوْمُ أَطْلَاحًا أَضَــرَّ بِهُمْ	سَيْرُ الْمَطِيِّ وَمَا كَانُوا بِسِفَارٍ
لَا يَرْقُدُونَ وَلَا تُغْضِـــي عُيُونَهُمْ	لَيْلَ التَّمَامِ وَلَيْلِ الْمُدْلِجِ السَّارِّيِّ

فسأل معاوية الناس عن سبب غضبهم عليه، فكان الجواب أنه أنكر بيعة يزيد ابن أمير المؤمنين، وظن أن الفيء له وأنه أحق به، فعزله معاوية وولى النعمان بن بشير الأنصاري على الكوفة(١).

وحرص الخليفة معاوية على امتصاص غضب الشعراء بحلمه وعفوه، فعندما هجا يزيد بن مفزع الحميري ابن زياد، وكان سبب ذلك أن يزيد بن مفزع كان مع عباد بن زياد بسجستان، فاشتغل عنه بحرب الترك، فاستبطأه، وأصاب الجند مع عباد ضيقا في أعلاف دوابهم، فقال ابن مفزع(٢):

أَلَا لَيْتَ اللِّحَى عَادَتْ حَشِيشًا	فَنُعَلِّفُهَا خُيُولَ الْمُسْلِمِينَا!

وكان عباد بن زياد عظيم اللحية، فانتهى إليه شعر بن مفزع، وقيل له: ما أراد غيرك، فطلبه عباد فهرب منه، وهجاه بقصائد كثيرة، منها(٣):

أَلَا أَبْلُغْ مُعَاوِيَةَ بْن حَرْبِ	مُغَلْغِلَةِ مِنَ الرَّجُلِ الْيَمَانِيِّ
أَتَغَضُّبٌ أَنْ يُقَالَ أَبُوكَ عَفٌّ	وَتَرْضَى أَنْ يُقَالَ أَبُوكَ زَانٍ!

وروي أنه: "لما هجا ابن المفرغ عبادا فارقه مقبلا إلى البصرة، وعبيد الله يومئذ وافدٌ على معاوية، فكتب عباد إلى عبيد الله ببعض ما هجاه به، فلما قرأ عبيد الله الشعر دخل على معاوية فأنشده إياه، واستأذنه في قتل ابن مفرغ، فأبى عليه أن يقتله، وقال: أدِّبه ولا تبلغ به القتل"(٤).

وروى المدائني أن عبد الرحمن بن حسان أتى يزيد فرأى منه جفوة له وإغفالاً فهجاه، فأشار عليه حصين بن نمير بقتله، وقيل الذي أشار بالقتل هومسلم بن عقبة، وذلك مبررا بأن

---

(١) البلاذري، **أنساب الأشراف**، ج٥، ص ١٤٥.

(٢) الطبري، **تاريخ**، ج٥، ص ٣١٨.

(٣) **المصدر نفسه**، ج٥، ص ٣١٨.

(٤) **المصدر نفسه**، ج٥، ص ٣١٨.

الناس تجرأوا عليهم بسبب حلم أمير المؤمنين معاوية، فقال يزيد: "جفوناه وحرمناه فاستحققنا ذلك منه، فبعث إليه بثلاثين ألف درهم، فمدحه"(١).

وهذه الرواية تؤكد الرأي القائل بأن الخلفاء أغدقوا الأموال على الشعراء لشراء ولاءهم، وهذا مؤشر واضح وصريح على تأثير هذه الفئة على سلطات الخلفاء في العصر الأموي، فلولا الخوف من ألسنتهم ودورهم في تأليب الرأي العام للناس ضد الخلافة؛ لما حرص الخلفاء على استلطافهم وإغداق الأموال عليهم، هذا فضلا عن أنهم يمثلون دور في تحقيق التوان بين التكتلات القبلية التي وجب على الخلفاء الحرص على تحقيقها وإلا جلبوا لأنفسهم المتاعب ولخلافتهم الخصوم والأعداء.

رابعا: الموالي وأهل الذمة:

يمثل الموالي شريحة هامة من شرائح المجتمع الإسلامي، والموالي هم المسلمين من غير العرب الذين دخلوا تحت لواء الدولة الإسلامية، وهم في الأصل أقوام من أعراق متعددة كالفرس والروم والأحباش وغيرهم، وقد مثلت تلك الفئة جزء مهم من التنظيم في الدولة الإسلامية، وشاركت في بناء أسسها في مختلف المجالات؛ وذلك نظرا لمعرفتهم بالقراءة والكتابة، ولخبرتهم في الشؤون الإدارية والمالية(٢).

وشغل الموالي مناصب عديدة في الدولة الإسلامية إبان العصر الأموي، فقد كانوا ممن تولى مناصب إدارية ومالية وقضائية، وبسبب تفوق الموالي الذيت ينتمون إلى أعراق نشأت في مراكز الحضارة في العالم- آنذاك- وبالتالي تعرفت على الكثير من التنظيمات لم تكن معروفة من قبل في الدولة الإسلامية، رأى أصحاب السلطة في العصر الأموي أن يكون كتّاب الخراج من العارفين بالكتابة والأمور المالية، وهي مهارات لا يمكن أن يقوم ديوان الخراج بدونها، ويبدو أنها متوفرة لدى الموالي، لذلك رُوي على لسان زياد بن أبي سفيان أنه قال: "ينبغي أن يكون كتّاب الخراج من رؤساء الأعاجم العالمين بأمور الخراج"(٣).

---

(١) البلاذري، **أنساب**، ج٥، ص ٣١٢.

(٢) رماش، إبراهيم. "الوظائف السياسية للموالي في الدولة الأموية: ٤١- ١٣٢هـ/ ٦٦١- ٧٤٩م". **دورية كان التاريخية**، دار ناشري للنشر الإلكتروني، الكويت، ٢٠١٦م، س٩، ع٣١، ص ١٢٨- ١٣٧. (سيشار إليه فيما بعد: رماش، "الوظائف السياسية للموالي").

(٣) اليعقوبي، **تاريخ**، ج٢، ص ١٤٣.

وهذه المقولة تعبر عن معرفة الموالي وخبرتهم بالأمور المالية كالحسابات والكتابة، ويمكن أن يُستشف منها أيضا أن الدولة الأموية كانت تضع الثقة في أهل الخبرة والمعرفة بغض النظر عن أصلهم أو ديانتهم، ونجحت حقا في دمج طبقة الموالي في كيانها السياسي، وكذلك أشركتهم في المشورة واتخاذ القرار، بقصد الاستفادة من خصوصيتهم الثقافية والحضارية.

وهذا بالطبع يتنافى مع ما أشيع بأن العرب حرموا الموالي من تولي المناصب، وأن العرب كانوا ينظرون للموالي نظرة متعالية، وأن عملهم اقتصر على المهن والصناعات اليدوية التي كانت محل احتقار الارستقراطية العربية في زمن الأمويين، ولكن الاستقراء التاريخي للمصادر الإسلامية أثبت عكس ذلك[١]، فهناك الكثير من الأدلة التي لا يمكن تجاهلها[٢]، والتي تؤكد أن الموالي كانت لهم مشاركة سياسية فاعلة في أدق أجهزة الدولة الأموية المختلفة، من حارس الخليفة إلى الولاية على الأمصار، وهذا الوجود للموالي في بلاط الخلفاء ومشاركتهم في شؤون الحكم والإدارة أدى بدوره إلى التأثير بصورة أو بأخرى على سلطات الخليفة.

وبالإضافة إلى الموالي، فقد كان لفئة أهل الذمة دور في التأثير في سلطات الخليفة الأموي، والمقصود بأهل الذمة هنا (أهل العهد)، وهم رعايا الدولة الإسلامية من اليهود والنصارى والصابئة الذين لم يعتنقوا الإسلام عند الفتح الإسلامي لبلادهم، وأعطاهم المسلمين العهد على ألا يسترقون ويؤمنون على حياتهم وحرياتهم وأموالهم مقابل إلتزامات يؤدونها للدولة الإسلامية[٣].

وقد رصدت لنا مصادر التاريخ الإسلامي دور الموالي وأهل الذمة في الإدارة الأموية، فقد كان الخليفة معاوية بن أبي سفيان هو أول من استكتب الموالي، وذلك باتخاذه لمولاه سرجون بن منصور الرومي كاتبا له على ديوان الرسائل بدمشق[٤]، ومن تأثير هاتين الفئتين على الخلفاء أن معاوية عهد بالإدارة المالية إلى أسرة سرجون، وهي أسرة نصرانية ظلت تتوارث الإدارة المالية فيما بينها[٥]، وكان يزيد بن معاوية يستشير سرجون مولاه، فلما اشتكى إليه أهل البصرة

---

(١) رماش، "الوظائف السياسية للموالي"، س٩، ع٣١، ص ١٢٨- ١٣٧.

(٢) المعايطة، "الموالي والمناصب"، ع٤٩، ص ٢٢٤- ٢٤٦.

(٣) خميس، عبد الخالق وكنعان، عاصم إسماعيل. "أهل الذمة في العصر الأموي (٤١- ١٣٢هـ/ ٦٦١- ٧٥٠م)". **مجلة ديالي- كلية التربية للعلوم الإنسانية**، العراق، ٢٠٠٧م، ع٢٥، ص ٢٩- ٤٣. (سيشار إليه فيما بعد: (خميس وكنعان، "أهل الذمة").

(٤) بن حسين، **الدولة الأموية**، ص ٢٢.

(٥) ابن قتيبة، **الإمامة والسياسة**، ج١، ص ١٨٧؛ الطبري، **تاريخ**، ج٥، ص ٣٢٩- ٣٣٠؛ الجهشياري، **الوزراء والكتّاب**، ص ٢٦؛ المسعودي، **التنبيه والإشراف**، ص ٢٦٥؛ ابن مسكويه، **تجارب الأمم**، ج٢، ص

ضعف النعمان بن بشير، استشار يزيد مولاه سرجون، فأشار عليه بأن يولى البصرة عبيد الله بن زياد[١].

وغير ذلك نجد أن معاوية أبقى في دواوين الشام الكتّاب النصارى من أهل البلاد المفتوحة، والذين كانوا يكتبون باليونانية. كما اختار معاوية الطبيب النصراني ابن أثال ليكون طبيبه الخاص[٢]، ويقال أنه وكل إليه جباية خراج حمص[٣]، وقد ترجم ابن أثال الكثير من كتب الطب إلى العربية بأمر من الخليفة معاوية، وكان لمعاوية السبق في إنشاء نظام البريد في الدولة الإسلامية وذلك بالاستعانة بالروم والفرس[٤].

وولى معاوية مولاه عبدالله بن دراج خراج العراق[٥]، وكتب إليه أن يحمل إليه بعض المال، فأخبره ابن دراج أن الدهاقين[٦] رفضوا بحجة "أنه كان لكسرى وآل كسرى صوافي يجتبون مالها لأنفسهم ولا تجري مجرى الخراج"، فأمره معاوية بإحصاء الصوافي وأن يستصفها، ويضرب عليها المسنيات[٧]، ففعل وبعث إليه بخمسين ألف ألف درهم من أرض الكوفة وسوادها[٨]. وعبدالله بن دراج هو أخو عبد الرحمن بن دراج الذي كان كاتبا لمعاوية أيضا[٩]. واستعمل معاوية وردان مولى عمرو بن العاص[١٠] على خراج مصر بعد وفاة عمرو

٤٠؛ أحمد، محمد مسعود. "دور أهل الذمة في السياسة الأموية". **مجلة البحوث التاريخية- ليبيا**، ٢٠١٣م، مج٣٥، ع٢، ص ١٥٥- ١٧٩. (سيشار إليه فيما بعد: أحمد، "دور أهل الذمة").

(١) الطبري، **تاريخ**، ج٥، ص ٣٤٧.

(٢) ابن عساكر، **تاريخ دمشق**، ج١٦، ص ٢١١؛ أحمد، "دور أهل الذمة"، مج٣٥، ع٢، ص ١٥٥- ١٧٩.

(٣) اليعقوبي، **تاريخ**، ج٢، ص ١٣٠.

(٤) القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج١٤، ص ٣٦٧.

(٥) الجهشياري، **الوزراء والكتّاب**، ص ٢٢.

(٦) الدهقان هو مصطلح فارسي معرب يطلق على التاجر أو ورئيس القرية والمقدم فيها، وكان يُستعمل في خراسان وبلاد فارس. انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مج٢، ص ١٤٤٣.

(٧) يقال: أرض مسنوة ومسنية: أي مسقية، والمسنيات هنا ربما تعني السواقي أو الآلات والأدوات التي تُسقى بها الأرض. انظر: الزبيدي، **تاج العروس**، ج٣٨، ص ٣١٦.

(٨) اليعقوبي، **تاريخ**، ج٢، ص ١٢٥.

(٩) الطبري، **تاريخ**، ج٦، ص ١٨٠.

(١٠) **المصدر نفسه**، ج٦، ص ١٨٠.

بن العاص، وكان وردان داهية ومن ثقات عمرو بن العاص وأهل مشورته؛ فكان لا يقطع أمرا دون أن يشاوره[١].

ومن تأثير الموالي في سلطات الخلفاء في العصر الأموي أيضا، أن هناك أسماء وردت في إدارة ديوان الخراج من موالي العتاقة، فقد ولى زياد بن أبي سفيان مولاه سليم ديوان الخراج[٢]، وكتب لزياد أيضا على دايون العراق زادان فروخ بن بيري الفارسي، وكان يساعده صالح بن عبد الرحمن وهو فارسي الأصل من سبي سجستان، وكان مولى لبني تميم، وكان يكتب له أيضا مرداس مولاه[٣]، وروي أن سليمان بن سعد مولى الخشين، كتب للخليفة معاوية[٤]. وقلدا معاوية وابنه يزيد كلا من عبد الرحمن بن زياد، وسلم بن زياد خراسان، وكتب لهما اسطفانوس[٥]، وكان يكتب لمعاوية بن يزيد الريان بن مسلم وأبو الزعيزعة مولاه[٦].

وكان للموالي دور في القيام بالحجابة، والحاجب هو الموظف الذي يقف على باب الخليفة أو الأمير أو الوالي وينظم الإذن للدخول وكذلك ينظم لقاءات الاستقبال[٧].

ونظرا لأهمية هذه الوظيفة التي تعني القرب الشديد من الخليفة، وبالتأكيد ستؤثر على سلطاته وسياسته، فقد كان الحُجاب يتم اختيارهم غالبا من أفضل موالي الخليفة، فقد قيل: "ليكن حاجبك من صالح مواليك"[٨].

وكان معاوية بن أبي سفيان هو أول من أقام الحرس والحجّاب في الإسلام[٩]، فكان حاجبه أيوب مولاه[١٠]، وقيل سعد أو رباح مولاه[١]، وقيل زياد بن أبو نوف[٢]، وكان حاجب يزيد بن معاوية خالد مولاه وقيل صفوان[٣]، وحاجب معاوية بن يزيد صفوان مولاه[٤].

---

(١) ابن سعد، **الطبقات**، ج٩، ص ٥١٧.

(٢) البلاذري، **أنساب الأشراف**، ج٥، ص ٤٤٠؛ المعايطة، "الموالي والمناصب"، ع٤٩، ص ٢٢٤- ٢٤٦.

(٣) البلاذري، **فتوح البلدان**، ص ٤٢١؛ الجهشياري، **الوزراء والكتّاب**، ص ٢٣؛ المعايطة، "الموالي والمناصب"، ع٤٩، ص ٢٢٤- ٢٤٦.

(٤) الجهشياري، **الوزراء والكتّاب**، ص ٢٣؛ المعايطة، "الموالي والمناصب"، ع٤٩، ص ٢٢٤- ٢٤٦.

(٥) الجهشياري، **الوزراء والكتّاب**، ص ٢٨؛ المعايطة، "الموالي والمناصب"، ع٤٩، ص ٢٢٤- ٢٤٦.

(٦) الطبري، **تاريخ**، ج٦، ص ١٨٠؛ الجهشياري، **الوزراء والكتّاب**، ص ٣١.

(٧) بن حسين، **الدولة الأموية**، ص ٢٣١.

(٨) الطبري، **تاريخ**، ج٧، ص ٣٥.

(٩) اليعقوبي، **تاريخ**، ج٢، ص ١٤١.

(١٠) ابن خياط، **تاريخ**، ص ٢٢٨.

وكذلك كان الحرس المخصص لحراسة الخلفاء من الموالي، فكان على حرس معاوية المختار مولى حمير وقيل أبو المخارق مولى حمير[٥]، وعلى حرس يزيد سعد مولى كلب[٦].

ونظرا لما تتطلبه وظيفة الحجابة من ثقة وأمانة وإخلاص، ومعرفة ومهارة في إنزال الناس منازلهم وأقدارهم أثناء الاستئذان في مقابلة الخليفة أو الأمير[٧]، ورغم أن الأمويين أولوا الحجابة عناية فائقة، فإن في اختيار بعض الشخصيات من الموالي لشغل هذا المنصب له دلالة واضحة على تأثير هذه الفئة على سلطات الخلفاء، وسبب ذلك يعود إلى تجربة العجم الطويلة في هذه التنظيمات، وكذلك لأمانتهم[٨].

كما كان بعض رؤساء الشرطة في العصر الأموي من الموالي، مما يعزز دورهم في التأثير على الخلفاء بحكم مقامهم، فمن شرطة معاوية بن أبي سفيان وابنه يزيد، يزيد بن الحر مولاهم[٩]، وكان زياد بن أبي سفيان يقول: "أربعة أعمال لا يليها إلا المسن الذي قد عض على ناجذه[١٠]: الثغر، والصائفة، والشرط، والقضاء. وينبغي أن يكون صاحب الشرط شديد الصولة، قليل الغفلة"[١١].

ولم يقتصر الأمر على ذلك، فقد بلغ تأثير الموالي في العصر الأموي مبلغا كبيرا لدرجة أن معاوية كان قد ولى بعض مواليه كولاة على الأمصار، فقد استعمل معاوية مولاه مسلمة بن

---

(١) اليعقوبي، **تاريخ**، ج٢، ص ١٤٨.

(٢) المعايطة، "الموالي والمناصب"، ع٤٩، ص ٢٢٤- ٢٤٦.

(٣) اليعقوبي، **تاريخ**، ج٢، ص ١٦٦.

(٤) المسعودي، **التنبيه والإشراف**، ص ٢٦٥.

(٥) ابن خياط، **تاريخ**، ص ٢٢٨.

(٦) اليعقوبي، **تاريخ**، ج٢، ص ١٦٦.

(٧) رماش، "الوظائف السياسية للموالي"، س٩، ع٣١، ص ١٢٨- ١٣٧.

(٨) بن حسين، **الدولة الأموية**، ص ٩١.

(٩) ابن خياط، **تاريخ**، ص ٢٢٨.

(١٠) يقال: "عضّ على ناجذه" أي بلغ أشده، لأن النواجذ تنبت بعد البلوغ وكمال العقل، وذلك أيضا كناية عن الصبر على الملمات والشدائد. انظر: اليعقوبي، **تاريخ**، ج٢، ص ١٤٤.

(١١) **المصدر نفسه**، ج٢، ص ١٤٤؛ المعايطة، "الموالي والمناصب"، ع٤٩، ص ٢٢٤- ٢٤٦.

مخلد على مصر وافريقية[١]، وكان يوحنا الدمشقي نديما ليزيد بن معاوية، وهو من الذين أسهموا بشكل كبير في نقل الفكر اليوناني والمسيحي إلى الفكر الإسلامي[٢].

ومن تأثير أهل الذمة أن معاوية استعان بمربي نصراني لتأديب ابنه يزيد، وكلف يزيد كاهنا نصرانيا بتثقيف ابنه خالد. وكذلك بالنسبة ليزيد بن معاوية، ففي خلافته كان يكتب له عبيد بن أوس الغساني[٣] وسرجون بن منصور[٤].

وترجم ابن عساكر عن عمر بن شبة لمولاة كانت لمعاوية اسمها ميّة، وذكر أنها كانت ترفع حوائج الناس إلى الخليفة معاوية، وأن ابن الزبير وقف يوما على باب ميّة، وهنا ذكر عمر بن شبة أنه سأل الراوي الذي أخذ منه الرواية وهو أبا بكر محمد بن الحسن بن مقسم: "فقلت يا أبا بكر، على باب ميّة؟ قال: نعم، إذا أعيتك الأمور من رؤوسها، فأتها من أذنابها"[٥].

وروي أيضا في أن عبد الرحمن بن الحكم بن أبي العاص جاء بقرطاس لميّة، وقال: فيه حاجة لي فارفعيها إلى أمير المؤمنين، فدفعته إلى معاوية فقرأه فقال: يا مية ما أحسب هذا الرجل إلا كاذبا، فقالت: لا يفعل يا أمير المؤمنين، ما يقول إلا حقا، فلما قرأه عليها، وتبين لهما كذبه وذلك لأنه ذكر فيه ما يسيء إلى مية ويتهمها في شرفها وأخلاقها، فقال معاوية: كذب عليه لعنة الله[٦].

ومن هذه الرواية يتضح دور الموالي ومساهمتهم في إعانة الخليفة على القيام بأعباء الخلافة ومتطلباتها، فهذا العمل الذي كُلفت به ميّة في الوساطة بين الناس والخليفة يعبر عن تأثير هذه الفئة على سلطات الخليفة في العصر الأموي، بالإضافة إلى أن الخلفاء كانوا يختارون الأمناء من مواليهم، ولذلك لم يقبل معاوية وشاية عبد الرحمن بن الحكم بن أبي العاص في مية، ولعنه على كذبه.

---

(١) ابن عائذ، **كتاب الصوائف**، ص ١٣؛ ابن عبد الحكم، **فتوح مصر والمغرب**، ج١، ص ٢٦٦؛ ابن الجوزي، **المنتظم**، ج٥، ص ٢٢٨؛ ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج١، ص ٤٦.

(٢) أحمد، "دور أهل الذمة"، مج٣٥، ع٢، ص ١٥٥ـ ١٧٩.

(٣) الصولي، **أدب الكاتب**، ج٢، ص ١٤٣.

(٤) ابن قتيبة، **الإمامة والسياسة**، ج١، ص ١٨٧؛ الجهشياري، **الوزراء والكتّاب**، ص ٢٦؛ ابن مسكويه، **تجارب الأمم**، ج٢، ص ٤٠.

(٥) ابن عساكر، **تاريخ دمشق**، ج٧٠، ص ١٣٤.

(٦) **المصدر نفسه**، ج٧٠، ص ١٣٤.

ولا يمكن تجاهل ما تكشف عنه الروايات السابقة من إشارات يمكن من خلالها أن نستنتج الثقة الكبيرة التي كان يوليها الخلفاء في العصر الأموي- الفترة الزمنية موضوع البحث- لمواليهم، وبرهان ذلك أنهم اعتمدوا عليهم في الكثير من المهام، وأوكلوا إليهم بعض المناصب الرفيعة والحساسة في الإدارة والخراج والشرطة والحرس وغيرها.

الفصل الرابع

العوامل المؤثرة في سلطة الخليفة الأموي

٤١- ٦٤هـ/ ٦٦١- ٦٨٤م

أولا: المعارضة (الأحزاب والتيارات السياسية).

ثانيا: الأحوال الاقتصادية.

ثالثا: الأوضاع العسكرية (الجبهات والثغور على حدود الدولة الإسلامية).

الفصل الرابع
العوامل المؤثرة في سلطة الخليفة الأموي
٤١- ٦٤هـ/ ٦٦١- ٦٨٤م

أولا: المعارضة (الأحزاب والتيارات السياسية):

تعد المعارضة السياسية أحد العوامل الرئيسية التي ساهمت بشكل أو بآخر في تغيير ملامح الأحداث في العصر الأموي، فقد قامت دولة بني أمية أساسا على خلاف بين فرقتين سياسيتين، وظلت الفرق الدينية أو السياسية تظهر بصورة مستمرة طيلة العصر الأموي، وشهد العصر الأموي في الفترة السفيانية الكثير من الأحداث التي تدل على شدة تأثير المعارضة السياسية في سير الأمور وتوجيه مجرياتها في العصر الأموي، فكانت البدايات في مقتل عثمان والمطالبة بدمه وانقسام الناس إلى عثمانية وغير عثمانية، ومن ثم منافسة معاوية لعلي على الخلافة وظهور الشيعة العلويين وشيعة معاوية، وبعد ذلك محاولات معاوية في الضغط على الحسن بن علي حتى تنازل له عن الخلافة وتحقق له ما يريد.

ولم يقتصر الأمر على ذلك بل تجاوز إلى ظهور الكثير من الحركات والأحداث المعارضة لدولة بني أمية سياسيا، كما برزت الأقاليم المعارضة للحكم الأموي، ومنها إقليم العراق وما حدث فيه من خروج حجر بن عدي الكندي، وغيره من الأحداث التي تبين طبيعة نظرة أهل العراق وعلاقتهم بالحكم الأموي؛ لذا فقد اختلفت معاملة الخليفة معاوية لأهل الشام عن معاملته لأهل العراق، لأن الأوضاع بالشام كانت تنعم بالهدوء والاستقرار ولم تحدث فيه أي أحداث جسيمة تعارض حكم معاوية، وهذا بفعل محبة أهل الشام لمعاوية وبني أمية ورضاهم بالحكم الأموي أولا، وبسبب أن معاوية كان يمارس الحكم في الشام بنفسه وبصورة مباشرة بخلاف العراق والحجاز ثانيا(١).

وكذلك فإن معارضة أهل الحجاز لخلافة بني أمية بالإضافة إلى امتناع بعض منهم عن البيعة لمعاوية، وبعد ذلك قضية العهد ليزيد وما نتج عنها من تخلف ورفض من قبل أهل الحجاز وخصوصا أبناء الصحابة، وصولا إلى ثورة الحسين بن علي، وأحداث الحرة التي هي في

(١) عبدالله، "أساليب الخليفة معاوية"، مج١٠، ع٢٠، ص ٧- ٢٥.

الأساس نتاج لمعارضة سياسية، وحركة التوابين[1]؛ كلها تعبر عن عمق تأثير المعارضة السياسية في سلطات الخلفاء، فالمتمعن والمتتبع لتلك الأحداث التي عاشتها الفترة الانتقالية بين حكم الراشدين وحكم الأمويين، لا بد من أن يلاحظ ذلك، وعليه يمكن أن نفترض أن المعارضة السياسية كانت عامل مؤثر في سلطة الخليفة الأموي في الفترة السفيانية، وللتحقق من صحة هذه الفرضية سوف نتتبع الروايات في المصادر التاريخية التي أرخت للفترة الزمنية موضوع هذه الدراسة.

فقد حفظت لنا الروايات التاريخية الكثير من الدلائل على تأثير المعارضة السياسية في سلطة الخليفة في العصر الأموي، ومما يندرج تحت بند المعارضة السياسية ما ورد في أن معاوية بن أبي سفيان عندما صالح الحسن بن علي- رضي الله عنه- على أن يتنازل له عن الخلافة، أرسل إليه بصحيفة بيضاء مختوم على أسفلها، وكتب إليه أن يشترط في الصحيفة التي ختم في أسفلها ما شاء فهو له[2].

وفي الرواية الشيعية أن الحسن بن علي- رضي الله عنه- شرط على معاوية: "ألا يأخذ أحدًا من أهل العراق بإحنة، وأن يؤمن الأسود والأحمر، ويحتمل ما يكون من هفواتهم، ويجعل له خراج الأهواز مسلمًا في كل عام، ويحمل إلى أخيه الحسين بن علي في كل عام ألفي ألف، ويفضل بني هاشم في العطاء والصلات على بني عبد شمس"[3]، وشرط عليه أيضا أن يلي الحسن الأمر من بعد معاوية، وقيل أن يترك الأمر شورى من بعده[4].

ورغم من أن رواية الطبري أشارت إلى أن معاوية كان قد أتفق مع الحسن قبل ذلك على بعض الشروط، ولكنه لم ينفذ له شيئا منها فيما بعد[5]، وبالمقابل تقول الروايات الشيعية خلاف

---

(١) أحد حركات المعارضة السياسية التي قامت على يد سليمان بن صرد الخزاعي (ت ٦٥هـ/ ٦٨٤م)، وهو أحد رؤوساء الشيعة بالكوفة، خرج سنة ٦٤هـ/ ٦٨٤م مناديا بالثأر من قتلة الحسين، قتل مع أصحابه في موقعة عين الوردة سنة ٦٥هـ/ ٦٨٤م من قبل قوات الشام. انظر: البلاذري، **أنساب الأشراف**، ج٦، ص ٣٦٣؛ الطبري، **تاريخ**، ج٥، ص ٥٨٣؛ غني، أسماء عبدالله. "دور الموالي للحركات المناهضة في الكوفة ضد الحكم الأموي". **مجلة الآداب**، جامعة بغداد، ٢٠١٠م، ع٩٤، ص ٣٧- ٩٢. (سيشار إليه فيما بعد: غني، "دور الموالي").

(٢) ابن أعثم الكوفي، **الفتوح**، ج٤، ص ٢٩٠؛ ابن الجوزي، **المنتظم**، ج٥، ص ١٦٥.

(٣) الدينوري، **الأخبار الطوال**، ص ٢١٨.

(٤) البلاذري، **أنساب الأشراف**، ج٣، ص ٢٨٦.

(٥) الطبري، **تاريخ**، ج٥، ص ١٦٢.

ذلك[1]، إلا أن مسألة أن يقدم معاوية المبادرة بأن يعطي المجال والفرصة الكاملة لخصم سياسي ذو حضور ومقام لدى جمهور المسلمين، وهو يعلم أن قلوب جمهور المسلمين مع الحسن أكثر مما هي معه، إلا أن الظروف السياسية فرضت على الحسن أن يتنازل له، فإن هذا الإقبال من معاوية يدل على أن المعارضة السياسية كانت عامل محرك لتصرفات الخلفاء التي تنعكس وتعبر عن سلطتهم وصلاحياتهم.

ويمكن القول هنا تحليلا لما روته الرواية القائلة أن الحسن أشترط على معاوية أن يعيدها إليه بعد وفاته[2]، أنه ليس من المنطقي أن يتنازل الحسن- رضي الله عنه- عن الخلافة لمعاوية وهو بصير وعارف بالظروف المحيطة، ثم يشرط عليه أن يعيدها له من بعده، وهو أمر لا يقبله العقل، فلو كان حريصا على الاحتفاظ بها في ظل تلك الظروف الدامية لتمسك بها، ولكنه اختار التنازل لمعاوية مقابل حقن دماء المسلمين؛ فهو يعلم أن معاوية ما دام قد نازعه عليها قبل أن يصل إليها في ذلك الوقت من المستحيل أن يعيدها إليه مستقبلا بعد أن يصل إلى الخلافة.

ويمكن الاستدلال على ذلك مما روي عن الحسن حين تنازل لمعاوية أنه قال: "إن هذا الأمر الذي سلمته لمعاوية إما أن يكون حق رجل كان أحق به مني فأخذ حقه، وإما أن يكون حقي فتركته لصلاح أمة محمد وحقن دمائها، فالحمد لله الذي أكرم بنا أولكم، وحقن دماء آخركم"[3]. وهذه المقولة- إن صحت- تدل على أن الحسن بن علي- رضي الله عنه- أعقل من أن يشترط على معاوية أن يعيد إليه الخلافة.

إلا أن هذا السخاء من معاوية في إعطاء الحسن بن علي كافة الفرص مقابل التنازل له بالخلافة، وكذلك الأمر بالنسبة لبعض التصرفات التي أقدم عليها معاوية- كما تقول الرواية الشيعية- كحرص معاوية على أن يتخلص من الحسن بن علي بأي شكل من الأشكال عندما قرر أن يبايع ليزيد بولاية العهد، وذلك لأن معاوية كان قد أتفق مع الحسن عندما تنازل له بالخلافة أن يجعل الأمر من بعده شورى[4]، يعبر عن دور المعارضة السياسية في توجيه سلطة الخليفة ودفعه إلى اتخاذ بعض القرارات التي ربما ما كان ليقدم عليها يوما إلا في حالات نادرة جدا،

---

(١) فقد جاء في رواية الدينوري: "ولم ير الحسن ولا الحسين طول حياة معاوية منه سوءا في أنفسهما ولا مكروهاً، ولا قطع عنهما شيئاً مما كان شرط لهما، ولا تغير لهما عن بر". انظر: الدينوري، **الأخبار الطوال**، ص ٢٢٥.

(٢) البلاذري، **أنساب الأشراف**، ج٣، ص ٢٨٦.

(٣) **المصدر نفسه**، ج٣، ص ٢٨٨.

(٤) ابن أعثم الكوفي، **الفتوح**، ج٤، ص ٣١٨.

وكذلك يكشف لنا جانب مهم من السياسة الأموية القائمة على بذل المال[1] لإرضاء المعارضين وإخضاع خصومهم السياسيين، وهو أسلوب يعبر عن نضج سياسي، ودهاء ودراية عميقة بإدارة الأوضاع وكسب المناوئين، فما لا يدرك بالسيف يمكن أن يدرك بالمال.

ورُوي أنه لما بلغ أهل البصرة ما كان من بيعة الحسن لمعاوية، ثاروا وقالوا: لا نرضى أن يصير الأمر إلى معاوية، وفي تلك الأثناء وثب رجل منهم يقال له حمران بن أبان[2] فتغلب على البصرة فأخذها، ودعا للحسين بن علي، وعندما بلغ ذلك معاوية وجه بعمرو[3] بن أبي أرطاة[4] الفزاري- وهو أخو بسر- على رأس جيش، واستطاع جيش عمرو بن أبي أرطأة أن يفرق الثائرين وإعادة الهدوء للبصرة[5].

ويرى أبو ستة أن معاوية واجه نوعين من المعارضة، الأولى: معارضة مبدئية ومن أولئك الحسين وعبدالله بن الزبير وغيرهما، والثانية: معارضة باحثة عن مصالح ذاتية ومن أؤلئك مروان بن الحكم وسعيد بن عثمان بن عفان[6]، فأغراهما بالمال والمناصب[7].

ومن المؤكد على ذلك أيضا أن معاوية أراد تعيين زياد بن أبيه على ولاية البصرة؛ لكسب وده وضمان ولائه بعد أن كان معارضا لمعاوية ومشايعا لعلي، وكان على البصرة آنذاك

---

(١) أولى معاوية منذ أيامه الأولى اهتماما خاصا بجني الأموال والمحافظة عليها، وذلك لأنه يرى أن وفرة المال هو أحد المقومات الأساسية لضمان مسار الحكم وقوته، وغدا العطاء وما يتبعه من هدايا وهبات من وسائل السيطرة وضمان الولاء والتأييد لسلطانه. انظر: حسن، ناجي. "الأثر الاقتصادي في الحياة السياسية خلال العصر الأموي". **مجلة كلية الآداب**، جامعة بغداد، ٢٠٠٢م، ع٧٢، ص ٣٢١- ٣٧١. (سيشار إليه فيما بعد: حسن، "الأثر الاقتصادي في الحياة السياسية").

(٢) هو حمران بن أبان بن خالد النميري، سبي من عين التمر وهي بلدة تقع بالقرب من الأنبار غربي الكوفة، اشتراه عثمان بن عفان من المسيب بن نجبة، وأعتقه، فهو من موالي عثمان، وكان عثمان قد أرسله ذات مرة إلى الكوفة ليسأل عن عاملها فكذبه، فأخرجه من جواره، ونزل البصرة. انظر: ابن سعد، **الطبقات**، ج٩، ص ١٤٩؛ ابن عساكر، **تاريخ دمشق**، ج١٥، ص ١٧٢.

(٣) لم أجد له ترجمة، سوى أنه أخو بسر بن أبي أرطأة.

(٤) وقيل بسر بن أبي أرطأة. انظر: الطبري، **تاريخ**، ج٥، ص ١٦٧.

(٥) **المصدر نفسه**، ج٥، ص ١٦٧؛ ابن أعثم الكوفي، **الفتوح**، ج٤، ص ٢٩٦.

(٦) قدم دمشق على معاوية فولاه خراسان، وفتح سمرقند، عزله معاوية عن خراسان سنة ٥٧هـ/ ٦٧٦م، وقتل في المدينة المنورة على يد أعاجم جاء بهم من خراسان، ولم تذكر المصادر سنة وفاته. انظر: ابن سعد، **الطبقات**، ج٧، ص ١٥٢؛ ابن عساكر، **تاريخ دمشق**، ج٢١، ص ٢٢٠.

(٧) أبو ستة، سليمان سعد حمد. **تطور النظام السياسي الإسلامي منذ الهجرة حتى نهاية العصر الأموي ١- ١٣٢هـ/ ٦٢٢- ٧٥٠م.** رسالة دكتوراه غير منشورة، الجامعة الإسلامية، غزة، ٢٠١٣م، ص ١١٤. (سيشار إليه فيما بعد: أبو ستة، **تطور النظام السياسي الإسلامي**).

عبدالله بن عامر، فعزل معاوية ابن عامر وولى الحارث بن عبد الله الأزدي[1] البصرة، في مطلع سنة ٤٥هـ/ ٦٦٥م، فأقام بالبصرة أربعة أشهر، ثم عزله. وكان معاوية عزل ابن عامر أصلا ليولي زياداً، فولى الحارث كالفرس المحلل- كما يقول الطبري- ثم عزله معاوية وولاها زيادًا[2].

ومما جاء في تأثير المعارضة السياسية على سلطة الخليفة أيضا أن أبا موسى الأشعري قدم على معاوية فدخل عليه في برنس أسود، فلما خرج من عنده قال: "قدم الشيخ لأوليه ووالله لا وليته"[3]. فكما هو معلوم أن أبا موسى الأشعري كان من الموالين لعلي بن أبي طالب- رضي الله عنه-، وهو الذي اختاره ليمثله في التحكيم[4]، وعليه فإن الخلاف السياسي الذي تبلور فيما بعد في المعارضة السياسية التي واجهها معاوية كان أحد الأسباب التي دفعت معاوية وأثرت عليه كي يقول القول الآنف.

وتحت تأثير المعارضة السياسية الحجازية، قدم معاوية المدينة المنورة سنة ٥٠هـ/ ٦٧٠م، محاولا اقناع أبناء الصحابة بالبيعة ليزيد[5]، وبفعل المعارضة السياسية أيضا فكر معاوية في نقل منبر رسول الله- صلى الله عليه وسلم- إلى الشام سنة ٥٠هـ/ ٦٧٠م، وعندما حركه، كسفت الشمس حتى رُئيت النجوم، فأعظم الناس ذلك، فتراجع معاوية عن ذلك، وتحجج بأنه خاف أن يكون قد أكلته الأرضة، وأنه أراد النظر إليه فقط[6].

وفي سنة ٥١هـ/ ٦٧١م نكّل معاوية بحجر بن عدي الكندي وأصحابه بسبب معارضتهم السياسية واستمرار تشيعهم لعلي والإجهار بذلك، وكان سبب ذلك- وفقا للمصادر[7]- أن المغيرة بن شعبة كان عاملًا على الكوفة لمعاوية سبع سنين وأكثر، وكان من أحسن شيء سيرةً، وأشدهم حباً للعافية، بيد أنه كان لا يكف عن ذم علي والوقوع فيه والعيب واللعن لقتلة عثمان، وكان ذلك

---

(١) هو الحارث بن عبد قيل ابن عبدالله بن وهب الأزدي النمري الدوسي، له صحبة، وشهد يوم اليرموك، وشهد صفين مع معاوية وجعله معاوية على رجاله في فلسطين. واستعمله معاوية على البصرة سنة ٤٥هـ/ ٦٦٥م بعد أن عزل عبدالله بن عامر، فلم يلبث إلا قليلا حتى كتب أهل البصرة إلى معاوية يستعفونه منه ويشكون ضعفه، وكتب الحارث إلى معاوية يستعفي، فولى معاوية زياد. انظر: ابن عساكر، **تاريخ دمشق**، ج١١، ص ٤٥٢.

(٢) الطبري، **تاريخ**، ج٥، ص ٢١٦.

(٣) البلاذري، **أنساب الأشراف**، ج٥، ص ٥٠؛ الطبري، **تاريخ**، ج٥، ص ٣٣٢.

(٤) ابن مزاحم، **وقعة صفين**، ص ٥٠٠؛ اليعقوبي، **تاريخ**، ج٢، ص ٩١.

(٥) ابن قتيبة، **الإمامة والسياسة**، ج١، ص ١٩٤.

(٦) الطبري، **تاريخ**، ج٥، ص ٢٣٨.

(٧) ابن سعد، **الطبقات**، ج٦، ص ٤٢٣؛ الطبري، **تاريخ**، ج٥، ص ٢٥٣ وما بعدها؛ ابن الجوزي، **المنتظم**، ج٥، ص ٢٤١.

أيضا بسبب وصية معاوية له عند توليته له: "لا تتحم[1] عن شتم علي وذمه، والترحم على عثمان والاستغفار له، والعيب على أصحاب علي، والإقصاء لهم، وترك الاستماع منهم؛ وبإطراء شيعة عثمان رضوان الله عليه، والإدناء لهم، والاستماع منهم"[2]، وكان ذلك يُغضب حجر بن عدي ويدفعه للرد على المغيرة في المسجد[3].

وهذا يكشف لنا تأثير كراهية معاويبة لخلافة علي اختلافه معه في حكمه وسلطته فيما بعد، فهو كما جاء في الرواية الآنفة يوصي المغيرة بن شعبة بأن يظل يشتم علي على المنابر وبالمقابل يمدح عثمان ويظهر مناقبه، وأن يعيب شيعة علي ويقصيهم ويطري شيعة عثمان ويدنيهم، وهذا يعطي الباحث تصورا حول طبيعة الظروف التي أدت إلى ظهور الثورات والفتن فيما بعد والتي اعتبرت معارضة سياسية لخلافة بني أمية.

ونعود إلى الرواية، فقد استمر المغيرة بن شعبة على حاله هذا، وظل حجر بن عدي وأصحابه يغضبون ويردون على المغيرة في المسجد، حتى جاء زياد واليا من قبل معاوية، فقام في أول ولايته في المسجد وذكر عثمان وأصحابه فقرظهم، وذكر قتلته ولعنهم، ففعل حجر كما كان يفعل مع المغيرة، فكتب زياد إلى معاوية بأمر حجر بن عدي وأصحابه، وكانت حادثة قتلهم[4].

ومن حادثة حجر بن عدي وأصحابه يتبين مدى تأثير المعارضة السياسية على سلطات الخلفاء في العصر الأموي، فالمعارضة كانت عامل موجه لتصرفات الخلفاء وقراراتهم، وذلك لأن معاوية ما كان ليبقي على حجر وأصحابه وهو يدرك عظيم ولاءهم لعلي خصوصا في تلك الفترة المبكرة من حكم معاوية، فوجودهم يشكل خطر وتهديد على حكم معاوية وسلطته في إحكام السيطرة على إقليم العراق.

ومما سبق أيضا يمكن الكشف عن طبيعة العلاقة بين الدولة الأموية وإقليم العراق، فالمتتبع لهذه العلاقة على امتداد العصر الأموي يلاحظ أن إقليم العراق لم يمثل أبدا قوة اندماجية

---

(١) التحمة هي البرود، والمقصود هنا أي لا تتوقف ولا تنقطع أو لا تتهاون ولا تتوانى. انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مج١، ص ٤٢٢.

(٢) الطبري، **تاريخ**، ج٥، ص ٢٥٣ وما بعدها.

(٣) ابن الجوزي، **المنتظم**، ج٥، ص ٢٤١.

(٤) ابن سعد، **الطبقات**، ج٦، ص ٤٢٣.

ينصّب تأثيرها نحو الانصهار في خلافة بني أمية في دمشق، بل كان قوة انقسامية جبارة ظلت ترهق الدولة الأموية طيلة عهدها[1].

وفي نفس الإطار أيضا كان للمعارضة السياسية الحجازية- إلى جانب المعارضة العراقية- دور في التأثير على سلطات الخلفاء في الفترة موضوع الدراسة، فعندما أراد معاوية البيعة ليزيد بولاية العهد من بعده سنة ٥٦هـ/ ٦٧٦م، استجاب له الناس عدا خمسة أنفار[2]، وبعض هؤلاء مثلوا لاحقا رؤوس المعارضة السياسية التي أقلقت الدولة الأموية ودفعت الخلفاء لاتخاذ قرارات وسياسات ما كانت لتتخذ لولا معارضتهم.

فكما أشرنا سابقا أن معاوية كتب إلى مروان بن الحكم- والي المدينة المنورة آنذاك- يأمره أن يدعو الناس إلى بيعة يزيد، ويخبرهم بأن أهل مصر والشام والعراق قد بايعوا[3]، وذلك لأجل حثهم إلى الإسراع في الاستجابة، ولكن لم يحدث الأمر كما كان يتمناه معاوية، فحين أخبر مروان أهل المدينة بكتاب معاوية، أبى الكثير منهم إجابة معاوية إلى طلبه، فكتب مروان لمعاوية يخبره بأن الناس رفضوا إجابته إلى بيعة يزيد[4]، فعزل معاوية مروان عن المدينة، وولى عليها سعيد بن العاص[5].

ويُستنتج من ذلك تأثير المعارضة السياسية على سلطة الخليفة الأموي، فقد أتخذ معاوية بعض الإجراءات تحت هذا التأثير، منها: عزل مروان، وتولية سعيد بن العاص؛ نتيجة لعدم استجابتهم، كما وجه معاوية الأوامر إلى سعيد بن العاص بأن يأخذ أهل المدينة بالبيعة ليزيد بغلظة وشدة، ولا يدع أحداً من المهاجرين والأنصار وأبنائهم حتى يبايعوا، وأمره ألا يحرك هؤلاء النفر، ولا يهيِجهم[6].

---

(١) العشّي، عمار. "دراسة في علاقة الإقليم بالسلطة المركزية في تاريخ الدولة الإسلامية: مثال العراق في العهد الأموي ٤١- ١٣٢هـ/ ٦٦٠- ٧٥٠م". **مجلة المشكاة**، جامعة الزيتونة، ٢٠٠٥م، ع٣، ص ٢٠٣- ٢٤٦. (سيشار إليه فيما بعد: العشي، "دراسة في علاقة الإقليم بالسلطة المركزية").

(٢) الحسين بن علي، وعبدالله بن عباس، وعبدالله بن عمر، وعبدالله بن الزبير، وعبد الرحمن بن أبي بكر. انظر: الطبري، **تاريخ**، ج٥، ص ٣٠٣.

(٣) ابن قتيبة، **الإمامة والسياسة**، ج١، ص ١٩٧؛ ابن أعثم الكوفي، **الفتوح**، ج٤، ص ٣٣٤؛ المسعودي، **مروج الذهب**، ج٣، ص ٣٠.

(٤) ابن قتيبة، **الإمامة والسياسة**، ج١، ص ١٩٧.

(٥) **المصدر نفسه**، ج١، ص ١٩٧.

(٦) **المصدر نفسه**، ج١، ص ٢٠٤.

ومن ثم اضطر معاوية إلى الذهاب بنفسه إلى المدينة المنورة؛ محاولا مخاطبتهم وإيهام الناس بأن هؤلاء المعارضين قد استجابوا لبيعة يزيد(١)، ومتحججا ومبررا بأن أمر البيعة ليزيد قضاء الله وقدره ولا خيار لهم فيه، وأنه يكره أن يترك أمة محمد من بعده كالضأن لا راعي لها، وأنه يحاول سد الخلل ورأب الصدع بولاية العهد من بعده ليزيد(٢)، ومن الملحوظ هنا أن استخدام معاوية أسلوب إيهام الناس بأن النفر المعارضين قد بايعوا(٣)، يعد مؤشرا مهما على إدراكه وعلمه بمدى تأثير هؤلاء النفر المعارضين لبيعة يزيد على عامة الناس، وارتباط قبول الناس بقبولهم والعكس(٤).

ومن القرارات التي تأثرت بالمعارضة السياسية الهاشمية أن معاوية حين زار المدينة حاجا سنة ٥٦هـ/ ٦٧٦م، خرج من المدينة متجها إلى مكة وقد أمر بإعطاء الناس أعطياتهم، وأجزل العطاء، وأخرج إلى كل قبيلة جوائزها وأعطياتها، ولم يخرج لبني هاشم جائزة ولا عطاء(٥)، فخرج ابن عباس وراءه واعترضه في الطريق، وسأله أعطيات بني هاشم، فشرط عليه معاوية أن يبايع الحسين بن علي ليزيد لكي ينفذ لبني هاشم أعطياتهم، فأجابه ابن عباس: "فقد أبى ابن الزبير فأخرجت جائزة بني أسد، وأبى عبد الله بن عمر، فأخرجت جائزة بني عدي، فمالنا إن أبى صاحبنا، وقد أبى صاحب غيرنا؟ فقال معاوية: لستم كغيركم، لا والله لا أعطيكم درهماً حتى يبايع صاحبكم"(٦).

ورغم تفرد ابن قتيبة بإيراد الرواية الآنفة عن بقية المصادر الأخرى، والشك الذي يحوم حولها بسبب عدم وجود رواية أخرى داعمة لصحتها- على حد علم الباحثة- إلا أنها تمثل علامة فارقة في التعبير عن خصوصية المعارضة الهاشمية ودورها في التأثير على سلطات الخليفة الأموي، باعتبار بني هاشم هم المنافسين الأكثرا خطرا على حكم البيت الأموي، وهذا اعتراف أموي صريح بأحقية بني هاشم وتفوقهم في القرابة والنسب والسابقة وغيرها من المعايير التي افترضها كتاب السياسة الشرعية في الأولوية بأحقية الخلافة والتوريث في التاريخ الإسلامي.

---

(١) الطبري، **تاريخ**، ج٥، ص ٣٠٣.

(٢) ابن قتيبة، **الإمامة والسياسة**، ج١، ص ٢٠٤.

(٣) الطبري، **تاريخ**، ج٥، ص ٣٠٣.

(4) Shaddel, Mehdy, "The Sufyānī in Early Islamic Kerygma: An Enquiry into His Origins and Early Development", **Journal of the Royal Asiatic Society,** Cambridge University Press,2017 AD, Vol. 27, Issue. 3, P. 403- 434. (It's will be pointed to later: Shaddel, "The Sufyānī in Early Islamic Kerygma").

(٥) ابن قتيبة، **الإمامة والسياسة**، ج١، ص ٢١٣.

(٦) **المصدر نفسه**، ج١، ص ٢١٣؛ الأميني النجفي، **الغدير**، ج١٠، ص ٢٥٤.

وليس من شيء يمكن أن يكشف لنا عظم تأثير المعارضة السياسية على سلطات الخلفاء في العصر الأموي إجمالا، وفي الفترة السفيانية موضوع الدراسة خصوصا، أكثر من وصية الخليفة معاوية الأخيرة حين حضرته الوفاة والتي كتبها لولي عهده يزيد، فقد كان جل الوصية عن المعارضة السياسية التي سيواجهها[1]، وهي أمر حتمي الحدوث من وجهة نظر معاوية كما يبدو من وصيته، بالإضافة إلى نصحه بطريقة التعامل معها إن واجهها:

"لا أتخوف أن ينازعك هذا الأمر الذي استتب لك إلا أربعة نفر من قريش: الحسين بن علي، وعبدالله بن عمر، وعبدالله بن الزبير، وعبدالرحمن بن أبي بكر؛ فأما عبدالله بن عمر فرجل قد وقذته العبادة، وإذا لم يبق أحد غيره بايعك، وأما الحسين بن علي فإن أهل العراق لن يدعوه حتى يخرجوه، فإن خرج عليك فظفرت به فاصفح عنه فإن له رحماً ماسة وحقاً عظيماً؛ وأما ابن أبي بكر فرجل إن رأى أصحابه صنعوا شيئاً صنع مثلهم، ليس له همة إلا في النساء واللهو، وأما الذي يجثم لك جثوم الأسد، ويراوغك مراوغة الثعلب، فإذا أمكنته فرصةٌ وثب، فذاك ابن الزبير، فإن هو فعلها بك فقدرت عليه فقطعه إرباً إرباً"[2]. وفي رواية: "إلا أن يلتمس منك صلحًا، فإن فعل فاقبل منه"[3].

ومما سبق يتضح أن معاوية حقا كان يخاف على يزيد من اعتراض بعض الشخصيات القرشية ذات المكانة المرموقة في المجتمع الإسلامي، ويمكن الاستدلال على ذلك أيضا بالرجوع إلى بعض الروايات التي تعبر عن تأثير شخصية مثل ابن الزبير على معاوية، فقد قال معاوية يوماً وهو في جماعة من أهل بيته: "من يكفيني ابن الزبير، فوالله ما أردت أمرا إلا عاند فيه، ولا تكلمت في شيء إلا اعترض في قولي، وهو بعد غلام من غلمان قريش، إلا أنه غير معروف بالأفن (بالضعف) وإن كان حديث السن"[4].

وقد روى البلاذري أن ابن الزبير سأل معاوية بعض الحوائج ذات مرة، فأبى معاوية أن ينفذ له حوائجه، فما كان من ابن الزبير إلا أنه تهدد معاوية: "يا أمير المؤمنين، أو يا معاوية، إني لخليق أن أخرج فأقعد على طريق الشام فلا أشتم لك عرضاً ولا أقصب لك حسباً، ولكني أسدل

---

(١) ابن سعد، **الطبقات**، ج٦، ص ٢٧.

(٢) الطبري، **تاريخ**، ج٥، ص ٣٢٢؛ ابن الجوزي، **المنتظم**، ج٥، ص ٣٢٠.

(٣) البلاذري، **أنساب الأشراف**، ج٥، ص ١٥٢.

(٤) **المصدر نفسه**، ج٥، ص ٧٨.

عمامتي بين يدي ذراعاً وخلفي ذراعاً، وأذكر سيرة أبي بكر وعمر، فيقال هذا ابن حواري رسول الله"(١)، فاضطر معاوية أن يقضها له.

وفي موقف آخر روى البلاذري عن المدائني عن حفص بن عمرو عن ابن سيرين، أن ابن الزبير طلب من معاوية أن يقضي للحسين حاجة، فأباها معاوية، "فأخذ ابن الزبير بيده فغمزها، فقال له معاوية: خلني ويحك، قال: لا والله أو تقضي حاجة الحسين وإلا كسرتها، قال: فإني أفعل، فخلى يده، ثم قال: يا أمير المؤمنين أكنت ترى أنني أكسر يدك؟ قال: وما يؤمنني ذلك منك؟"(٢).

وكان أثر السوابق التي كان قد رآها معاوية من الزبير واضح في وصيته ليزيد، حيث أنه كان يرى بعين اليقين وقوع معارضة سياسية من قبل ابن الزبير وأنه سيكون مراوغ ولن يستسلم ولن يبايع ليزيد مهما صار، لذلك علمه الطريقة التي يتعامل بها معه إن خرج عليه، هذا فضلا عن وجود شخصيات أخرى تشكل خطر على خلافة يزيد إن خرجت عليه، وهم نفسهم الأنفار الذين رفضوا البيعة ليزيد عندما قرر معاوية العهد له من بعده.

وكما يبدو فقد نصح معاوية ابنه ووجهه في كيفية التعامل مع كل رأس من رؤوس المعارضة في حالة خروجه، وسرد له شخصية ومطامح كل واحد من الرجال الذين يتخوف خروجهم ومعارضتهم(٣)، من خلال خبرته العميقة بهم، كما علّم معاوية ابنه بأن بعض منهم ربما يستجيب ولن يخرج إن لم يتأثر بغيره وكذلك بسبب انشغاله بالعبادة كعبدالله بن عمر مثلا: "فأما عبدالله بن عمر فرجل قد وقذته العبادة، وإذا لم يبق أحد غيره بايعك"(٤)، وعبدالرحمن بن أبي بكر: "وأما ابن أبي بكر فرجل إن رأى أصحابه صنعوا شيئاً صنع مثلهم، ليس له همة إلا في النساء واللهو"(٥).

ولكن هذا لا يمنع وقوع الخطر، فقد كان معاوية يتخوف، لذلك يوجهه أن يتجنب ما لا تحمد عقباه، وخصوصا أن البعض حتما سيخرج: "وأما الحسين بن علي فإن أهل العراق لن

---

(١) البلاذري، **أنساب الأشراف**، ج٥، ص ٧٣.

(٢) **المصدر نفسه**، ج٥، ص ٧٣.

(٣) ابن سعد، **الطبقات**، ج٦، ص ٢٨؛ ابن مسكويه، **تجارب الأمم**، ج٢، ص ٣٧.

(٤) الطبري، **تاريخ**، ج٥، ص ٣٢٢.

(٥) **المصدر نفسه**، ج٥، ص ٣٢٢.

يدعوه حتى يخرجوه"[١]، لذلك أراد أن يبصره بكل من يتخوف منهم، وشرح له كيفية التصدي لهم بأقل الخسائر وأفضل المكاسب: "وأحقن دماء قومك ما استطعت"[٢].

وحرص معاوية على توجيه ابنه في كيفية التعامل مع أهل الأقاليم، وركز أولا على أقاليم المعارضة السياسية:

"انظر أهل الحجاز فإنهم أصلك، فأكرم من قدم عليك منهم، وتعاهد من غاب، وانظر أهل العراق، فإن سألوك أن تعزل عنهم كل يوم عاملاً فافعل، فإن عزل عامل أحب إلي من أن تشهر عليك مائة ألف سيف، وانظر أهل الشأم فليكونوا بطانتك وعيبتك، فإن نابك شيء من عدوك فانتصر بهم، فإذا أصبتهم فاردد أهل الشأم إلى بلادهم، فإنهم إن أقاموا بغير بلادهم أخذوا بغير أخلاقهم"[٣].

وهذا يعبر بشكل كبير عن تأثير المعارضة على سلطة الخليفة وقراراته، وذلك يتجلى في تبيان السبب، فالملحوظ أن معاوية ينصح ابنه بالاستجابة لمطالب أهل العراق في مسألة التعيين والعزل، ومن ثم يبرر تلك النصيحة بأنه عزل عامل كل يوم أحب إليه من ثورة العراق عليه، ومعاوية يعلم خطورة ذلك على خلافة يزيد؛ لذا اختص الحجاز والعراق والشام بأن ضمّنها في وصيته الأخيرة.

وتأكيدا على كون المعارضة عامل مؤثر على سلطات الخلفاء، فقد كان همّ يزيد بن معاوية عندما تولى الخلافة أن يحصل على بيعة النفر الذين رفضوا مبايعته بولاية العهد من قبل[٤]، لذا كتب إلى الوليد بن عتبة لدعوتهم للبيعة باللين[٥]، وإن لم يستجيبوا أمره أن يأخذهم بالشدة من دون رخصة[٦]، ووصل تأثير المعارضة على الخليفة يزيد أنه عندما جرت مراسلات بينه وبين ابن الزبير، ورأى رفض ابن الزبير أن يبايعه بالخلافة وذلك سنة ٦٠هـ/ ٦٨٠م، أن

---

(١) الطبري، **تاريخ**، ج٥، ص ٣٢٢.

(٢) **المصدر نفسه**، ج٥، ص ٣٢٢.

(٣) **المصدر نفسه**، ج٥، ص ٣٢٢.

(٤) ابن الجوزي، **المنتظم**، ج٥، ص ٣٢٢.

(٥) الطبري، **تاريخ**، ج٥، ص ٣٣٨؛ ابن أعثم الكوفي، **الفتوح**، ج٥، ص ٩.

(٦) الدينوري، **الأخبار الطوال**، ص ٢٢٧.

حلف يزيد ألا يقبل من ابن الزبير شيء حتى يؤتى به مقيدا في سلسلة[١]، وأمر يزيد عمرو بن سعيد بإتمام ذلك[٢].

أما فيما يخص المعارضة العراقية، فقد حفظت لنا المصادر أنه بلغ معاوية أن رجال من أهل العراق وأشراف الحجاز يأتون إلى الحسين بن علي يجلونه ويعظمونه، فكتب معاوية إلى الحسين يحذره الفتنة وشق عصا الأمة، ورد عليه الحسين برد غليظ يذكره فيه بما فعل في أمر زياد وقتل حجر بن عدي وأصحابه، واستمر الأمر كذلك حتى تولى يزيد الخلافة[٣].

وحين تولى يزيد بن معاوية كتب إلى عبيد الله بن زياد: "وإنه قد بلغني أن الحسين بن علي قد توجه نحو العراق، فضع المناظر والمسالح[٤]، واحترس على الظن، وخذ على التهمة، غير ألا تقتل إلا من قاتلك، واكتب إلي في كل ما يحدث من الخبر؛ والسلام عليك ورحمة الله"[٥].

وتشير الروايات إلى أن مسلم بن عقيل حين قدم الكوفة، بايعته الشيعة للحسين بن علي، فخرج عبد الله بن مسلم بن سعيد الحضرمي[٦] وكتب إلى يزيد بأن النعمان بن بشير- وكان والي يزيد على الكوفة- ضعيف أو يتضعف، وأخبره الوضع وطلب منه أن يبعث برجل قوي يستطيع مجابهة المعارضين[٧].

وقيل أنه بلغ يزيد أن النعمان قال: "لابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب إلينا من ابن بحدل"[٨]، فأغضب ذلك يزيد، واستشار الناس فيمن يولي على الكوفة، فأشار عليه سرجون مولاه بأن يولي عليها عبيد الله بن زياد[٩].

---

(١) ابن الجوزي، **المنتظم**، ج٥، ص ٣٢٢.

(٢) الطبري، **تاريخ**، ج٥، ص ٣٤٤.

(٣) البلاذري، **أنساب الأشراف**، ج٣، ص ٣٦٨.

(٤) ابن الجوزي، **المنتظم**، ج٥، ص ٣٢٩.

(٥) الطبري، **تاريخ**، ج٥، ص ٣٨٠؛ ابن أعثم الكوفي، **الفتوح**، ج٥، ص ٦٢.

(٦) قيل: مسلم بن سعيد الحضرمي وعمارة بن عقبة، وكانا عيني يزيد بن معاوية في الكوفة. انظر: الدينوري، **الأخبار الطوال**، ص ٢٣١.

(٧) ابن الجوزي، **المنتظم**، ج٥، ص ٣٢٤.

(٨) ابن قتيبة، **الإمامة والسياسة**، ج٢، ص ٧.

(٩) ابن أعثم الكوفي، **الفتوح**، ج٥، ص ٣٥.

ودعا يزيد مسلم بن عمرو الباهلي وبعثه إلى عبيد الله بعهده إلى البصرة، وكتب معه: "أما بعد، فإنه كتب إلي شيعتي من أهل الكوفة يخبرونني أن ابن عقيل بالكوفة يجمع الجموع لشق عصا المسلمين؛ فسر حيث تقرأ كتابي هذا حتى تأتي أهل الكوفة فتطلب ابن عقيل كطلب الخرزة حتى تثقفه (تظفر به) فتوثقه أو تقتله أو تنفيه؛ والسلام"(١).

واستطاع عبيد الله بن زياد أن يحقق للخليفة يزيد مطلبه، وبعث إليه برؤوس مسلم بن عقيل وأصحابه، فما كان من يزيد إلا أن كتب إلى عبيد الله يثني عليه: "لم نعد الظن بك، وقد فعلت فعل الحازم الجليد"(٢).

ولعل من أكثر ما يعبر عن تأثير المعارضة السياسية العراقية على سلطة الخليفة الأموي، ما روي عن الكيفية التي استقبل بها يزيد رأس الحسين(٣)، والحوار الذي دار بينه وبين علي بن الحسين؛ مبينا(٤) له أن أباه الحسين هو المعتدي وهو الذي قطع رحمه ونازعه سلطانه، فعندما أُدخل علي بن الحسين على يزيد، قال له يزيد: "يا حبيب. إن أباك قطع رحمي وظلمني فصنع الله به ما رأيت، فقال علي بن الحسين: {مَا أَصابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَها}(٥)، فقال يزيد لخالد ابنه: أجبه فلم يدر خالد ما يقول، فقال يزيد: قل له: {ما أَصابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِما كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ}(٦)"(٧).

وبالإضافة إلى ما سبق، فهناك ما يمكن أن يكشف جانب آخر من التأثير النفسي للمعارضة على سلطات الخلفاء، هو ما رُوي في أن يزيد اعتراه بعض الندم أو الخوف بسبب مقتل الحسين(٨)، وما قيل في خلاف ذلك بأن يزيد يفتخر على الحسين ويبرر موقف قتله بأنه كان يقول له إن أبي خير من أبيك، فيقول يزيد: "فأما قوله: إن أبي خير من أب يزيد، فقد حاج أبي

(١) الطبري، **تاريخ**، ج٥، ص ٣٥٦- ٣٥٧.

(٢) الدينوري، **الأخبار الطوال**، ص ٢٤٢؛ انظر أيضا: البلاذري، **أنساب الأشراف**، ج٢، ص ٣٤٢.

(٣) البلاذري، **أنساب الأشراف**، ج٣، ص ٤١٦؛ ابن مسكويه، **تجارب الأمم**، ج٢، ص ٨٢.

(٤) البلاذري، **أنساب الأشراف**، ج٣، ص ٤٢٠.

(٥) القرآن الكريم، **سورة الحديد:** الآية ٢٢.

(٦) القرآن الكريم، **سورة الشورى:** الآية ٣٠.

(٧) ابن سعد، **الطبقات**، ج٦، ص ٤٤٧؛ الطبري، **تاريخ**، ج٥، ص ٣٩٠ و٤٦٠؛ ابن الجوزي، **المنتظم**، ج٥، ص ٣٤٢.

(٨) ابن سعد، **الطبقات**، ج٦، ص ٤٤٧؛ الدينوري، **الأخبار الطوال**، ص ٢٦٠؛ البلاذري، **أنساب الأشراف**، ج٣، ص ٤١٥؛ ابن أعثم الكوفي، **الفتوح**، ج٥، ص ١٢٦: ١٢٩؛ ابن مسكويه، **تجارب الأمم**، ج٢، ص ٨٢؛ ابن الجوزي، **المنتظم**، ج٥، ص ٣٤١- ٣٤٢؛ ابن طولون الدمشقي، **قيد الشريد**، ص ٥٥.

أباه فقضى الله لأبي على أبيه"[1]. وهذا كله يكشف أثر خروج الحسين بن علي- رضي الله عنه- ومعارضته على يزيد، وما سببه ذلك له من قلق وتوتر وخوف على الخلافة، وبالتالي انعكس على سلطة الخليفة وتوجيهاته في القضاء عليها والخلاص منها.

وروي أنه عندما جاء عثمان بن محمد بن أبي سفيان الثقفي واليا على المدينة من قبل يزيد أقبل عليه أهل المدينة يطلبون أموالا كانت لهم فاكتسبها معاوية، وشكوه بعض مما كان من معاوية في أنه لم يعطهم عطاءهم حتى جاعوا واضطروا أن يبيعوا له تلك الأموال والنخيل بثمن بخس، وطلبوا من الوالي أن يخبر يزيد بأن يردها لهم، فكتب عثمان بأمرهم إلى يزيد، فوعدهم يزيد بالاستجابة لمطالبهم وأن يرد إليهم أعطياتهم شريطة أن يبايعوه، فأبوا البيعة مما أغضب يزيد وقرر أن يبعث إليهم جيشا[2].

ومن تأثير المعارضة السياسية على سلطات الخلفاء، أن الخليفة يزيد قام بمد بني أمية في الحجاز بجيش قوامه أثني عشر ألفا، رغم أنه لم يكن مقتنعا بذلك، لأنه يرى أن بني أمية في المدينة يستطيعون أن يقاتلوا ويرافعوا عن أنفسهم عندما حاصرهم ابن الزبير في دار مروان بن الحكم وطردوهم أهل المدينة منها[3].

وكان أهل المدينة في سنة ٦٣هـ/ ٦٨٣م قد خلعوا يزيد وأخرجوا عامل يزيد عليهم وهو عثمان بن محمد بن أبي سفيان وطردوه، ثم ولوا على قريش عبد الله بن مطيع، وعلى الأنصار عبد الله بن حنظلة الغسيل[4]، ثم حاصر القوم من كان بالمدينة من بني أمية ومواليهم ومن يرى رأيهم[5].

إلا أنه بسبب تأثير المعارضة ورغبة يزيد في ألا يخسر أهله ومؤيديه اضطر أن يبعث إليهم بالجيش سنة ٦٣هـ/ ٦٨٣م وعلى رأسه مسلم بن عقبة المري[6]، وأوصاه: "إن حدث بك حدثٌ فاستخلف على الجيش حصين بن نمير السكوني؛ وقال له: ادع القوم ثلاثاً، فإن هم أجابوك وإلا فقاتلهم، فإذا أظهرت عليهم فأبحها ثلاثاً، فما فيها من مالٍ أو رقةٍ أو سلاح أو طعام فهو

(١) ابن أعثم الكوفي، **الفتوح**، ج٥، ص ١٢٦ وما بعدها.

(٢) ابن قتيبة، **الإمامة والسياسة**، ج١، ص ٢٢٧.

(٣) ابن أعثم الكوفي، **الفتوح**، ج٥، ص ١٥٨؛ ابن مسكويه، **تجارب الأمم**، ج٢، ص ٨٥.

(٤) الدينوري، **الأخبار الطوال**، ص ٢٦٤.

(٥) ابن الجوزي، **المنتظم**، ج٦، ص ١٢.

(٦) المسعودي، **التنبيه والإشراف**، ص ٢٦٣؛ المسعودي، **مروج الذهب**، ج٣، ص ٥٦.

للجند، فإذا مضت الثلاث فاكفف عن الناس"[1]، فكانت وقعة الحرة ثم سار مسلم بن عقبة إلى مكة، وتوفي بالطريق قبل أن يصل ودفن بقديد[2].

ثانيا: الأحوال الاقتصادية:

يقصد بالأحوال الاقتصادية جميع الظروف المالية التي مرت بها الدولة الإسلامية بما في ذلك الزراعة وما يندرج تحتها من خصوبة التربة، والملكيات الزراعية، واستصلاح الأراضي، والآفات والأوبئة، وطرق الري، وما يتعلق بها من نشاط تجاري ورعوي، وكذلك التجارة وعمليات التبادل التجاري، والأسواق والسلع، والأنظمة النقدية، والمكاييل والموازين وغيرها، وأيضا الصناعة والحرف، والثروات المعدنية، والنظم المالية كالضرائب والجبايات، والمصروفات كالعطاء والرزق والرواتب وكل شيء يتضمنها[3]، ومن ثم تتبع الأحوال الاقتصادية التي كان لها تأثير في سلطة الخليفة الأموي وقراراته ذات العلاقة بإدارة الحكم وشؤون الدولة الإسلامية في العهد السفياني.

ومن القرارات التي اتخذها الخليفة معاوية بن أبي سفيان بسبب تأثير الأحوال الاقتصادية، هو قرار إنشاء ديوان الخاتم، وكان معاوية أول من اتخذ ديوان الخاتم[4]، وسبب ذلك أنه كتب لعمرو بن الزبير بمائة ألف درهم إلى زياد وهو عامله على العراق، ففض عمرو الكتاب وجعلها مائتي ألف، فلما رفع زياد حسابه إلى معاوية، اكتشف معاوية ما صار من تغيير، فقرر أن يتخذ ديوان الخاتم، وقلده عبدالله بن مجمر وكان قاضيا[5].

كما قام الخلفاء الأمويين ببعض القرارات التي جاءت كنتيجة لتأثير الأحوال الاقتصادية على سلطة الخليفة، فقد أصبح عمال الخراج في العصر الأموي مسؤولين أمام الولاة مباشرة، وذلك لأن الولاة هم الذي أشرفوا على اختيارهم، بالإضافة إلى أنهم كانوا يتابعون اجراءاتهم التنظيمية في الولايات[6].

---

(١) الطبري، **تاريخ**، ج٥، ص ٤٨٢.

(٢) ابن قتيبة، **المعارف**، ص ٣٥١.

(٣) السيف، عبدالله محمد ناصر. "الحياة الاقتصادية والاجتماعية في نجد والحجاز في العصر الأموي". **مجلة كلية الآداب**، جامعة الرياض، ١٩٩٠م، مج٧، ص ٣١٣- ٣١٦. (سيشار إليه فيما بعد: السيف، "الحياة الاقتصادية والاجتماعية").

(٤) الطبري، **تاريخ**، ج٥، ص ٣٣٠؛ ابن الجوزي، **المنتظم**، ج٥، ص ١٨٥؛ الدوري، **النظم الإسلامية**، ص ١٦٩.

(٥) ابن مسكويه، **تجارب الأمم**، ج٢، ص ٢٣.

(٦) كاتبي، **الخراج**، ص ١٣٤.

ومن القرارات التنظيمية ذات العلاقة بالأحوال الاقتصادية في الفترة السفيانية أيضا أن معاوية أدخل نظام جمع الضرائب مباشرة من كل فلاح دون وساطة من المالك، وكان الفلاحين قبل ذلك يؤدون التزاماتهم الضريبية عن طريق مالك الأرض(١).

جدير بالذكر أن ذلك التغيير حدث كنتيجة لتغير ملكية الأرض التي فرضت نمط جديد من المعاملة في جباية الضرائب، ففي فلسطين مثلًا، اتخذت الدولة الأموية سياسة بعيدة عن القسوة تماما في جمع الضرائب، وذلك لأن الضريبة صولح عليها صاحب الأرض فلا يُزاد عليها شيء، وبمقدار لا يعجزه عن دفعها، وهذا بطبيعة الحال أدى إلى حدوث أثر طيب عند الفلاحين ودفعهم إلى بذل المزيد من الاهتمام بالزراعة والأرض، بخلاف الوضع الذي كانوا عليه في عهد الروم، حيث كانت الدولة تتخذ إجراءات صارمة لتحصيل الضرائب(٢).

ومن الأمور المتعلقة بالتنظيمات أيضا موضوع الجزية، فكما هو معلوم أن الجزية لم تحدد بمبلغ معين، وإنما المعمول به هو مراعاة أحوال أهل الذمة الاقتصادية، فميز الإسلام بينهم وصنفهم طبقات وفقا ذلك، ففرض على طبقة الأغنياء ثمانية وأربعين درهما، وعلى الطبقة الوسطى أربعة وعشرين درهما، وعلى العامة اثني عشر درهما(٣).

وبالرغم من أن هذا التقسيم لا يعتبر ثابتا، لأن سياسة عمر بن الخطاب في وضع الجزية تشير إلى أن الأمر متروك لاجتهاد الإمام وفقا للظروف المادية لأهل الذمة(٤)، وأن الإدارة الأموية في أيام معاوية حافظت على الإجراءات الضريبية التي تم إقرارها عند الفتح باستمرار أخذ الأرزاق في نطاق الجزية، وأما دفع الضريبة المقررة نقدا فلم يكن إلزاميا، وإنما كان اختياريا، وفي ذلك النطاق قام معاوية ببعض الإجراءات فلجأ إلى زيادة السيولة السنوية، وذلك بسبب كثرة إغداق معاوية للأموال ومنح الامتيازات والهبات لمكافأة الأنصار وإرضاء المعارضين، لم يستطع بيت المال- رغم ضخامة وارداته- أن يفي بتلك الالتزامات الباهظة(٥).

---

(١) دينيت، دانيل. **الجزية والإسلام.** ترجمة: فوزي فهيم جاد الله، مؤسسة فرنكلين المساهمة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٠م، ص ١٠٩. (سيشار إليه فيما بعد: دينيت، **الجزية والإسلام**)؛ كاتبي، **الخراج**، ص١٥٠.

(٢) أحمد، موسى عبد الغفار. **الأحوال الاجتماعية والاقتصادية في فلسطين في العهد الأموي ٤٠- ١٣٢هـ/ ٦٦١- ٧٥٠م.** رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم درمان الإسلامية، السودان، ١٩٧٩م، ص ١٨. (سيشار إليه فيما بعد: أحمد، **الأحوال الاجتماعية والاقتصادية**).

(٣) أبي يوسف القاضي، يعقوب بن إبراهيم (ت ١٨٢هـ/ ٧٩٨م). **كتاب الخراج.** دار المعرفة، بيروت، ١٩٧٩م، ص ١٢٢. (سيشار إليه فيما بعد: أبي يوسف القاضي، **كتاب الخراج**).

(٤) ابن زنجويه، **كتاب الأموال**، ج١، ص ٣٦٧؛ الدوري، **النظم الإسلامية**، ص ١٢٠.

(٥) حسن، "الأثر الاقتصادي في الحياة السياسية"، ع٧٢، ص ٣٢١- ٣٧١.

وهذا دفع معاوية نحو السعي لإيجاد موارد أخر لسد العجز من خلال محاولته زيادة الجزية على أهل مصر، حيث كتب إلى وردان[1] أن يزيد الجزية على أهل مصر، ولكن وردان رفض تنفيذ الزيادة: "كيف أزيد عليهم وفي عهدهم أن لا يُزاد عليهم شيء"[2]، لأنه قد نص في عهدهم أن لا يُزاد عليهم، فعزله معاوية بسبب عدم استجابته لأوامره بتنفيذ الزيادة[3].

ومن الروايات التي حوتها المصادر أيضا في هذا الجانب، ما ذكره البلاذري أن معاوية فرض على أهل الرقة من إقليم الجزيرة الفراتية دينارا ومقادير من القمح والزيت والخل والعسل كجزية، وكان قبل ذلك يدفعون دينارا كبقية مدن الجزيرة، ولكن معاوية استند في ذلك على ما حدث عندما صالحهم عياض بن غنم على أن يدفعوا دينارا جزية، وفرض عليهم تلك السنة مقادير من القمح والزيت والخل والعسل، وأقرها معاوية عليهم كجزية بالإضافة إلى الدينار[4]. بمعنى آخر، فإن معاوية من خلال هذا الإجراء أضاف قيمة ضريبة الطعام من المواد العينية إلى الدينار، واعتبر هذا مجموع جزيته عليهم[5].

ويتضح الأثر أيضا في رواية أن عبد الرحمن بن زياد بن أبي سفيان قدم وافداً على معاوية سنة ٥٩هـ/ ٦٧٩م[6]، فذكر حقه وطلب من معاوية أن يوليه، فقال معاوية: "النعمان بن بشير بالكوفة، وهو رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعبيد الله بن زياد على البصرة وخراسان، وعباد بن زياد على سجستان، ولست أرى عملاً يشبهك إلا أن أشركك في عمل أخيك عبيد الله بن زياد، قال: أشركني فإن عمله واسع يحتمل الشركة، فولاه خراسان"[7].

ويبدو أن عبد الرحمن قدم فيما بعد على يزيد، ونرجح أن يكون قدومه على يزيد في نهاية عمله وذلك بعد وفاة معاوية، فسأله يزيد: "كم قدمت به معك من المال من خراسان؟ قال: عشرين ألف ألف درهم؛ قال: إن شئت حاسبناك وقبضناها منك، ورددناك على عملك، وإن شئت سوغناك وعزلناك، وتعطي عبد الله بن جعفر خمسمائة ألف درهم؛ قال: بل تسوغني ما قلت،

---

(١) مولى عمرو بن العاص، استعمله معاوية على خراج مصر بعد وفاة عمرو بن العاص. انظر: الطبري، **تاريخ**، ج٦، ص ١٨٠.

(٢) البلاذري، **فتوح البلدان**، ص ٣٠٥.

(٣) ابن زنجويه، **كتاب الأموال**، ج١، ص ٣٦٧؛ ياسين، **الموارد والنفقات المالية**، ص ١٩.

(٤) البلاذري، **فتوح البلدان**، ص ٢٣٨؛ كاتبي، **الخراج**، ص ١٦٣.

(٥) ياسين، **الموارد والنفقات المالية**، ص ١٩.

(٦) الطبري، **تاريخ**، ج٥، ص ٣١٥.

(٧) ابن الجوزي، **المنتظم**، ج٥، ص ٣٠٤.

ويستعمل عليها غيري. وبعث عبد الرحمن بن زياد إلى عبد الله بن جعفر بألف ألف درهم، وقال: خمسمائة ألف من قبل أمير المؤمنين، وخمسمائة ألف من قبلي"(١).

ووفقا لرأي الكريطي فإن هذا الحوار بين يزيد وعبد الرحمن بن زياد يجعل ابن زياد متهم باختلاس مبالغ في فترة ولايته على خراسان(٢). وبذلك يمكن اعتبار هذه الرواية الأدلة التي يمكن من خلالها الكشف عن أثر الأحوال الاقتصادية في سلطة الخليفة الأموي.

ومن المواضيع التي وجب الحديث عنها تحت هذا الإطار أيضا موضوع القطائع في العصر الأموي؛ كونها تتصل اتصالا وثيقا بملكية الأراضي وما رافقها من تطورات اقتصادية وسياسية واجتماعية، فبعد أن أفضت الخلافة إلى الأمويين ساعدت عوامل الاستقرار في الدولة، والفتوحات الواسعة التي قام بها الخلفاء الأمويين على ظهور الاهتمام المتزايد بالأرض واستصلاحها واستزراعها، وهذا الأمر يعود في أغلب الأحوال إلى أسباب سياسية ومحاولات ترضية للمقربين أو الخصوم، وقد بدأ معاوية منذ تسلمه ولاية الشام، في التركيز بشكل كبير على أراضي الصوافي(٣)، فقد أقر الإسلام الملكية الخاصة، لذلك أدرك الخلفاء الأمويون أثر الزراعة والأرض في تعزيز الثروات الخاصة والعامة، وحرصوا على تولية الزراعة والأراضي عنايتهم لتنمية أملاكهم، فامتلكوا الضياع والأراضي الخاصة(٤).

ومما روي أن معاوية كتب إلى عبدالله بن دراج وكان قد ولاه خراج العراق(٥)،أن يحمل إليه بعض المال، فكتب ابن دراج إلى معاوية بأن الدهاقين رفضوا ذلك متحججين بأنه كان لكسرى وآل كسرى صوافي يجتبون مالها لأنفسهم ولا تجري مجرى الخراج، فأمر معاوية ابن دراج بإحصاء الصوافي وأن يستصفها، ويضرب عليها المسنيات، ففعل وبعث إليه بخمسين ألف ألف درهم من أرض الكوفة وسوادها(٦). وهذا القرار جاء نتيجة تأثير اقتصادي على سلطة الخليفة.

---

(١) الطبري، **تاريخ**، ج٥، ص ٣١٦.

(٢) الكريطي، "طرق وموارد تجمع ثروات ولاة وعمال الدولة العربية الإسلامية"، مج٦، ع١٥، ص ١٩١-٢١٧.

(٣) خريسات، محمد عبد القادر. "القطائع في العصر الأموي". **دراسات العلوم الإنسانية**، الجامعة الأردنية، ١٩٨٩م، مج١٦، ع٣، ص ٣٠- ٦٢. سيشار إليه فيما بعد: (خريسات، "القطائع").

(٤) أحمد، **الأحوال الاجتماعية والاقتصادية**، ص ١٩.

(٥) الجهشياري، **الوزراء والكتّاب**، ص ٢٢.

(٦) اليعقوبي، **تاريخ**، ج٢، ص ١٢٥.

ويرى خريسات أن الرواية التي ذكرها اليعقوبي آنفا توحي للقارئ بأن معاوية لم يكن على دراية بهذا النوع من الأراضي، وكأن ابن دراج هو الذي نبهه إلى ذلك، ولكن المدقق في هذا الأمر يجد أن معاوية قد عرف وخبر حقيقة صوافي الشام قبل أن يستلم الخلافة، وكذلك ما روي في أن معاوية أسند مهمة الأشراف على صوافي كسرى وآل كسرى في العراق إلى عبيد بن أوس الغساني، وهذا يعني أنه يعرف طبيعة هذه الأراضي[١].

وفي سنة ٤٨هـ/ ٦٦٨م قبض معاوية فدك[٢] من مروان بن الحكم، وكان قد وهبها له قبل ذلك، فاستردها[٣]. وكان بنو أمية قد اصطفوا فدك، فلما ولي عمر بن عبدالعزيز جمع بني أمية وأشهدهم برد فدك إلى ما كانت عليه[٤].

وكنتيجة للأوضاع الاقتصادية الجيدة في أقاليم الدولة الإسلامية في الفترة الزمنية موضوع الدراسة، فقد كان معاوية يستصفي لنفسه ما كان للملوك من الضياع والأراضي، ومن ثم يقطع بعضها أهل بيته وخاصته، وذلك انطلاقا من إيمان معاوية بأن الأرض هي ملك الخليفة يتصرف بها كما يشاء، وقد ظهر ذلك من خلال حوار جرى بينه وبين صعصعة بن صوحان تمت الإشارة إليه في موضع سابق، حيث قال معاوية يوما: "الأرض لله وأنا خليفة الله فما أخذت فلي، وما تركته للناس فبالفضل مني، فقال صعصعة بن صوحان: ما أنت وأقصى الأمة في ذلك إلا سواء، ولكن من ملك استأثر"[٥].

ولم يقتصر اهتمام معاوية بالصوافي على السواد أو العراق نفسه، فقد امتد اهتمامه إلى باقي أمصار الدولة في الشام والجزيرة واليمن، مما جعل اليعقوبي يقول عنه: أن معاوية يعد "أول من كانت له الصوافي في جميع الدنيا، حتى بمكة والمدينة"[٦]، وترى كاتبي أنه من

---

(١) خريسات، "القطائع"، مج١٦، ع٣، ص ٣٠- ٦٢.

(٢) فدك: قرية بالحجاز، أفاءها الله على رسوله سنة ٧هـ/ ٦٢٨م صلحا، فعندما فتح الرسول حصون خيبر، وبقي بعضها واشتد بهم الحصار، سألوا أهل خيبر الرسول أن يسمح لهم بالجلاء منها، فسمح لهم، وعندئذ راسل أهل فدك الرسول طالبين منه أن يصالحهم على النصف من ثمارهم وأموالهم، فأجابهم إلى ذلك، وقيل أن النبي وهبها لفاطمة ابنته في حياته، وقيل أن النبي لم يهبها لفاطمة وأنه كان ينفق ما يأتيه منها في أبناء السبيل، ثم ولي أبوبكر وعمر وعثمان وعلي وكانوا يضعوا ما يأتي من فدك في نفس المواضع التي كان يضع فيها النبي، فلما ولي معاوية أقطعها مروان بن الحكم. انظر: البلاذري، **فتوح البلدان**، ص ٤٥؛ الحموي، **معجم البلدان**، ج٤، ص ٢٣٨.

(٣) المسعودي، **مروج الذهب**، ج٣، ص ٢٨.

(٤) البلاذري، **فتوح البلدان**، ص ٤٤.

(٥) المسعودي، **مروج الذهب**، ج٣، ص ٤٠؛ خريسات، "القطائع"، مج١٦، ع٣، ص ٣٠- ٦٢.

(٦) اليعقوبي، **تاريخ**، ج٢، ص ١٤٥.

الاحتمالات الواردة لاتباع معاوية هذا النهج، هو أنه كان متأثرا بسياسة الرسول تجاه الأراضي التي افتتحها واعتبرت خالصة له، فقد كانت أمام معاوية أمثلة واضحة عن إجراءات الرسول وتدابيره في الأراضي الخاصة به، وكيف يتصرف فيها وفق ما يراه مناسبا للصالح العام[1].

ومن الأمثلة على ذلك أن المسلمين حازوا أراضي بني النضير في سنة ٤هـ/ ٦٢٥م، واعتبرت فيئا وصارت للرسول خالصة[2]، فقسمها بين المهاجرين ورجلين فقيرين من الأنصار، وكذلك بالنسبة لخيبر فقد فتحت عنوة سنة ٧هـ/ ٦٢٨م، واعتبرت غنيمة، فقسمت خمس أقسام، خمس للرسول وأربعة أخماس للفاتحين[3].

وترد إشارات عدة عند البلاذري عن محاولات معاوية اصطفاء بعض الأراضي، فقد أراد أن يأخذ أرضا لعمرو بن العاص- كما تمت الإشارة آنفا، فبعث إليه عمرو بشعر هُجي به خفاف[4] بن ندبة[5]:

أَبَا خراشة إِمَّـــا كُنْتُ ذَا نَفَرٍ	فَإِنَّ قَوْمــِيَّ لَــمْ تأكْلهم الضَّبْعَ[6]
وَكُلَّ قَوْمِكَ يُخَشِّــي مِنْكَ بَائِقَةٍ	فَأُنْظُرْ قَلِيلَا وَأَبْصَرَهَا بِمــَنْ تَقَعُ
فَالسُّلّمَ تَأْخُذُ مِنْهَا مَا رَضِيَتْ بِهِ	وَالْحَرْبَ يَكْفِيكَ مِنْ أَنْفَاسِهَا الجرع

وحاول معاوية اصطفاء بعض أموال عبدالله بن عامر، فقال له ابن عامر: قال صلى الله عليه وسلم: "المقتول دون ماله شهيد، والله لأقاتلنه حتى أقتل دون مالي"[7]، فأعرض عنه معاوية، وزوجه ابنته هند بنت معاوية[8].

وهذا التصرف يعبر عن ذكاء معاوية ودهاءه الذي يظهر من حرصه على استمالة الناس، فعندما أبدى ابن عامر نيته في الدفاع عن ماله، تراجع معاوية عن قراره في اصطفاء مال ابن عامر وصاهره.

---

(١) كاتبي، **الخراج**، ص ٣٠٩.

(٢) قدامة بن جعفر، أبو الفرج البغدادي (ت ٣٣٧هـ/ ٩٤٨م). **الخراج وصناعة الكاتب.** تحقيق: محمد حسين الزبيدي، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨١م، ص ٢٥٧. (سيشار إليه فيما بعد: قدامة بن جعفر، **الخراج**).

(٣) ابن زنجويه، **كتاب الأموال**، ج١، ص ١٨٨؛ كاتبي، **الخراج**، ص ٣١٠.

(٤) تم التعريف به في موضع سابق.

(٥) البلاذري، **أنساب الأشراف**، ج٥، ص ٧٧؛ خريسات، "القطائع"، مج١٦، ع٣، ص ٣٠- ٦٢.

(٦) ابن قتيبة، **الشعر والشعراء**، ج١، ص ٣٤١.

(٧) رواه عبدالله بن عمرو. انظر: البخاري، **صحيح**، كتاب المظالم، حديث رقم ٢٤٨٠، ص ٦٠٠.

(٨) الزبيري، **نسب قريش**، ص ١٤٧؛ خريسات، "القطائع"، مج١٦، ع٣، ص ٣٠- ٦٢.

ونظرا لأن معاوية أبدى اهتماما بالغا بحيازة الأراضي واستصفاءها، فقد عمل على إحياء بعض الأراضي الموات وحيازتها لنفسه، فقد ذكر الواقدي في كتاب الحرة: "أنه كان بالمدينة على زمن معاوية صوافي كثيرة"، وأن معاوية كان يجد بالمدينة وما حولها مائة ألف وسق وخمسين ألف وسق، ويحصد مائة ألف وسق حنطة[1].

واستصفى معاوية زرارة الكوفة، وهي أرض تنسب إلى زرارة بن يزيد بن عمرو بن عدس، وأقطعت إلى محمد بن الأشعث بن عتبة الخزاعي[2]. كما حاول وكيل معاوية في المدينة، وكان آنذاك مولاه النظير، أن يضم أرضا لعبد الرحمن بن زيد بن الخطاب، وكانت أرض عبد الرحمن مجاورة لأرض معاوية، مما جعل عبد الرحمن يحاول اقناع النضير أن هذه الأرض كانت قطيعة من أبي بكر قطعها له بعد مقتل أبيه باليمامة[3]. وهذه الأمثلة كلها تدل بحال أو بآخر عن دور الأوضاع الاقتصادية في التأثير على سلطات الخليفة في العصر الأموي.

وفي سنة ٤٧ هـ/٦٦٨م وُلي الحكم بن عمرو الغفاري[4] خراسان من قبل زياد، فغزا الحكم عدة غزوات لمعاوية، ومنها سنة ٥٠هـ/ ٦٧٠م حين غزا جبل الأشل (من ثغور خراسان)، وغنم منها غنائم كثيرة؛ فلما ورد الخبر إلى زياد بما غنم الحكم، كتب إليه يخبره أن أمير المؤمنين طلب أن يصطفي من الذهب والفضة لبيت ماله[5]، فكان رد الحكم على زياد بالرفض قائلا: "إن كتاب الله قبل كتاب أمير المؤمنين، أو لم يسمع لقوله عليه السلام: لا طاعة لمخلوق في

---

(١) السمهودي، نور الدين علين بن أحمد (ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م). **وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى.** تحقيق: خالد عبد الغني محفوظ، دار الكتب العلمية، بيروت، د ت، ج٣، ص ١٥٠. (سيشار إليه فيما بعد: السمهودي، **وفاء الوفا**)؛ النوافعة، عبدالله موسى محمد. **المدينة المنورة في العصر الأموي.** رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، ٢٠٠٢م، ص ٩٩. (سيشار إليه فيما بعد: النوافعة، **المدينة المنورة**).

(٢) الكلبي، هشام بن محمد بن السائب (ت ٢٠٤هـ/ ٨١٩م). **جمهرة النسب.** تحقيق: ناجي حسن، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٦م، ص ٣٦٣. (سيشار إليه فيما بعد: الكلبي، **جمهرة النسب**)؛ خريسات، "القطائع"، مج١٦، ع٣، ص ٣٠- ٦٢.

(٣) البلاذري، **أنساب الأشراف**، ج٥، ص ١٣٩؛ خريسات، "القطائع"، مج١٦، ع٣، ص ٣٠- ٦٢.

(٤) هو الحكم بن عمرو بن مجدع الغفاري، ويقال له الحكم بن الأقرع، صحابي جليل، توفي بمرو سنة ٥٠هـ/ ٦٧٠م وقيل ٥١هـ/ ٦٧١م. انظر: ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج٨، ص ٥٦.

(٥) الطبري، **تاريخ**، ج٥، ص ٢٢٩ و٢٥٢؛ الريس، محمد ضياء الدين. **الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية.** دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٩م، ص ١٩٧. (سيشار إليه فيما بعد: الريس، **الخراج**).

معصية الخالق"[1]. وعزل الخمس وقسم باقي الغنائم بين الناس، ولم يلبث الحكم أن توفي بمرو سنة ٥١هـ/ ٦٧١م، فولى زياد الربيع بن زياد الحارثي خراسان[2].

وكان صاحب العراق يحمل إلى معاوية من مال صوافيه في هذه النواحي مائة ألف ألف درهم، فمنها كانت صلاته وجوائزه، واستقر خراج مصر في أيام معاوية على ثلاثة آلاف ألف دينار، وكان عمرو بن العاص يحمل منها إليه الشيء اليسير، فلما مات عمرو حمل المال إلى معاوية[3].

وهذا الجدول يوضح لنا مقدار خراج الأقاليم في عهد معاوية[4]:

الإقليم	مقدار الخراج
السواد	مائة ألف ألف وعشرين ألف ألف درهم
فارس	سبعين ألف ألف درهم
الأهواز وما يضاف إليها	أربعين ألف ألف درهم
اليمامة والبحرين	خمسة عشر ألف ألف درهم
كور دجلة	عشرة آلاف ألف درهم
نهاوند وماه الكوفة (الدينور)، وماه البصرة (همذان)، وما يضاف إلى ذلك من أرض الجبل	أربعين ألف ألف درهم
الري وما يضاف إليها	ثلاثين ألف ألف درهم
حلوان	عشرين ألف ألف درهم
الموصل وما يضاف إليها ويتصل بها	خمسة وأربعين ألف ألف درهم
أذربيجان	ثلاثين ألف ألف درهم
مصر	ثلاثة آلاف ألف دينار

(١) ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج٨، ص ٥٦.

(٢) البلاذري، **فتوح البلدان**، ص ٥٧٦.

(٣) اليعقوبي، **تاريخ**، ج٢، ص ١٤٤.

(٤) **المصدر نفسه**، ج٢، ص ١٤١؛ الصولي، **أدب الكاتب**، ج٣، ص ٢١٦؛ كاتبي، **الخراج**، ص ١٥٤.

جند فلسطين	٤٥٠ ألف دينار
جند الأردن	١٨٠ ألف دينار
جند دمشق	٤٥٠ ألف دينار
جند حمص	٣٥٠ ألف دينار
قنسرين والعواصم	٤٥٠ ألف دينار
الجزيرة (ديار مضر وديار ربيعة)	خمسة وخمسين ألف ألف درهم
اليمن	ألف ألف ومائتي ألف دينار وقيل تسعمائة ألف دينار

ومن المستجدات الاقتصادية التي أجراها معاوية متأثرا بالأحوال الاقتصادية، أنه في سنة ٤٩هـ/ ٦٦٩م، أمر بجمع الصناع والنجارين وترتيبهم في السواحل، وذلك بعد أن خرجت الروم إلى السواحل الشامية، وتعد عكا من المراكز الصناعية في الأردن آنذاك، وكانت الصناعة قبل ذلك بمصر فقط[١].

وروي أيضا أن عبدالله بن قيس بن مخلد أصاب أصنام ذهب وفضة مكللة بالجواهر من غزوة صقلية في زمن معاوية بن أبي سفيان، فأرسلها إلى معاوية، وبعث بها معاوية إلى البصرة لتحمل إلى الهند، فتباع هناك[٢].

كما تشير الروايات إلى أن معاوية كان يتلقى هدايا النيروز والمهرجان[٣]، فكان مجموع ما قدم إليه عشرة آلاف ألف درهم[٤]، وهذا بلا شك بسبب الأحوال الاقتصادية التي كانت تعيشها الدولة في تلك الفترة، ففي رأي كاتبي أن معاوية قبل ذلك بسبب أنه تنبه إلى أهمية وارد تلك

---

(١) البلاذري، **فتوح البلدان**، ص ١٦١.

(٢) **المصدر نفسه**، ص ٣٢٩.

(٣) النيروز عند الفرس: أول يوم من أيام السنة الشمسية، ويصادف أول أيام الربيع وهو من الأعياد الهامة عند الفرس قبل الإسلام، والمهرجان كلمة مركبة من مهر وتعني محبة، وجان وتعني الروح أو المتصلة، فيكون معناها محبة الروح أو المحبة المتصلة، وعيد المهرجان يصادف أول أيام الاعتدال الخريفي. انظر: اليعقوبي، **تاريخ**، ج٢، ص ١٢٦؛ ياسين، **الموارد والنفقات المالية**، ص ٦٥.

(٤) الجهشياري، **الوزراء والكتاب**، ص ٢٢.

الهدايا لتغطية بعض النفقات الضرورية[1]، فقرر بعد ذلك أن يجعلها هدايا إلزامية على أهل الخراج بعد أن كانت اختيارية، وبذلك يعد معاوية أول من أعاد هدايا النيروز والمهرجان في الإسلام[2].

ونظرا لأهمية المال ودور الأحوال المالية للدولة في التأثير على سلطة الخليفة، استجاب معاوية للتحذير الذي أطلقه المغيرة بن شعبة بعدم منح ولاية الكوفة لعبدالله بن عمرو بن العاص، فيكون بذلك بين فكي الأسد، عمرو بمصر وابنه بالعراق، مما يجعل الأموال نهبا بينهما، فعدل معاوية عن هذا القرار ودفع الولاية إلى المغيرة بن شعبة[3].

وبالمقابل لم يدع معاوية أموره المالية بين يدي المغيرة بن شعبة عند ولايته لها سنة ٤١هـ/ ٦٦١م؛ عملا بنصيحة عمرو بن العاص واكتفى بتوكيله الشؤون الإدارية والعسكرية؛ خشية التلاعب بمقدراتها المالية[4]، ولم يفِ معاوية لعمرو بن العاص أيضا بما وعده حين طمع الأخير بولاية مصر ولعقبه من بعده، فصاغ معاوية العقد بذكاء وجعل الولاية لعمرو في حياته فقط[5].

وكذلك بالنسبة للبصرة، فعندما رأى معاوية أن بقاء ابن عامر فيها لم يعد يجدي بسبب ضعفه، طلب منه أن يتنازل عن الولاية وعن أمواله وأملاكه في مكة للضغط عليه لكي يوافق على ترك الولاية، فوافق على أن يترك له أمواله وأملاكه، وأن لا يحاسب له عاملا ولا يتبع له أثرا[6].

ومن الروايات التي وصلتنا حول تأثير الأحوال الاقتصادية في سلطة الخليفة أيضا أن امرأة تدعى عكرشة بنت الأطرش[7] وفدت على معاوية، تشكو له ظلم عماله وعزوفهم عن توزيع أموال الصدقات في أهل منطقتها: "إنه كانت صدقاتنا تؤخذ من أغنيائنا فتُرد على فقرائنا؛ وإنا قد فقدنا ذلك، فما يُجبر لنا كسير؛ ولا يُنعش لنا فقير؛ فإن كان ذلك رأيك فمثلك تنبه من الغفلة

(١) كاتبي، **الخراج**، ص ١٧٥.

(٢) اليعقوبي، **تاريخ**، ج٢، ص ١٢٦؛ ياسين، **الموارد والنفقات المالية**، ص ٦٥.

(٣) حسن، "الأثر الاقتصادي في الحياة السياسية"، ع٧٢، ص ٣٢١- ٣٧١.

(٤) البلاذري، **أنساب الأشراف**، ج٣، ص ٣٠١.

(٥) حسن، "الأثر الاقتصادي في الحياة السياسية"، ع ٧٢، ص ٣٢١- ٣٧١.

(٦) الطبري، **تاريخ**، ج٥، ص ٢١٤.

(٧) وقيل بنت الأطش بن رواحة، أحد الوافدات على معاوية. انظر: ابن عساكر، **تاريخ دمشق**، ج٦٩، ص ٢٩٠.

وراجع التوبة، وإن كان عن غير رأيك فما مثلك استعان بالخونة ولا استعمل الظلمة"[1]، فما كان من معاوية إلا أمر برد صدقات قومها فيهم وإنصافهم[2].

وكان للأموال التي هي نتاج للأحوال الاقتصادية، ومؤثر في آن واحد، دور في تعزيز سلطة الخليفة أيضا، ويمكن استنتاج ذلك من خلال الشرط الذي شرطه حسان بن مالك- سيد اليمانية بالشام- على معاوية بأن يفرض لألفي رجل ألفين ألفين، وإن مات قام ابن عمه مكانه، وذلك ثمنا لضمان ولاءهم للأمويين، وبالفعل استطاع معاوية بذلك ضمان قبائل الشام بما أغدقه عليهم من خير دائم[3]، وهذا دليل واضح على تأثير الأحوال الاقتصادية على سلطة الخليفة، فهي نقطة ضغط لتعديل بعض أمور الدولة السياسية، بالإضافة إلى توظيف المال في كل ما من شأنه أن يعزز سياسة معاوية في تحقيق طموحاته وتسيير أمور حكمه.

وفي عهد معاوية تم استصلاح البطائح[4]، وهي أراضٍ واسعة مغمورة بالمياه، وأولاها عبدالله بن دراج الذي كان على خراج العراق عناية متزايدة، مما أدى إلى عمارة البلاد وزيادة الوارد العام للدولة بمقدار خمسة آلاف ألف درهم[5]، وذلك لأنه "قطع القصب وغلب الماء بالمسنيات"[6].

وكما أشرنا آنفا، أن عبدالله بن دراج حين ولاه معاوية خراج العراق، وطلب منه معاوية أن يرسل إليه بعض المال، فأخبره ابن دراج أن الدهاقين رفضوا ذلك متحججين بأنه "كان لكسرى وآل كسرى صوافي يجتبون مالها لأنفسهم ولا تجري مجرى الخراج"[7]، فأمره معاوية

(١) ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ج١، ص ٣٥١.

(٢) ياسين، **الموارد والنفقات المالية**، ص ٨.

(٣) المسعودي، **مروج الذهب**، ج٣، ص ٧٦؛ حسن، "الأثر الاقتصادي في الحياة السياسية"، ع ٧٢، ص ٣٢١-٣٧١.

(٤) يقال تبطح السيل: إذا اتسع في الأرض، وبذلك سميت بطائح واسط، لأن المياه تبطحت فيها أي سالت واتسعت في الأرض: وهي أرض واسعة بين واسط والبصرة، وكانت قديما قرى متصلة وأرضا عامرة، وحدث في أيام كسرى ابرويز أن زادت دجلة زيادة مفرطة، وزاد الفرات أيضا بخلاف العادة فعجز عن سدها، فتبطح الماء في تلك الأراضي، وطرد أهلها عنها، فلما نقص الماء وأراد العمارة أدركته المنية، وولي بعده ابنه شيرويه فلم تطل مدته، ثم جاء الاسلام فاشتغلوا بالحروب والجلاء، ولم يكن للمسلمين دراية بعمارة الأرض، فلما ألقت الحروب أوزارها واستقرت الدولة الاسلامية، استفحل أمر البطائح وانفسدت مواضع البثوق وتغلب الماء على النواحي، ودخلها العمال بالسفن فرأوا فيها مواضع عالية لم يصل الماء إليها، فبنوا فيها قرى، وسكنها أقوام، وزرعوها. انظر: البلاذري، **فتوح البلدان**، ص ٤١١؛ الحموي، **معجم البلدان**، ج١، ص ٤٥٠.

(٥) قدامة بن جعفر، **الخراج**، ص ١٦٩.

(٦) البلاذري، **فتوح البلدان**، ص ٤١١؛ كاتبي، **الخراج**، ص ٢٣٩.

(٧) اليعقوبي، **تاريخ**، ج٢، ص ١٢٥.

بإحصاء الصوافي وأن يستصفها، ومن ثم يضرب عليها المسنيات، ففعل ابن درج ذلك، وبعث إلى معاوية بخمسين ألف ألف درهم من أرض الكوفة وسوادها[1].

ويرى خريسات أن الأراضي التي قصدها ابن دراج في رسالته إلى معاوية الآنفة الذكر، هي أراضي البطائح وهي أراضي مستنقعات أي لم تكن آنذاك صالحة للزراعة، فعثر عليها ابن دراج في السجلات وأخبر معاوية بها، ويستدل على ذلك من الفرق الهائل بين جباية صوافي الكوفة في خلافة عمر بن الخطاب، وبين جبايتها في خلافة معاوية، فقد بلغت في عهد عمر سبعة آلاف ألف، وفي عهد معاوية خمسين ألف ألف درهم[2]، وقيل: مائة ألف ألف درهم[3]، وهذا الفرق الشاسع بين الجبايتين لا يمكن قبوله إلا من حصيلة الزيادة الواقعة في مساحة الأرض الزراعية الناتجة عن استصلاح أراضي جديدة وضمها إلى الصوافي[4].

فقد استحوذ معاوية على مساحات شاسعة من الأراضي، متجاوزا بذلك شروط الاستصفاء التي طبقها عمر، وذلك لأن عمر استصفى فقط أصنافا محددة من السواد منها أرض كسرى، وأرض من قتل في الحرب وغيرها[5].

وشهد العراق أيام زياد بن أبيه الكثير من الاهتمام بعمارة الأرض بما يتناسب وحاجات ومتطلبات الدولة، فقد وجه جل اهتمامه إلى التخفيف على دافعي الضريبة مع الحفاظ على وارد الخراج سليما؛ فوعد زياد أهل الكوفة أن لا يحبس عنهم العطاء ولا يحرمهم من الرزق[6]، وشجعهم في المقابل على إعمار الأرض بكل الوسائل الممكنة، وكان من تلك الوسائل مكافأتهم بالتخفيف عنهم أحيانا، حيث ورد في أن زياد وضع من خراج السوس مائة ألف لما رأى حُسن عمارتها، ووضع عن أهل فارس خراج سنة كل عشر سنين[7].

---

(١) اليعقوبي، **تاريخ**، ج٢، ص ١٢٥؛ الجهشياري، **الوزراء والكتّاب**، ص ٢٢.

(٢) اليعقوبي، **تاريخ**، ج٢، ص ١٢٥.

(٣) **المصدر نفسه**، ج٢، ص ١٤٤.

(٤) خريسات، "القطائع"، مج١٦، ع٣، ص ٣٠- ٦٢.

(٥) العشّي، "دراسة في علاقة الإقليم بالسلطة المركزية"، ع٣، ص ٢٠٣- ٢٤٦.

(٦) البلاذري، **أنساب الأشراف**، ج٥، ص ٢٠٨.

(٧) **المصدر نفسه**، ج٥، ص ١٩٩؛ كاتبي، **الخراج**، ص ٢٤٠.

وزاد اهتمام زياد بالأرض بأن طلب من عماله الاستعانة بأهل الخبرة والدراية والصلاح في أمور الخراج (عمال المعذرة)[1]، وعمل على تقسيط الخراج أحيانا، وإمهال آخرين لفترات؛ رفقا بالناس وحثا لهم على عمارة الأرض، ونتج عن ذلك أثر مباشر على وارد بيت المال[2].

وسار عبيد الله بن زياد على نهج والده في الإجراءات المالية، وبذلك زاد الخراج في زمنه- كما تقول إحدى الروايات[3]- حتى بلغ ١٤٥ ألف ألف درهم[4]. وفي البصرة أمر معاوية بحفر أنهار عدة وتعميقها، ومنها: نهر معقل، وذلك في فترة ولاية زياد بن أبي سفيان على بيت مال البصرة من قبل عبدالله بن عامر بن كريز، وحفر عبدالله بن عامر كذلك نهر الأساورة، ونهر أم عبدالله دجّاجة، ونهر نافذ وغيرها[5].

ومما سبق يتضح أن الإجراءات والإصلاحات المالية التي قام بها ولاة العراق كزياد وابنه عبيد، ما هي إلا نتاج لتأثير الأحوال الاقتصادية على سلطة الخليفة، مما يجعل الخليفة في دمشق يبارك تلك الإجراءات والإصلاحات، ويستقبل وارد الخراج.

وفي عهد يزيد بن معاوية وتأثرا بالأحوال الاقتصادية، وردت إشارة[6] أن يزيد قام بإعادة النظر في الصلح مع السامرة[1]، ووضع الخراج على أرض السامرة اليهود بالأردن

---

(١) شهد العراق في العصر الأموي اتباع طريقة جديدة في تولية عمال الأقاليم التي كانت تتكون منها الولاية، فقد قام زياد بن أبي سفيان باتباع أسلوب جديد في اختيار العمال في المدن التابعة لولاية العراق حيث ترك أمر اختيار هؤلاء العمال إلى أهالي هذه المدن، وأطلق عليهم تسمية عمال العذر أو المعذرة، وهناك ثمة تشابه بين اختيار جباة الضرائب في زمن عمر بن الخطاب، وطريقة اختيار عمال المعذرة، حيث أن كلاهما يتم اختيارها من قبل أهل كل بلدة، بيد أن الاختلاف يكمن في أن عمال المعذرة يتولون أمر إدارة شؤون الأقاليم أو المدن التي تتكون منها الولاية بشكل عام، في حين يختص عمال الخراج في مسألة تحصيله فحسب دون أن تكون لهم وظائف أخرى، وجدير بالذكر أن هذه الطريقة اتبعت في اختيار عمال الأقاليم دون الوالي الذي ستم تعيينه بشكل مباشر من قبل الخليفة الذي يمثل السلطة المركزية. انظر: الحمداني، سامي حسن نجم. **الإدارة المحلية وتطبيقها والرقابة عليها.** المركز القومي للإصدارات القانونية، القاهرة، ٢٠١٤م، ص ٢٧. (سيشار إليه فيما بعد: الحمداني، **الإدارة المحلية**).

(٢) كاتبي، **الخراج**، ص ٢٤٠.

(٣) ابن الفقيه، أحمد بن محمد (٣٤٠هـ/ ٩٥١م). **كتاب البلدان.** مخطوط مصور من المكتبة الرضوية في مشهد رقم ٥٢٢٩، إصدار فؤاد سزكين بالتعاون مع علاء الدين جوخوشا، مازن عماري وإيكهار نويباور، سلسلة عيون التراث، جامعة فرانكفورت، معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية، ألمانيا، ١٩٨٧م، ص ١٦٦. نقلا عن: كاتبي، **الخراج**، ص ٢٤٠.

(٤) كاتبي، **الخراج**، ص ٢٤٠.

(٥) البلاذري، **فتوح البلدان**، ص ٥٠٠.

(٦) **المصدر نفسه**، ص ٢١٦.

وفلسطين، وكانوا يدفعون الجزية فقط وفقا لشروط الصلح التي كان قد شرطها أبو عبيدة عامر بن الجراح، أما أراضيها فقد تركها أبو عبيدة آنذاك لليهود سكانها باعتبارهم عيونا وأدلاء للمسلمين[٢]. وكذلك قام بتعديل الجزية حيث جعل على رأس كل امرئ منهم دينارين بالأردن، وعلى رأس كل منهم خمسة دنانير بفلسطين[٣].

وأسقط يزيد بن معاوية مائتي حلة عن أهالي نجران اليمن من جزيتهم عندما شكوا إليه ضعفهم[٤]، وكذلك فعل معاوية من قبله مع من بأرض الروم ولم يأخذ منهم الجزية لعدم قدرتهم عليها، واستثنى من ذلك الملك وابنه؛ كونهم قادرين عليها وتشدد في ذلك[٥]، قائلا: "لو صببتم لي دنانير جزية حتى تملؤوا هذه الكنيسة، ولا يجزي الملك وابنه ما قبلتها منكم"[٦].

وكذلك الأمر بالنسبة لموعد الجباية، فلم يقبل معاوية جباية الخراج قبل موعده المحدد؛ رفقا بأهل الخراج، وقد سلك ولاة معاوية نفس سياسته ولم يقبلوا من عمالهم جباية الخراج قبل موعده المحدد، فقد استنكر زياد ما قام به أحد عماله من جباية الخراج في إحدى السنين في الثلث الأول من السنة، حيث قال: "لو أردنا هذا لقدرنا عليه، فاردد عليهم ثلثي ما جبيت"[٧].

ومن باب التسهيل أيضا كان الخراج مرات يؤخذ على أقساط للتخفيف على الفلاحين ومراعاة لأحوالهم، واستمرت هذه السياسة في ولاية عبيد الله بن زياد عندما استعمل حارثة بن بدر الغداني على جنديسابور، وبعد عدة أشهر جاء حارثة بخراج العام كاملا، ولكن عبيد الله لم يرض بذلك وأمره بأن يرجع ويرد إليهم الخراج، ويأخذه منهم مقسطا، كما حذره من أن يحملهم على بيع غلاتهم ومواشيهم ولا التعنيف عليهم، فرجع حارثة ورد الخراج عليهم، وجمعه منهم مقسطا حتى مضت السنة[٨]. وهذا يدلنا على أن الخلفاء السفيانيين عملوا على التسهيل على دافعي الجزية في حال عدم قدرتهم على أدائها.

---

(١) قوم من الناس يسكنون مناطق من جند فلسطين، كنابلس، ونابلس هي مدينة من مدن فلسطين القديمة. انظر: اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر (ت ٢٨٤هـ/ ٨٩٧م). **كتاب البلدان**. تحقيق: محمد أمين الضنّاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، د ت، ص ١٦٧. (سيشار إليه فيما بعد: اليعقوبي، **البلدان**).

(٢) كاتبي، **الخراج**، ص ١٥٥.

(٣) البلاذري، **فتوح البلدان**، ص ٢١٦.

(٤) **المصدر نفسه**، ص ٩٠.

(٥) ياسين، **الموارد والنفقات المالية**، ص ٢٠.

(٦) ابن عساكر، **تاريخ دمشق**، ج٦٧، ص ٣٩.

(٧) البلاذري، **أنساب الأشراف**، ج٥، ص ٢٣١.

(٨) ياسين، **الموارد والنفقات المالية**، ص ٥٠.

وأمر يزيد بن معاوية بتعميق بعض الأنهار في الغوطة[١]، واهتم بمشاريع الري؛ لزيادة وارد الخراج، ومن الأنهار التي عمل على توسيعها النهر الذي عُرف فيما بعد بنهر يزيد، وهو نهر صغير يخترق ضيعتي بني فوقا، وكان قد شقه الأراميون باتجاه شمال الغوطة؛ لسقاية مناطق جوبر[٢] والقابون[٣] وحرستا[٤] ودومة[٥]، ولكي يشجع أهل الغوطة على العمل والسماح له في تحديث النهر وتوسيعه ضمن لهم بالمقابل خراج سنتهم من ماله[٦].

واستبطأ يزيد بن معاوية الخراج ذات مرة من عامله على خراسان مسلم بن زياد، فبعث إليه: "قليل العتاب يحكم مرائر الأسباب، وكثير يقطع أواخي الانتساب"[٧]. وهذا يعني أن جمع الخراج يتم في مدة معينة وأن أوضاع الخراج يمكن أن تؤثر في سلطة وسياسة الخليفة.

ومن الأمور الهامة التي وجب ذكرها ويُستنتج من خلالها تأثير الأحوال الاقتصادية على سلطة الخليفة، أن الدولة الأموية في عهد يزيد بن معاوية واجهت احتجاجات واسعة من الناس، وذلك بسبب كثرة القطائع التي أقطعها السفيانيين، وتوزعت تلك القطائع على الأسرة الأموية أولا، وقريش ثانيا، وأشراف القبائل ثالثا، وكان نصيب عامة الناس منها الشيء الذي لا يكاد يذكر؛ فقد ذكر السدوسي في كتابه: "ولم تكن السوق (عامة الناس) تُقطع الأرضين"[٨].

---

(١) هي منطقة بالقرب من دمشق، بها أنهار تنبع من جبال عالية محيطة بها من جميع جهاتها، وبها بساتين، حيث تسقي تلك الأنهار بساتين الغوطة وزروعها، وهي كلها أشجار وأنهار متصلة حتى وُصفت بأنها "أنزه بلاد الله وأحسنها منظرا، وهي إحدى جنان الأرض الأربع: وهي الصُغد والأبلة وشعب بوان والغوطة، وهي أجلّها". انظر: الحموي، **معجم البلدان،** ج٤، ص ٢١٩.

(٢) هي قرية بالغوطة من دمشق. انظر: **المصدر نفسه،** ج٢، ص ١٧٦.

(٣) قابون هو موضع بينه وبين دمشق ميل واحد، ويقع في الطريق الذي يربط دمشق بالعراق في وسط البساتين. انظر: **المصدر نفسه،** ج٤، ص ٢٩٠.

(٤) قرية كبيرة عامرة تقع وسط بساتين دمشق على طريق حمص، وتبعد عن دمشق أكثر من فرسخ، ومن أعلامها الشيخ القاضي عبدالصمد بن محمد الأنصاري الحرستاني، أحد أئمة المذهب الشافعي. وهناك منطقة أخرى اسمها حرستا المنظرة وهي قرية من قرى دمشق شرق الغوطة، ومنطقة ثالثة أيضا تعرف بحرستا وهي من أعمال رعبان بالقرب من حلب، وفيها حصن ومياه غزيرة. انظر: **المصدر نفسه،** ج٢، ص ٢٤٢.

(٥) هي قرية من قرى غوطة دمشق، وهي غير دومة الجندل. انظر: **المصدر نفسه،** ج٢، ص ٤٨٦.

(٦) ابن شداد، عز الدين محمد بن علي بن إبراهيم (ت ٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م). **الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة: تاريخ مدينة دمشق.** تحقيق: سامي الدهّان، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، ١٩٥٦م، ص ١٤٤ و١٩٤. (سيشار إليه فيما بعد: ابن شداد، **الأعلاق الخطيرة**)؛ كاتبي، **الخراج،** ص ١٥٦.

(٧) ابن عبد ربه، **العقد الفريد،** ج٤، ص ٢٨٩؛ ياسين، **الموارد والنفقات المالية،** ص ٥٣.

(٨) السدوسي، مؤرج بن عمرو (ت ١٩٥هـ/ ٨١٠م). **كتاب حذف من نسب قريش.** تحقيق: صلاح الدين المنجد، مكتبة دار العروبة، القاهرة، د ت، ص ٣٩. (سيشار إليه فيما بعد: السدوسي، **حذف نسب قريش**).

وقد أثارت تلك التصرفات من السلطة الأموية الناس، فورد أن أهل المدينة احتجوا على نقل أموال الصوافي إلى الشام وذلك بمنعهم ابن مينا[1]- عامل صوافي معاوية- من نقلها إلى الخليفة في الشام، وحاول والي المدينة عثمان بن محمد بن أبي سفيان تثبيط الناس عن القيام بذلك، ودخل جماعة منهم على الوالي فكلموه في تلك الأموال: "قد علمت أن هذه الأموال كلها لنا، وأن معاوية آثر علينا في عطائنا، ولم يعطنا قط درهما فما فوقه، حتى مضّنا الزمان، ونالتنا المجاعة، فاشتراها منا بجزء من مئة من ثمنها"[2].

فما كان جواب الوالي إلا أن أغلظ لهم في القول، وتوعدهم بأنه سيكتب إلى يزيد بن معاوية بخبرهم: "لأكتبن إلى أمير المؤمنين بسوء رأيكم، وما أنتم عليه من كمون الأضغان القديمة، والأحقاد التي لم تزل في صدوركم"[3]، فنتج عن ذلك أن أهل المدينة وثبوا ببني أمية وأخذوا يرجمونهم بالحجارة[4].

ومن الأملاك التي كانت لمعاوية في المدينة المنورة أيضا، تلك التي كانت في ثنية الشريد[5]، وهي لرجل من بني سليم، وكانت أرضا خصبة تضم أعنابا ونخلا، فقدم معاوية فطلبها منه، ورفض أن يبيعه إياه، ولكن عمال معاوية ذهبوا وعملوا في الأرض، مما اضطر الرجل أن يذهب إلى معاوية ويوافق على طلبه[6]. وعرض معاوية على الحسين بن علي أن يشتري منه عين أبي نيزر[7] بمائتي ألف دينار، لكن الحسن أبى أن يبيع[8].

ويبدو مما سبق، واتفاقا مع رأي النوافعة، أن أفراد الأسرة الأموية وعلى رأسهم الخليفة معاوية استغلوا أموالهم ومكانتهم في شراء الأراضي الزراعية في الأمصار، نتيجة للظروف

---

(١) ربما المذكور هو سعيد بن مينا مولى الرسول صلى الله عليه وسلم. انظر: ابن الأثير، أبي الحسن علي بن محمد الشيباني الجزري (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م). **أسد الغابة في معرفة الصحابة.** دار ابن حزم، بيروت، ٢٠١٢م، ص ٤٩١. (سيشار إليه فيما بعد: ابن الأثير، **أسد الغابة**)؛ ابن حجر، **الإصابة**، ج٣، ص ٩٧.

(٢) ابن قتيبة، **الإمامة والسياسة**، ج١، ص ٢٢٧.

(٣) **المصدر نفسه**، ، ج١، ص ٢٢٨.

(٤) اليعقوبي، **تاريخ**، ج٢، ص ١٦٤.

(٥) هي المزارع الممتدة من أرض المحرمين إلى أرض المنصور بن إبراهيم، ويفضي إليها سيل العقيق، وبها منازل وأبار كثيرة، تنبت الكلأ الصالح للمواشي، ويحيط بها من الشرق وادي ومن الغرب جبل يقال له جبل الفراء. انظر: السمهودي، **وفاء الوفا**، ج٢، ص ٢٠٦.

(٦) **المرجع نفسه**، ج٢، ص ٢٠٦.

(٧) عين تنسب إلى مولى لعلي بن أبي طالب، كان ابنا للنجاشي ملك الحبشة، ووجده علي عند تاجر بمكة فاشتراه منه وأعتقه. انظر: الحموي، **معجم البلدان**، ج٤، ص ١٧٦.

(٨) **المصدر نفسه**، ج٤، ص ١٧٦.

والأحوال السيئة التي مرت بها تلك البلاد، وذلك عن طريق إحياء الأرض الموات وهو مما لا يستطيعه عامة الناس لأنه يتطلب الكثير من الأموال والأيدي العاملة، وفي النموذج المدني خير دليل على ذلك، فقد عُمِّرت أرض المدينة وأُستصلحت في العهد الأموي أكثر من أي وقت مضى، وذلك أدى إلى إقبال الناس على شرائها والمضاربة فيها، وبالتالي ارتفاع أسعارها، وكان ذلك الاستغلال من قبل أفراد الأسرة الأموية، بسبب الظروف التي مر بها أهل المدينة؛ نظرا لشح العطاء وجور السنين، وهذا ما دفع بعض الباحثين إلى الاعتقاد بأن الأحوال الاقتصادية لأهل المدينة زمن الأمويين كانت سببا في تكوين نواة للمعارضة ترجمت على أرض الواقع سنة ٦٣هـ/ ٦٨٣م[١].

ثالثا: الأوضاع العسكرية (الجبهات والثغور على حدود الدولة الإسلامية):

أطلق المسلمون على تحصيناتهم المتاخمة لحدود الروم أو الدولة البيزنطية اسم (الثغور)، ومن أشهر الثغور في ذلك الوقت: الثغور الشامية، والثغور الجزرية، وكانت الثغور الجزرية تعمل مع الثغور الشامية كقواعد للحملات المشتركة على آسيا الصغرى، وحفظ الخليفة معاوية بن أبي سفيان لكل جبهة مهامها واختصاصاتها، فمهمة الثغور الجزرية هي حماية الحدود الإسلامية (دفاعية)، ومهمة الثغور الشامية هي الهجوم على الدولة البيزنطية (هجومية)[٢].

ومما سبق يتضح أن طبيعة الأوضاع في الجبهات والثغور فرضت نمط معين من التخصيص لها، وبهذا يمكن القول أن تلك الأحوال مؤثرة على سلطة الخليفة الأموي في الفترة موضوع الدراسة، وذلك لأنه تخصصية الثغور تجعل من الخليفة يتخذ بعض القرارات بما يتناسب مع طبيعة الظروف في تلك الجبهة سواء أكانت القرارات المتعلقة بالتعبئة والتموين أوالرقابة والقيادات العسكرية واختيار الأكفاء وإقامة المعسكرات والقواعد العسكرية بما تتطلبه من تسليح وإعداد وتموين مادي ومعنوي وبشري.

وكانت الدولة الأموية في بدايات عهدها تخوض الكثير من الحروب والصراعات في عدة جبهات على حدود الدولة الإسلامية، هذا فضلا عن حدوث المعارضات والأزمات الداخلية، وحتى في تلك المناطق أو الثغور التي لم يكن بها تعرض للعداء، فقد كانت الدولة حريصة على الحفاظ عليها منيعة لأجل الدفاع وسد باب التعرض للعدوان في أي لحظة، فما إن وصل الخليفة

---

(١) النوافعة، **المدينة المنورة**، ص ٩٩.

(٢) العبد الغني، عبد الرحمن محمد. "الحدود البيزنطية الإسلامية وتنظيماتها الثغرية ٤٠- ٣٣٩هـ/ ٦٦٠-٩٥٠م". **حوليات كلية الآداب**، جامعة الكويت، ١٩٩٠م، الحولية١١، الرسالة٧١، ص ٦- ٦٧. (سيشار إليه فيما بعد: العبد الغني، "الحدود البيزنطية الإسلامية").

معاوية للسلطة حتى تطلع إلى إكمال الفتوحات الإسلامية، وحماية حدود الدولة، وكان معاوية مدركا أن المواجهة مع الدولة البيزنطية شيء حتمي لسببين[١]:

- الأول: قرب الدولة البيزنطية من حدود عاصمة الخلافة دمشق.
- الثاني: أن خطر الدولة البيزنطية كان ولا يزال قائما ومهددا للدولة الإسلامية.

لذلك أولى خلفاء الأمويين في العهد السفياني موضوع الجهاد والفتوحات أهمية عظمى، وأدرك معاوية بنظره الثاقب أن أحد المقومات الضرورية لبقاء المسلمين هو السيطرة البحرية في حوض البحر المتوسط، وأن استمرارية الحفاظ على هيبة الدولة تتطلب منه التطلع إلى أراضي الدولة البيزنطية، ولذلك فقد كانت فترة ولاية معاوية على الشام الحجر الأساسي في صرح العمليات البحرية الأموية فيما بعد[٢].

ففي بدايات عهد معاوية سنة ٤١هـ/ ٦٦٠م قام ملك الروم بالزحف في جموع كثيرة إلى الثغور الإسلامية، وكان معاوية حينئذ منشغل بالتأسيس لدولته، فخاف أن يشغله زحف الروم وهو غير مستعد لذلك، فاضطر أن يرسل إليه ويصالحه، فكان الصلح في مطلع عام ٤٢هـ/ ٦٦١م، وكان معاوية يهدف من وراء هذا الصلح إلى التفرغ لإعادة الهدوء والاستقرار لكيان الدولة الإسلامية[٣]، وبالفعل لما استقام الأمر فيما بعد لمعاوية، أرسل أمراء الشام على الصوائف إلى بلاد الروم عام بعد عام[٤].

وقد حرص الخليفة معاوية على إرسال الصوائف والشواتي إلى أرض الروم بشكل مستمر طيلة عهده، وهي حملات عسكرية يتم إرسالها ويتألف عدد أفرادها بين ألف وخمسمائة

---

(١) الجبيلي، علياء يحيى علي. "العلاقات الإسلامية البيزنطية في العهد الأموي". **مجلة كلية الآداب**، جامعة القاهرة، ٢٠١١م، مج٧١، ع٤، ص ٣٧٣- ٤٢٩. (سيشار إليه فيما بعد: الجبيلي، "العلاقات الإسلامية البيزنطية").

(٢) العاوور، صلاح حسن. "المحاولات العربية لفتح القسطنطينية في العصر الأموي". **مجلة المؤرخ العربي**، اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة، ٢٠٠٠م، ع٨، ص ٣٦٣- ٣٩٣. (سيشار إليه فيما بعد: العاوور، "المحاولات العربية").

(٣) اليعقوبي، **تاريخ**، ج٢، ص ١٢٥؛ الجبيلي، "العلاقات الإسلامية البيزنطية"، مج٧١، ع٤، ص ٣٧٣- ٤٢٩.

(٤) اليعقوبي، **تاريخ**، ج٢، ص ١٢٥.

إلى ألفي رجل، واجبها الأساسي الإغارة على مناطق العدو الحدودية والحيوية وتوجيه ضربات خاطفة وسريعة على قواته ثم الانسحاب والعودة(١).

فكان المسلحون يقومون بالغارات في فصلي الربيع والصيف وتسمى الصوائف، وأخرى في الشتاء وتسمى الشواتي، وكان غزو الربيع يبدأ من منتصف يوليو حيث تكون الخيول قد سمنت من رعيها في كلأ الربيع ومراعيها، ويستمر الغزو ثلاثين يوما، وفي هذه الإغارات تجد الخيول مراعي غنية في الأراضي البيزنطيين التي تمر بها، ثم يجنح المسلمون إلى السكينة ويريحون خيولهم(٢).

أما بالنسبة لغارات الشتاء فلم يقدم المسلمون عليها إلا في حالات الضرورة القصوى دون أن يتوغلوا داخل أراضي البيزنطيين؛ خشية التفاف العدو وقطع خط الامداد، ولا تستغرق الشواتي أكثر من عشرين يوما وتكون عادة من أواخر فبراير حتى النصف الأول من مارس(٣).

وحاول معاوية معاودة استرداد أرمينية(٤)، وذلك لأنه رأى سوء الإدارة البيزنطية لها، والخلافات القائمة بين قائد الجيوش البيزنطية (سابور) والامبراطور البيزنطي (قسطنطين الرابع)، فقرر أن ينتهز هذه الفرصة السانحة باسترجاع أرمينية، وخصوصا أن سابور أرسل رسولا إلى معاوية يطلب مساعدته ويسّهل عودة المسلمين إلى أرمينية(٥).

ونال هذا الأمر قبول معاوية واستحسانه، على الرغم من التهديدات التي وصلته من الامبراطور البيزنطي بعدم التدخل في شؤون أرمينية(٦)، ونجحت الجيوش الإسلامية في

---

(١) عرفات، عبالله حسين ولي. "علاقة الدولة الأموية مع الدولة البيزنطية في عهد معاوية بن أبي سفيان (٤١-٦٠هـ/ ٦٦٠- ٦٨١م)". **مجلة آداب الكوفة**، كلية الآداب، جامعة الكوفة، ٢٠١٢م، مج٤، ع١٠، ص ٢٦٧-٢٩٢. (سيشار إليه فيما بعد: عرفات، "علاقة الدولة الأموية مع الدولة البيزنطية").

(٢) **المرجع نفسه**، مج٤، ع١٠، ص ٢٦٧- ٢٩٢.

(٣) **المرجع نفسه**، مج٤، ع١٠، ص ٢٦٧- ٢٩٢.

(٤) كانت أرمينية قد فتحها المسلمين في فترة خلافة عثمان بن عفان، ولما قامت الفتنة ووقع الخلاف بين معاوية وعلي بن أبي طالب، انسحب الجيش الإسلامي من أرمينية ونجح البيزنطيون في إعادتها إلى نفوذهم. انظر: اليعقوبي، **تاريخ**، ج٢، ص ١٢٥.

(٥) **المصدر نفسه**، ج٢، ص ١٢٥؛ الجبيلي، "العلاقات الإسلامية البيزنطية"، مج٧١، ع٤، ص ٣٧٣- ٤٢٩.

(٦) اليعقوبي، **تاريخ**، ج٢، ص ١٢٥؛ الجبيلي، "العلاقات الإسلامية البيزنطية"، مج٧١، ع٤، ص ٣٧٣-٤٢٩.

الوصول إلى أرمينية، وإعادتها إلى الدولة الإسلامية وجعل معاوية حبيب بن مسلمة الفهري[١] واليا عليها من قبله، وتوفي بها سنة ٤٢هـ/ ٦٦٢م[٢].

ومن القرارات ذات العلاقة بتأثير أحوال الثغور في سلطة الخليفة، ما ورد آنفا في أن معاوية أرسل يزيد ابنه على الصائفة ذات مرة، فوجه يزيد سفيان بن عوف الغامدي ليسبقه إلى بلاد الروم، فأصاب المسلمين في بلاد الروم حمى وجدري، وكانت أم كلثوم بنت عبد الله بن عامر زوج يزيد بن معاوية، وكان لها محباً، فلما بلغه ما نال الناس من الحمى والجدري قال أبياتا[٣]، فبلغ ذلك معاوية فقال: أقسم بالله لتدخلن أرض الروم فليصيبنك ما أصابهم، ففعل[٤].

وقام الخليفة معاوية بن أبي سفيان بمحاولات لفتح القسطنطينية، وذلك لأن القسطنطينية كانت حاضرة البحر المتوسط الكبرى، وكانت هدفا ومطمعا للمسلمين منذ زمن بعيد، وخصوصا أن الرسول- صلى الله عليه وسلم- كان قد بشر بفتح القسطنطينية، فأراد معاوية أن يقسم ظهر الإمبراطورية البيزنطية بالاستيلاء على عاصمتها، وكانت له محاولات تحتسب له في سبيل ذلك، وهيأ الظروف لتلك المحاولات، فقد جمع معاوية المعلومات الكافية عن تحصينات المدينة ومواطن الضعف وأعد لهذا الأمر بأن وجه عنايته إلى الأسطول البحري، فأكثر من دور[٥] صناعة السفن في السواحل السورية والمصرية[٦].

ففي سنة ٤٢هـ/ ٦٦٢م عمل معاوية على نقل الصناع والعمال من الفرس من ديارهم في بعلبك وحمص وأنطاكية إلى صور وعكا وغيرها من المدن الساحلية، وذلك للعمل في بناء السفن وإقامة التحصينات لأجل تقوية أسطوله[٧]، ونتج عن ذلك أن تضاعف إنتاج السفن، كما جهز معاوية الجيش، ونقل ميدان تجهيز الجند من الجابية إلى معسكر دابق القريب من الحدود

---

(١) يقال له: حبيب الروم؛ لكثرة دخوله عليهم بلادهم، وما ينال منهم من الفتوح. انظر: الزبيري، **نسب قريش**، ص ٤٤٧.

(٢) ابن عساكر، **تاريخ دمشق**، ج١٢، ص ٦٧.

(٣) راجع: ص ٦٤ السطر الثاني من الأسفل.؛ انظر أيضا: اليعقوبي، **تاريخ**، ج٢، ص ١٣٨.

(٤) البلاذري، **أنساب الأشراف**، ج٥، ص ٩٤.

(٥) أنشأ معاوية أول دار صناعة للسفن الحربية في مصر سنة ٥٤هـ/ ٦٧٤م وكان ذلك في ولاية مسلمة بن مخلد على مصر، وكان مقرها جزيرة الروضة، وبلغت السفن الحربية في عهد معاوية حوالي ألف وسبعمائة سفينة شراعية. انظر: الجبيلي، "العلاقات الإسلامية البيزنطية"، مج٧١، ع٤، ص ٣٧٣- ٤٢٩.

(٦) العاوور، "المحاولات العربية"، ع٨، ص ٣٦٣- ٣٩٣.

(٧) البلاذري، **فتوح البلدان**، ص ١٦٠؛ أحمد، **الأحوال الاجتماعية والاقتصادية**، ص ٤٨.

البيزنطية، ورتب لحملات الشواتي والصوافي حتى لا يترك للبيزنطيين فترة للراحة من تلك الصدامات، وبالتالي يتيسر له فتح القسطنطينية[١].

مهد معاوية للحروب التي خاضتها قواته البحرية والبرية حول القسطنطينية فيما بين عامي ٥٤- ٦٠هـ/ ٦٧٤- ٦٨٠م بحملات استطلاعية برية وبحرية متتابعة، وذلك بقصد دراسة الطرق المؤدية إلى القسطنطينية، ففي سنة ٤٩هـ/ ٦٦٩م أرسل معاوية حملة برية لغزو القسطنطينية بقيادة فضالة بن عبيد الأنصاري الذي نجح في الدخول إلى الأراضي البيزنطية حتى وصل خلقدونية القريبة من القسطنطينية، وقضى فيها فصل الشتاء[٢].

ثم أرسل إليه معاوية مددا آخر بقيادة سفيان بن عوف الذي نفّذ الحصار على القسطنطينية، ونظرا لجسامة المهمة وصعوبتها ولما أصاب المسلمين من جوع ومرض شديد، أردف معاوية بالجيش ابنه يزيد، وكان في الجيش عبدالله بن عباس وعبدالله بن عمر وعبدالله بن الزبير وأبو أيوب الأنصاري[٣].

توغلت الحملة في بلاد الروم حتى وصلت القسطنطينية واشتبك المسلمون مع الروم، واستمر الحصار البري والبحري للقسطنطينية قرابة ستة أشهر تخللتها الكثير من المناوشات بين الطرفين، واستطاعت المدينة أن تصمد أمام هذا الحصار لأن الامبراطور البيزنطي قسطنطين الرابع ملأ خزائنها بالمؤن والعتاد، وأصلح أسوارها قبل هجوم المسلمين بوقت قصير، وكان البيزنطيون قد جهزوا سفنا مزودة بآلات خاصة تقذف نوعا من النار لا يطفئها الماء (النار الإغريقية)، وإنما يزيدها اشتعالا، وبذلك استطاعوا أن يحرقوا كثيرا من سفن المسلمين بهذا السلاح الجديد[٤].

هذا فضلا عن دخول فصل الشتاء القارس الذي أرهق الجيش، وصعوبة الإمدادات البشرية والتموينية؛ لبعد المسافة وضعف وسائل النقل، وكذلك فقد كان للتيارات المائية الشديدة الأغوار التي تأتي من البحر الأسود دور في إضعاف أسطول المسلمين[٥].

---

(١) العاوور، "المحاولات العربية"، ع٨، ص ٣٦٣- ٣٩٣.

(٢) الجبيلي، "العلاقات الإسلامية البيزنطية"، مج٧١، ع٤، ص ٣٧٣- ٤٢٩.

(٣) الطبري، **تاريخ**، ج٥، ص ٢٣٢؛ الجبيلي، "العلاقات الإسلامية البيزنطية"، مج٧١، ع٤، ص ٣٧٣- ٤٢٩.

(٤) العاوور، "المحاولات العربية"، ع٨، ص ٣٦٣- ٣٩٣.

(٥) الجبيلي، "العلاقات الإسلامية البيزنطية"، مج٧١، ع٤، ص ٣٧٣- ٤٢٩.

لم يثن ذلك من عزيمة المسلمين، فقد تابعوا الحصار كلما تهيأت لهم ظروف الطقس، واستشهد من أبناء الصحابة عبد العزيز بن زرارة الكلابي، وحين بلغ معاوية استشهاده قال: "والله هلك فتى العرب"[(١)]، وفي هذه الواقعة توفي أيضا الصحابي أبو أيوب الأنصاري وهو يحاصر القسطنطينية ودفن بالقرب من سورها، وبعد هذه المدة الطويلة من الحصار واستعصاء المدينة دخل معاوية في مفاوضات مع الدولة البيزنطية تمهيدا لسحب قواته المحاصرة للقسطنطينية، وقفل يزيد بالجيش إلى الشام في نفس العام[(٢)].

وقد فشلت محاولات معاوية لفتح القسطنطينية، ولكن أسطوله البحري أستطاع ضم عدد من جزر البحر الأبيض المتوسط للنفوذ الإسلامي، مثل: رودس ٥٣هـ/ ٦٧٢م[(٣)]، وأرواد سنة ٥٥هـ/ ٦٧٤م[(٤)]، وكريت وصقلية[(٥)]. وغزا معاوية قبرس بنفسه في أيامه، وفتحها وغنم منها غنائم عظيمة[(٦)].

وخرج يزيد بن معاوية في عهد أبيه على رأس الكثير من الغزوات (الصوائف والشواتي) التي وُجهت إلى ثغور الدولة الإسلامية[(٧)]. هذا بالنسبة للجبهة والثغور الشمالية من حدود الدولة الإسلامية. ومن الأدلة التي تكشف تأثير الثغور على سلطات الخلفاء أنه "كان آخر ما أوصاهم به معاوية أن شدوا خناق الروم، فإنكم تضبطون بذلك غيرهم من الأمم"[(٨)].

أما بالنسبة للجبهة الغربية والتي تشمل أفريقية والمغرب، فكانت أكثر الجبهات اشتعالا في عهد معاوية، وذلك بسبب مقاومة البربر (سكان شمالي أفريقيا) الشرسة، وقد وكل معاوية قيادة الحملات الإسلامية على أفريقية إلى عقبة بن نافع الفهري، الذي بنى قاعدة للمقاتلة سماها القيروان سنة ٥٠هـ/ ٦٧٠م[(٩)].

---

(١) ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج٣، ص ٥٧.

(٢) العاوور، "المحاولات العربية"، ع٨، ص ٣٦٣- ٣٩٣.

(٣) ابن الجوزي، **المنتظم**، ج٥، ص ٢٥٥.

(٤) قدامة بن جعفر، **الخراج**، ص ٣٥١.

(٥) الطبري، **تاريخ**، ج٥، ص ٢٨٨ وما بعدها؛ فوزي، **الخلافة الأموية**، ص ٨٩.

(٦) البلاذري، **الفتوح**، ص ٢١٠.

(٧) البلاذري، **أنساب الأشراف**، ج٥، ص ٩٤.

(٨) ابن خياط، **تاريخ**، ص ٢٣٠.

(٩) **المصدر نفسه**، ص ٢١٠؛ ابن عائذ، **كتاب الصوائف**، ص ١٣؛ ابن الجوزي، **المنتظم**، ج٥، ص ٢٢٨.

وكانت الأوضاع في أفريقية آنذاك تستوجب إنشاء هذه القاعدة لتكون مقرا للمقاتلة المسلمين، وقاعدة للغزو الإسلامي لهذه البلاد تكون بعيدة عن البحر بالقدر الذي يحميها من خطر الأسطول البيزنطي[1]، وبرر عقبة بن نافع إنشاء قاعدة القيروان بقوله: "إن أهل هذه البلاد قوم لا خلاق لهم، إذا عضّهم السيف أسلموا وإذا رجع المسلمون عنهم عادوا إلى عادتهم ودينهم، ولست أرى نزول المسلمين بين أظهرهم رأيًا، وقد رأيت أن أبني ههنا مدينة يسكنها المسلمون"[2].

وهذا يدل على أن حال تلك البلاد كانت أحد العوامل المؤثرة في السلطة الأموية، ونتج عن هذا التأثير بناء هذه القاعدة التي كانت من الأحداث الممهدة لاتساع الفتوحات في الجبهة الغربية من الدولة الإسلامية. واستمر الولاة الذين تعاقبوا على أفريقية في محاولاتهم لكسب البربر إلى الإسلام، ونجحوا في ذلك فيما بعد.

وفي العام نفسه ٥٠هـ/ ٦٧٠م، أغزى مسلمة بن مخلد معاوية بن حديج السكوني[3]، وكتب معاوية بن أبي سفيان إلى مروان بن الحكم وهو عامله على المدينة أن يبعث عبد الملك بن مروان على بعث المدينة إلى المغرب، فذهب عبد الملك بن مروان ودخل مع معاوية بن حديج إفريقية، وبعثه معاوية بن حديج على خيل إلى جلولاء بأرض المغرب، فحاصر أهلها ونصب عليها المجانيق، وقتل المقاتلة وسبى الذرية، ومن ثم طلب معاوية بن حديج من عبدالملك أن يعود بالجيش الذي معه فعاد، وأرسل إلى هناك جيشًا آخر، وسألوه الصلح فصالحهم سنة ٥١هـ/ ٦٧١م[4].

وكان من ولاة وقادة الجبهة الغربية من الدولة الإسلامية معاوية بن حديج، ومسلمة بن مخلد، وأبو المهاجر[5]، ففي سنة ٥٥هـ/ ٦٧٥م عزل معاوية بن أبي سفيان، معاوية بن حديج عن مصر، وعزل أيضا عقبة بن نافع عن أفريقية، واستعمل عليهما معا مسلمة بن مخلد الذي بدوره اختار لأفريقية مولاه أبا المهاجر دينار[6].

---

(١) عبد الحليم، راضي عبدالله. "المغرب في العصر الأموي ٤٠- ١٣٢هـ". **مجلة المؤرخ المصري**، جامعة القاهرة، ١٩٩٣م، ع١٠، ص ١٢١- ١٧٨. (سيشار إليه فيما بعد: عبد الحليم، "المغرب في العصر الأموي").

(٢) الحموي، **معجم البلدان**، ج٤، ص ٤٢٠؛ عواد، **الجيش في العصر الأموي**، ص ١٠٥.

(٣) قدامة بن جعفر، **الخراج**، ص ٣٤٤.

(٤) ابن خياط، **تاريخ**، ص ٢١٠.

(٥) الطبري، **تاريخ**، ج٥، ص ٢٤٠.

(٦) عبد الحليم، "المغرب في العصر الأموي"، ع١٠، ص ١٢١- ١٧٨.

ووجه معاوية أيضا حسان بن النعمان الغساني إلى أفريقية سنة ٥٧هـ/ ٦٧٧م، فصالحه من يليه من البربر، ووضع عليها الخراج، ولم يزل عليها حتى مات معاوية[١].

ومن الأمور التنظيمية التي اتخذها معاوية وفقا للأوضاع العسكرية وطبيعة المنطقة، أنه قام بضم إدارة الخراج إلى الوالي في ولاية عتبة بن أبي سفيان على مصر، بعد أن كانت سياسة معاوية المتبعة في الغالب فصل السلطة الإدارية عن السلطة المالية في الولايات، ولكنه خالف سياسته تلك فيما يخص مصر، بسبب أن مصر آنذاك كانت منطلقا للفتوحات، وبحاجة للكثير من الأموال، ورأى معاوية أنه لا بد من توفر الأموال بيد الوالي لتسهيل العمليات العسكرية المتجهة غربا[٢].

وكان سبب ذلك أيضا- كما رُوي- أنه وفد على معاوية نفر من أهل مصر، وكان معاوية قد ولى عتبة الحرب وورادن الخراج، وحُويت بن زيد الديوان، فسأل معاوية الوفد عن عتبة، فقال عُبادة[٣] بن صُمل: "حوت بحر، ووعل بر، فقال معاوية لعتبة: اسمع ما يقول فيك رعيتك، فقال: صدقوا يا أمير المؤمنين، إنك حجبتني عن الخراج ولهم عليّ حقوق، وأكره أن أجلس، فأُسأل فلا أفعل، فأبخل، فضم إليه معاوية الخراج"[٤].

ومما يعبر أيضا عن دور الأوضاع العسكرية في التأثير على سياسات وسلطة الخليفة الأموي في العهد السفياني، أوضاع الفتوحات التي قام بها ولاة العراق في شرقي بلاد فارس وبلاد ما وراء النهر والتي يُستنتج منها أن معاوية أولى الفتوحات عظيم اهتمامه ونجح في الاستفادة من المقدرات القتالية للقادة فيها[٥].

فقد بعث ابن عامر عبدالله بن سوار العبدي سنة ٤٥هـ/ ٦٦٥م، فافتتح القيقان[٦] وأصاب غنائم منها الخيول القيقانية[٧]، ثم قدم على معاوية واستخلف كراز بن أبي كراز العبدي، فرده معاوية إلى عمله وعزل ابن عامر[١].

---

(١) ابن خياط، **تاريخ**، ص ٢٢٤.

(٢) ياسين، **الموارد والنفقات المالية**، ص ٥٢.

(٣) عُبادة بن صُمل بن عوف المعافري، من تابعي أهل مصر. انظر: ابن عساكر، **تاريخ دمشق**، ج٢٦، ص ٢٠٨.

(٤) ابن عبد الحكم، **فتوح مصر والمغرب**، ج١، ص ١٢٦؛ ابن عساكر، **تاريخ دمشق**، ج٢٦، ص ٢٠٨.

(٥) فوزي، **الخلافة الأموية**، ص ٨٩.

(٦) مدينة بظاهر حلب، وقيل بلاد قرب طبرستان. انظر: الحموي، **معجم البلدان**، ج٤، ص ٤٢٣.

(٧) قدامة بن جعفر، **الخراج**، ص ٤١٤.

وفي سنة ٤٦هـ/ ٦٦٦م، عزل معاوية عبد الرحمن بن سمرة عن سجستان، وولاها الربيع بن زياد بن الربيع الحارثي، فهاجت الترك، وزحفوا إلى المسلمين، وأخرج من كان بكابل من المسلمين، وغلب على بعض القرى من بلاد الترك حتى انتهى إلى بست[٢]، فلقيهم الربيع بن زياد ببست، وانتصر على رتبيل، وطاردهم الربيع إلى الرخج[٣].

ومن ثم عُزل الربيع بن زياد ووُلي عبيدالله بن أبي بكرة سجستان، وبعث إليه رتبيل يسأله الصلح، ففعل، وتم الصلح على ألف ألف دينار، وظل بها إلى أن توفي زياد، وصارت سجستان إلى عباد بن زياد من قبل معاوية[٤].

---

(١) ابن خياط، **تاريخ**، ص ٢٠٧.

(٢) كورة من كور سجستان. انظر: الحموي، **معجم البلدان**، ج٥، ص ٣٣٣.

(٣) ابن خياط، **تاريخ**، ص ٢٠٨؛ قدامة بن جعفر، **الخراج**، ص ٣٩٥.

(٤) قدامة بن جعفر، **الخراج**، ص ٣٩٥.

نتائج الدراسة وتوصياتها

خلصت الباحثة من هذه الدراسة إلى عدة نتائج، منها:

كان لمسألة الثأر للخليفة عثمان بن عفان الدور الأساس الأول الذي استفاد منه معاوية بن أبي سفيان واستطاع بدهائه وخبرته أن يحسمها لصالحه ولصالح أسرة (الأمويين).

أن ولاية معاوية على الشام التي استمرت قرابة العشرين عاما، أعطته الخبرة والتجربة في التعامل مع الأحداث السياسية، بالإضافة إلى ما عُرف عنه من دهاء، وبهما أيضا استطاع معاوية بن أبي سفيان أن يحقق حلم الأمويين في الحكم، ولكن ما أن تحقق الأمر حتى نجده وأتباعه يتخلون عن الثأرلدم عثمان، على الرغم من امتلاكهم السلطة والقوة التي استطاعوا من خلالها تحقيق هدفهم (الثأر لعثمان).

تعدد مستويات السلطة في العهد السفياني من الدولة الأموية؛ بحيث يمكن للمتتبع أن يلاحظ عدة أشكال من السلطة، وما يقترن بها من صلاحيات في اتخاذ القرار.

أن سلطة الخليفة الأموي في اتخاذ القرارات- حتى المصيرية منها- كانت محكومة نسبياً بعدة عوامل وقوى مؤثرة ولم تكن مطلقة إطلاقا تاما؛ فالخليفة ما كان ليتخذ أي قرار سياسي دون التأثر بها سواء أكان ذلك اختيارًا كالتأثيرات التي كان يستجيب لها نتيجة لمشورة أحد أو بسبب مصاهرة أو ظروف سلمية أم إجبارًا كالقرارات التي يتخذها تحت ظروف الحرب والفتن والمعارضات أو تلك التي تفرضها ظروف غير مخطط لها.

أن القوى المؤثرة في سلطة الخليفة في العصر الأموي تتفاوت من حيث مدى تأثيرها، ونسبة ذلك تبعا للظروف والأحداث وبعض العوامل الأخرى والتي من بينها: شخصية الخليفة ذاته، وخلفيته الاجتماعية من حيث نسب الأم، وعلاقاته بشيوخ القبائل، والفكر الديني والسياسي للخليفة نفسه أو السائد في دولة الخلافة أو في أحد الأقاليم التابعة لها، والأحداث التي تستجد في كل عهد من عهود الخلفاء كنتيجة طبيعية وحتمية لحركة التاريخ وظروف العصر.

يمثـل ولاة العهـد قـوة كبـرى أسـهمت فـي التـأثير علـى سـلطة الخليفـة الأمـوي فـي الفتـرة السـفيانية، ودفعـت بـه إلـى القيـام بـالكثير مـن الأمـور والإقـدام علـى قـرارات أثـرت فـي احـداث تطـورات فـي العصـر الأمـوي، فقـد أتخـذ الخليفـة معاويـة علـى سـبيل المثـال الكثيـر مـن القـرارات تحـت تـأثير ولايـة العهـد ليزيـد، كمحاولاتـه فـي إرغـام أهـل المدينـة علـى البيعـة مهمـا كـان الـثمن، واللجـوء إلـى المبالغـة فـي بعـض الأحيـان كتقـريض يزيـد ومدحـه وتقديمه على أبناء الصحابة.

نجـم عـن تـأثر سـلطة الخليفـة الأمـوي فـي الفتـرة موضـوع الدراسـة بـبعض القـوى ذات الصـفة الرسـمية، التوصـل إلـى مـا يمكـن أن تلعبـه بعـض القـوى الخفيـة مـن أثـر فـي تسـيير الأمـور وتوجيـه الأحـداث فـي تـاريخ الدولـة الإسـلامية، فقـد تـأثر الخلفـاء بمـا فـيهم معاويـة بـن أبـي سـفيان وابنـه يزيـد بعمـالهم وولاتهـم، ففـي موضـوع العهـد ليزيـد كـان لعبيـد الله بـن زيـاد أكبـر الأثـر فـي ذلـك، وفـي علاقـة السـلطة الأمويـة بأهـل الحجـاز مـثلا، كـان لولاة المدينة دور في ذلك.

كشـفت الأحـداث عـن الـدور العظـيم لـبعض القـوى غيـر الرسـمية فـي التـأثير علـى سـلطات الخلفـاء فـي الفتـرة السـفيانية إلـى درجـة الحـد مـن صـلاحياتهم فـي بعـض الأحيـان، ومـن تلـك القـوى (الزعامـات القبليـة) التـي كـان لهـم كلمـة مسـموعة ورأي غيـر مـردود، وحكـم نافـذ وصـلاحيات واسـعة ومقـام عنـد الخليفـة قـد لا يصـله آخـرين مـن ذوي المناصـب والقرابة.

لعبـت المعارضــة السياسـية تـأثيرا كبيـرا علــى سـلطة الخليفـة الأمـوي فـي الفتـرة السـفيانية، بمـا فـي ذلـك اتخـاذ الخليفـة بعـض القـرارات مرغمـا تحـت ضـغط الظـروف التـي فرضـتها المعارضـات السياسـية لا سـيما فـي الأقـاليم التـي كانـت بـؤرة الخـلاف والمعارضـة مـع السياسـة الأمويـة، كالحجـاز والعـراق اللّـذين أثـرا بشـكل مباشـر وغيـر مباشـر فـي سـلطة الخليفـة، وأسـهما فـي إحـداث محطـات ومجريـات لا يمكـن إغفالهـا ولا تجاوزهـا عنـد دراسـة التطورات السياسية في الدولة الإسلامية خلال العصر الأموي.

تعـد الثغـور الإسـلامية ونقـاط اللقـاء مـع العـدو جانـب مهـم مـن الجوانـب التـي وجهـت سـلطة الخليفـة الأمـوي فـي الفتـرة السـفيانية، وولـدّت قـرارات مهمـة كتوجيـه الحملات العسكرية وتحريك الأسطول الحربي نحو أهداف معينة.

هناك الكثير من التداخل والتشابك في موضوع القوى المؤثرة في سلطة الخليفة الأموي في الفترة موضوع البحث، فعلى سبيل المثال تم اعتبار (كبار القادة العسكريين) قوة رسمية مؤثرة في سلطة الخليفة الأموي، وبالمقابل يمثل (زعماء القبائل) قوة غير رسمية أثرت بشكل كبير في سلطة الخلفاء، ونظرا لأن الجيش الإسلامي كان في الفترة موضوع الدراسة لا يزال يعتبر جيش وفق مبدأ (الأمة المقاتلة) وليس (الجيش النظامي) المحترف، وكذلك فإن تقييد أسماء الجند في أغلب الأحيان كان على أساس قبلي، فإن القادة العسكريين هم نفسهم زعماء القبائل، ولكن يبقى الاختلاف في أن القوة الأولى رسمية والأخرى غير رسمية، وكذلك الأمر بالنسبة لبطانة الخليفة وحاشيته، فمنهم الأمراء وولاة العهد والموالي وغيرهم من المحيطين بالخليفة، ولكن من باب التنظيم تم التقسيم الآنف، لأجل التخصيص وتلافي حدوث تكرار.

استعان الخلفاء الأمويين في الفترة السفيانية بالشعراء أحيانا في الإفصاح عما يخططون للإقدام عليه، ولذلك فقد كان للشعراء تأثير في سلطات الخلفاء في تلك الفترة إيجابا في تحقيق أغراضهم، أو سلبا في التعبير عما يتذمر منه عامة الناس، وبذلك يمكن اعتبارهم لسان حال الناس في هذه الحالة.

وتوصي هذه الدراسة الباحثين والمهتمين بالبحث في الموضوعات ذات العلاقة بواقع التطبيق السياسي مقارنة بالتنظير في مسألة الخلافة والحكم في الإسلام، ويمكن تحقيق ذلك من خلال الدراسات المقارنة، وكذلك توصي الباحثين بتكثيف الدراسات المختصصة في تأثير القوى الخارجية أو الخلفية الاجتماعية والظروف الشخصية والنفسية للخليفة ذاته في سلطات وقرارات الخلفاء في الدولة الإسلامية، ويمكن تعميم ذلك أيضا على الولاة وقادة الأحزاب السياسية والتعمق في دراسة تأثير عامل من العوامل على بعض قراراتهم المصيرية.

المصادر والمراجع

أولا: القرآن الكريم.

ثانيًا: المصادر المخطوطة:

- ابن الفقيه، أحمد بن محمد (٣٤٠هـ/ ٩٥١م). **كتاب البلدان.** مخطوط مصور من المكتبة الرضوية في مشهد رقم ٥٢٢٩، إصدار فؤاد سزكين بالتعاون مع علاء الدين جوخوشا، مازن عماري وإيكهار نويباور، سلسلة عيون التراث، جامعة فرانكفورت، معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية، ألمانيا، ١٩٨٧م.

ثالثًا: المصادر المطبوعة:

- الأبشيهي، شهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح (ت ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م). **المستطرف في كل فن مستظرف.** تحقيق: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٦م.
- ابن الأثير، أبي الحسن علي بن محمد الشيباني الجزري (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م). **أسد الغابة في معرفة الصحابة.** دار ابن حزم، بيروت، ٢٠١٢م.
- ----------. **الكامل في التاريخ.** تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠١٢م.
- الأخطل، غياث بن غوث (ت ٩٢هـ/ ٧١٠م). **شعر الأخطل.** تحقيق: فخر الدين قباوة، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٦م.
- الأصفهاني، حمزة بن الحسن (ت ٣٦٠هـ/ ٩٧٠م). **تاريخ ملوك سني الأرض والأنبياء.** منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د ت.
- الأصمعي، عبد الملك بن قُريب (ت ٢١٧هـ/ ٨٣٢م). **تاريخ العرب قبل الإسلام.** تحقيق: محمد حسين آل ياسين، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٥٩م.
- ابن أعثم الكوفي، أبي محمد أحمد (ت ٣١٤هـ/ ٩٢٦م). **كتاب الفتوح.** تحقيق: علي شيري، دار الأضواء، بيروت، ١٩٩١م.
- البخاري، أبي عبدالله محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦هـ/ ٨٦٩م). **صحيح البخاري.** دار ابن كثير، دمشق، ٢٠٠٢م.
- البغدادي، عبد القادر بن عمر (ت ١٠٩٣هـ/ ١٦٨٢م). **خزانة الأدب.** تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٦م.

- ابن بكار، العباس الضبي (ت ٢٢٢هـ/ ٨٣٦م). **أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان.** تحقيق: سينة الشهابي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٣م.
- البكري، أبي عبيد عبدالله بن عبدالعزيز الأندلسي (ت ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م). **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع.** تحقيق: مصطفى السقا، عالم الكتب، بيروت، د ت.
- البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م). **أنساب الأشراف.** تحقيق: سهيل زكار ورياض زركلي، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٦م.
- ----------. **فتوح البلدان.** تحقيق: عبدالله أنبس الطباع وعمر أنيس الطباع، مؤسسة المعارف، بيروت، ١٩٨٧م.
- ابن تغري بردي، جمال الدين أبي المحاسن يوسف الأتابكي (ت ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م). **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة.** تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، د ت.
- التميمي، سيف بن عمر (ت ١٨٠هـ/ ٧٩٦م). **كتاب الردة والفتوح وكتاب الجمل ومسير عائشة.** تحقيق: قاسم السامرائي، دار أمية للطباعة، الرياض، ١٩٩٧م.
- التوحيدي، أبي حيان (ت ٤١٤هـ/ ١٠٢٣م). **الإمتاع والمؤانسة.** تحقيق: عبد المنعم فريد، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ٢٠١٦م.
- الجاحظ، أبي عثمان عمرو بن بحر البصري (ت ٢٥٥هـ/ ٨٦٨م). **رسائل الجاحظ.** تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، د ت.
- ---------. **البيان والتبيين.** تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، د ت.
- جرير، ابن عطية الخطفي (ت ١١٤هـ/ ٧٣٢م). **ديوان جرير.** تحقيق: نعمان محمد أمين طه، دار المعارف، د م، ١٩٨٦م.
- الجهشياري، أبي عبدالله محمد بن عبدوس (ت ٣٣١هـ/ ٩٤٢م). **كتاب الوزراء والكتّاب.** دار الفكر الحديث، بيروت، ١٩٨٨م.
- ابن الجوزي، أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت ٥٩٧هـ/ ١٢٠١م). **مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب.** تحقيق: حلمي محمد إسماعيل، دار ابن خلدون، الإسكندرية، ١٩٩٦م.

- ----------. **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم.** تحقيق: محمد عطا ومصطفى عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م.
- ابن حبيب، أبي جعفر محمد الهاشمي البغدادي (ت ٢٤٥هـ/ ٨٥٩م). **المحبّر.** تحقيق: إيلزه ليحتن شتيتر، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ١٩٤٢م.
- ابن حجر العسقلاني، الحافظ أحمد بن علي (ت ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م). **الإصابة في تمييز الصحابة.** تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوّض، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥م.
- ابن أبي الحديد، أبو حامد عز الدين بن هبة الله بن محمد المدائني (ت ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م). **شرح نهج البلاغة.** تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٥٩م.
- ابن حزم، أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي (ت ٤٥٦هـ/ ١٠٦٣م). **جمهرة أنساب العرب.** تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة، د ت.
- الحصري القيرواني، أبي إسحاق إبراهيم بن علي (ت ٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م). **زهر الآداب وثمر الألباب.** تحقيق: علي محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العربية، د م، ١٩٥٣م.
- الحموي، شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله (ت ٦٢٢هـ/ ١٢٢٥م). **معجم البلدان.** دار صادر، بيروت، ١٩٧٧م.
- ابن خرداذبة، أبي القاسم عبيد الله بن عبدالله (ت ٣٠٠هـ/ ٩١٢م). **المسالك والممالك.** تحقيق: حماه الله ولد السالم، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٤م.
- ابن خلدون، عبد الرحمن (ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٦م). **مقدمة ابن خلدون.** تحقيق: خليل شحادة وسهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠١م.
- ----------. **تاريخ ابن خلدون.** تحقيق: خليل شحادة وسهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٠م.
- ابن خلكان، أبي العباس شمس الدين أحمد (ت ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م). **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان.** تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د ت.
- ابن خياط، أبي عمر خليفة بن خياط بن أبي هبيرة (ت ٢٤٠هـ/ ٨٥٤م). **تاريخ خليفة بن خياط.** تحقيق: أكرم ضياء العمري، دار طيبة، الرياض، ١٩٨٥م.

- الـديـنوري، أبـي حنيفـة أحمـد بـن داؤود (ت ٢٨٢هـ/ ٨٩٥م). **الأخبـار الطـوال.** تحقيق: عبد المنعم عامر، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، د ت.
- الـذهبي، شـمس الـدين محمـد بـن أحمـد بـن عثمـان (ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م). **تـاريخ الإسـلام ووفيـات المشـاهير والأعـلام.** تحقيـق: عمـر عبـد السـلام تـدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٩م.
- ---------. **سـير أعـلام النـبلاء.** تحقيـق: مصـطفى عبـد القـادر عطـا، دار الكتـب العلمية، بيروت، د ت.
- الزبيـدي، السـيد محمـد مرتضـى الحسـيني (ت ١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م). **تـاج العـروس مـن جـواهر القـاموس.** تحقيـق: عبـد الصـبور شـاهين، مؤسسـة الكويـت للتقـدم العلمي، الكويت، ٢٠٠١م.
- الزبيـري، المصـعب بـن عبـدالله بـن المصـعب (ت ٢٣٦هـ/ ٨٥٠م). **نسـب قـريش.** تحقيق: ليفي بروفنسال، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٣م.
- الزمخشـري، أبـي القاسـم محمـود بـن عمـر (ت ٥٣٨هـ/ ١١٤٣م). **ربيـع الأبـرار فـي نصـوص الأخبـار.** تحقيـق: عبـد الأميـر مهنـا، مؤسسـة الأعلمـي للمطبوعـات، بيروت، ١٩٩٢م.
- ابـن زنجويـه، أبـو أحمـد حميـد بـن مخلـد بـن قتيبـة بـن عبـد الله الخرسـاني (ت ٢٥١هـ/ ٨٦٥م). **كتـاب الأمـوال.** تحقيـق: شـاكر ذيـب فيـاض، مركـز الملـك فيصـل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ١٩٨٦م.
- السدوسـي، مـؤرج بـن عمـرو (ت ١٩٥هـ/ ٨١٠م). **كتـاب حـذف مـن نسـب قـريش.** تحقيق: صلاح الدين المنجد، مكتبة دار العروبة، القاهرة، د ت.
- ابـن سـعد، محمـد بـن سـعد بـن منيـع (ت ٢٣٠هـ/٨٨٤م). **كتـاب الطبقـات الكبيـر.** تحقيق: علي محمد عمر، الشركة الدولية للطباعة، القاهرة، ٢٠٠٠م.
- السـمعاني، عبـد الكـريم بـن محمـد التميمـي (ت ٥٦٢هـ/ ١١٦٦م). **الأنسـاب.** تحقيق: عمر عبدالله البارودي، دار الجنان، بيروت، ١٩٨٨م.
- السـمهودي، نـور الـدين علـين بـن أحمـد (ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م). **وفـاء الوفـا بأخبـار دار المصـطفى.** تحقيـق: خالـد عبـد الغنـي محفـوظ، دار الكتـب العلميـة، بيـروت، د ت.

- ابن شداد، عز الدين محمد بن علي بن إبراهيم (ت ٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م). **الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة: تاريخ مدينة دمشق.** تحقيق: سامي الدهّان، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، ١٩٥٦م.
- الشهرستاني، أبي الفتح محمد عبد الكريم بن أبي بكر (ت ٥٤٨هـ/ ١١٥٣م). **الملل والنحل.** تحقيق: عبد العزيز محمد الوكيل، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٦٨م.
- ابن أبي شيبة، أبي بكر عبدالله بن محمد بن إبراهيم (ت ٢٣٥هـ/ ٨٤٦م). **المصنف.** تحقيق: حمد عبدالله الجمعة ومحمد إبراهيم اللحيدان، مكتبة الرشيد، الرياض، ٢٠٠٤م.
- الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن حسين بن بابويه (ت ٣٨١هـ/ ٩٩١م). **الخصال.** تحقيق: علي أكبر الغفاري، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم، ١٣٠٣هـ.
- ----------. **معاني الأخبار.** تحقيق: السيد محمد كاظم الموسوي، العتبة الحسينية المقدسة، كربلاء، ٢٠١٤م.
- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م). **الوافي بالوفيات.** تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٠م.
- الصولي، أبي بكر محمد بن يحيى (ت ٣٣٥هـ/ ٩٤٦م). **أدب الكاتب.** تحقيق: محمد بهجة الأثري، المكتبة العربية، بغداد، ١٣٤١هـ.
- ابن أبي طالب، علي (ت ٤٠هـ/ ٦٦٠م). **نهج البلاغة.** تحقيق: صبحي الصالح، دار الكتاب المصري، القاهرة، ٢٠٠٤م.
- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ/٩٢٢م). **تاريخ الطبري.** تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧١م.
- ابن طولون الدمشقي، شمس الدين محمد بن علي (ت ٩٥٣هـ/ ١٥٤٦م). **قيد الشريد من أخبار يزيد.** تحقيق: فاطمة مصطفى عامر، دار العلوم للطباعة، القاهرة، ١٩٧٨م.

- ابن طيفور، أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر (ت ٢٨٠هـ/ ٨٩٣م). **بلاغات النساء.** تحقيق: أحمد الألفي، مطبعة مدرسة والدة عباس الأول، القاهرة، ١٩٠٨م.

- ابن عائذ، محمد الدمشقي (ت ٢٣٣هـ/ ٨٤٧م). **كتاب الصوائف (المستخرج).** استخرجه: سليمان عبدالله السويكت. هذا البحث استخراجٌ لروايات مبثوثة في كتاب تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر.

- العاملي، عدي بن الرقاع (ت ٩٥هـ/ ٧١٤م). **ديوان شعر.** تحقيق: نوري حمود القيسي وحاتم الضامن، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٨٧م.
- ابن عبد البر، أبي عمر يوسف بن عبدالله بن محمد القرطبي (ت ٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م). **الاستيعاب في معرفة الأصحاب.** تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، د ت.
- عبد الجبار، عماد الدين القاضي (ت ٤١٥هـ/ ١٠٢٥م). **فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة ومباينتهم لسائر المخالفين.** تحقيق: فؤاد سيد، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٧٤م.
- ابن عبد الحكم، عبد الرحمن المصري (ت ٢٥٧هـ/ ٨٧١م). **فتوح مصر والمغرب.** تحقيق: عبد المنعم عامر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، د ت.
- ابن عبد ربه، أحمد بن محمد الأندلسي (ت ٣٢٨هـ/ ٩٣٩م). **العقد الفريد.** تحقيق: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣م.
- ابن عبد الحق، عبد المؤمن القطيعي البغدادي (ت ٧٣٩هـ/ ١٣٣٨م). **مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع.** تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٢م.
- ابن عذاري، أبي العباس أحمد بن محمد المراكشي (ت ٧١٢هـ/ ١٣١٢م). **البيان المغرب.** تحقيق: بشار معروف ومحمود عواد، دار الغرب الإسلامي، تونس، ٢٠١٢م.
- ابن العربي، القاضي أبي بكر (ت ٥٤٣هـ/ ١١٤٨م). **العواصم من القواصم.** تحقيق: عمار طالبي، مكتبة دار التراث، القاهرة، ١٩٧٤م.
- ابن عساكر، الحافظ أبو القاسم علي بن الحسن (ت ٥٧١هـ/ ١١٧٥م). **تاريخ مدينة دمشق.** تحقيق: عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥م.

- الفراهيـدي، الخليـل بـن أحمـد (ت ١٧٠هــ/ ٧٨٦م). **كتـاب العـين.** تحقيـق: عبـد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣م.
- الفـرزدق، همـام بـن غالـب (ت ١١٤هــ/ ٧٣٢م). **ديـوان الفـرزدق.** تحقيـق: علـي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م.
- ابـن فضـل الله العمـري، شـهاب الـدين أحمـد بـن يحيـى (ت ٧٤٩هــ/ ١٣٤٨م). **مسـالك الأبصـار فـي ممالـك الأمصـار.** تحقيـق: كامـل الجبـوري ومهـدي الـنجم، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٠م.
- الفيـروز أبـادي، مجـد الـدين محمـد بـن يعقـوب (ت ٨١٧هـ/ ١٤١٤م). **القـاموس المحيط.** تحقيق: أبو الوفا نصر الهوريني، دار الكتب العلمية، بيروت، د ت.
- ابـن قتيبـة، محمـد بـن عبـدالله بـن مسـلم (ت ٢٧٦هــ/ ٨٨٨م). **الإمامـة والسياسـة.** (منسوب إليه)، تحقيق: علي شيري، دار الأضواء، بيروت، ١٩٩٠م.
- ----------. **الشـعر والشـعراء.** تحقيـق: أحمـد محمـد شـاكر، دار المعـارف، القاهرة، د ت.
- ----------. **المعارف.** تحقيق: ثروت عكاشة، دار المعارف، القاهرة، د ت.
- قدامـة بـن جعفـر، أبـو الفـرج البغـدادي (ت ٣٣٧هــ/ ٩٤٨م). **الخـراج وصـناعة الكاتب.** تحقيق: محمد حسين الزبيدي، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨١م.
- القلقشـندي، أحمـد بـن عبـدالله (ت ٨٢١هــ/١٤١٧م). **صـبح الأعشـى.** دار الكتـب المصرية، القاهرة، ١٩٢٢م.
- ابـن كثيـر، أبـي الفـدا إسـماعيل (ت ٧٧٤هــ/ ١٣٧٢م). **البدايـة والنهايـة.** تحقيـق: مـأمون محمـد الصـاغرجي ومحمـود عبـد القـادر الأرنـاؤوط، ط٢، دار ابـن كثيـر، دمشق، ٢٠١٠م.
- الكرمـاني، أحمـد حميـد الـدين (ت ٤١١هــ/ ١٠٢٠م). **المصـابيح فـي إثبـات الإمامة.** تحقيق: مصطفى غالب، دار المنتظر، بيروت، ١٩٩٦م.
- الكلبـي، هشـام بـن محمـد بـن السـائب (ت ٢٠٤هــ/ ٨١٩م). **جمهـرة النسـب.** تحقيـق: ناجي حسن، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٦م.
- الكنـدي، أبـي عمـر محمـد بـن يوسـف المصـري (ت ٣٥٠هــ/ ٩١٧م). **كتـاب الـولاة وكتاب القضاة.** تحقيق: رفن كست، مطبعة الآبا اليسسوعيين، بيروت، ١٩٠٨م.
- ابـن ماجـه، الحـافظ أبـو عبـدالله محمـد بـن يزيـد (ت ٢٧٥هــ/ ٨٨٨م). **سـنن ابـن ماجه.** تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، د م، د ت.

- الماوردي، أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب (ت ٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م). **الأحكام السلطانية.** تحقيق: سمير مصطفى رباب، المكتبة العصرية، صيدا، ٢٠٠٣م.
- المبّرد، أبي العباس محمد بن يزيد (ت ٢٨٥هـ/ ٨٩٨م). **الكامل.** تحقيق: محمد أحمد الدالي، مؤسسة الرسالة، د م، ١٩٩٢م.
- ابن مزاحم، نصر المنقري (ت ٢١٢هـ/ ٨٢٧م). **وقعة صفين.** تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٠م.
- المسعودي، أبي الحسن علي بن الحسين (ت ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م). **التنبيه والإشراف.** تحقيق: عبدالله إسماعيل الصاوي، مكتبة الشرق الإسلامية، القاهرة، ١٩٣٨م.
- ----------. **مروج الذهب ومعادن الجوهر.** تحقيق: كمال حسن مرعي، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٥م.
- ابن مسكويه، أحمد بن محمد أبو علي الرازي (ت ٤٢١هـ/ ١٠٣٠م). **تجارب الأمم.** تحقيق: أبو القاسم إمامي، دار سروش للطباعة، طهران، ٢٠٠١م.
- مسلم، أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ/ ٨٧٤م). **صحيح مسلم.** تحقيق: صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، الرياض، ١٩٩٨م.
- المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤٢م). **النزاع والتخاصم فيما بين بني أمية وبني هاشم.** تحقيق: حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٨م.
- ابن منظور، أبي الفضل جمال الدين محمد بنت مكرم الأنصاري (ت ٧١١هـ/ ١٣١١م). **لسان العرب.** تحقيق: عبدالله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، د ت.
- النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م). **نهاية الإرب في فنون الأدب.** تحقيق: عبد المجيد ترحيني وعماد علي حمزة، دار الكتب العلمية، بيروت، د ت.
- ابن هشام، أبي محمد عبدالملك الحميري المعافري (ت ٢١٣هـ/ ٨٢٨م). **السيرة النبوية.** مؤسسة المعارف، بيروت، ٢٠٠٥م.
- وكيع، محمد بن خلف بن حيان (ت ٣٠٦هـ/ ٩١٨م). **أخبار القضاة.** تحقيق: سعيد محمد اللحام، عالم الكتب، د م، د ت.

- اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر (ت ٢٨٤هـ/ ٨٩٧م). **تاريخ اليعقوبي.** تحقيق: عبد الأمير مهنا، شركة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ٢٠١٠م.
- ----------. **كتاب البلدان.** تحقيق: محمد أمين الضنّاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، د ت.
- أبي يوسف القاضي، يعقوب بن إبراهيم (ت ١٨٢هـ/ ٧٩٨م). **كتاب الخراج.** دار المعرفة، بيروت، ١٩٧٩م.

رابعًا: المراجع العربية:

- الأميني النجفي، عبد الحسين أحمد. **الغدير في الكتاب والسنة والأدب.** مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٩٤م.
- البرهاوي، رعد محمود أحمد. **أجناد الشام: دورهم السياسي والعسكري في العصر الأموي.** دار الكتاب الثقافي، د م، ٢٠٠٧م.
- بن حسين، بثينة. **الدولة الأموية ومقوماتها الإيديولوجية والاجتماعية.** كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سوسة، د ت.
- ----------. **الفتنة الثانية في عهد الخليفة يزيد بن معاوية.** منشورات الجمل، بيروت، ٢٠١٣م.
- الجابري، محمد عابد. **العقل السياسي العربي.** مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٠م.
- جعيط، هشام. **الفتنة.** ترجمة: خليل أحمد خليل، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠٠٠م.
- الحمداني، سامي حسن نجم. **الإدارة المحلية وتطبيقها والرقابة عليها.** المركز القومي للإصدارات القانونية، القاهرة، ٢٠١٤م.
- الدارمي، ربيعة بن عامر (ت ٨٩هـ/ ٧٠٧م). **ديوان مسكين الدارمي.** تحقيق: عبدالله الجبوري وخليل إبراهيم العطية، مطبعة دار البصري، بغداد، ١٩٧٠م.
- دسوقي، محمد عزب. **القبائل العربية في بلاد الشام منذ ظهور الإسلام إلى نهاية العصر الأموي.** الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٨م.
- دكسن، عبد الأمير عبد حسين. **الخلافة الأموية.** دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٣م.

- الدوري، عبد العزيز. **النظم الإسلامية.** مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٨م.
- ---------. **مقدمة في تاريخ صدر الإسلام.** مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٧م.
- الريس، محمد ضياء الدين. **الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية.** دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٩م.
- الزحيلي، محمد. **تاريخ القضاء في الإسلام.** دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٩٩٥م.
- شعبان، محمد عبد الحي. **صدر الإسلام والدولة الأموية.** الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٧م.
- الزركلي، خير الدين. **الأعلام.** دار العلم للملايين، بيروت، ٢٠٠٢م.
- الشهرستاني، هبة الدين الحسيني. **رسالة غديرية.** تحقيق: عماد الكاظمي، مؤسسة إحياء تراث السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني، بغداد، ٢٠١٥م.
- الصدر، السيد محمد باقر. **نشأة التشيّع والشيعة.** تحقيق: عبد الجبار شراره، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، بيروت، ١٩٩٣م.
- صفوت، أحمد زكي. **جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة.** المكتبة العلمية، القاهرة، ١٩٣٧م.
- الطبيب، مولود زايد. **علم الاجتماع السياسي.** جامعة السابع من أبريل، بنغازي، ٢٠٠٧م.
- العارضي، وجدان فريق عناد. **إمارة الحج في الدولة العربية الإسلامية ٨-١٣٢هـ/ ٦٢٩- ٧٥٠م.** دار أمجد للنشر والتوزيع، عمّان، ٢٠١٦م.
- عاقل، نبيه. **تاريخ خلافة بني أمية.** دار الفكر، بيروت، ١٩٧٥م.
- العدوي، أحمد. **الطاعون في العصر الأموي.** المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، ٢٠١٨م.
- العش، يوسف. **الدولة الأموية.** دار الفكر، دمشق، ١٩٨٥م.
- العقيلي، عمر سليمان. **يزيد بن معاوية: حياته وعصره.** المديرية العامة للمطبوعات، الرياض، ١٩٨٨م.
- علي، جواد. **المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام.** جامعة بغداد، بغداد، ١٩٩٣م.

- عمامو، حياة. **السلطة وهاجس الشرعية في صدر الإسلام.** التنوير للطباعة والنشر، تونس، ٢٠١٤م.
- عيسى، رياض. **الحزبية السياسية منذ قيام الإسلام حتى سقوط الدولة الأموية.** د ن، د م، ١٩٩٢م.
- الغامدي، أحمد بن سعد بن حمدان. **التشيع نشأته ومراحل تكوينه.** دار الفوائد، مكة المكرمة، ٢٠١٠م.
- فوزي، فاروق عمر. **تاريخ النظم الإسلامية.** دار الشروق للنشر والتوزيع، عمّان، ٢٠٠٩م.
- ----------. **الجيش والسياسة في العصر الأموي ومطلع العصر العباسي.** دار مجدلاوي، عّمان، ٢٠٠٥م.
- ----------. **الخلافة الأموية.** دار الشروق، عمّان، ٢٠٠٩م.
- ----------. **دراسات في التاريخ الإسلامي.** دار مجدلاوي، عمّان، ٢٠٠٥م.
- كاتبي، غيداء خزنة. **الخراج منذ الفتح الإسلامي حتى أواسط القرن الثالث الهجري.** مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٧م.
- مسعود، جبران. **الرائد.** ط٧، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٢م.
- **المعجم الوسيط.** مجمع اللغة العربية، القاهرة، ٢٠٠٤م.
- النعيمي، نزار محمد قادر. **الجيش وتأثيراته في سياسة الدولة الإسلامية.** دار الكتاب الثقافي، إربد، ٢٠٠٣م.
- ياسين، محمد نجمان. **أرض الصوافي.** دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٤م.
- يوجه سوي، خير الدين. **تطور الفكر السياسي عند أهل السنة.** دار البشير للنشر والتوزيع، بيروت، د ت.

خامسًا: المراجع المعرّبة:

- جب، هاملتون. **دراسات في حضارة الإسلام.** ترجمة: إحسان عباس ويوسف نجم ومحمود زايد، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٩م.
- دلموز، جيل. **المعرفة والسلطة: مدخل لقراءة فوكو.** ترجمة: سالم يفوت، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٨٧م.
- دينيت، دانيل. **الجزية والإسلام.** ترجمة: فوزي فهيم جاد الله، مؤسسة فرنكلين المساهمة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٠م.

- فلهوزن، يوليوس. **تاريخ الدولة العربية.** ترجمة: محمد أبو ريده وحسين مؤنس، لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٦٨م.
- نولدكه، ثيودور. **أمراء غسان.** ترجمة: بندلي جوزي وقسطنطين زريق، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٣٣م.

سادسًا: البحوث المنمشورة في المجلات العلمية:

- أحمد، عربية قاسم. "عوامل اختيار ولاة العراق في العصر الأموي". **مجلة بحوث الشرق الأوسط،** جامعة عين شمس، ٢٠١٨م، ع٤٤، ص ٢٠٦- ٢٣٤.
- أحمد، محمد مسعود. "دور أهل الذمة في السياسة الأموية". **مجلة البحوث التاريخية- ليبيا،** ٢٠١٣م، مج٣٥، ع٢، ص ١٥٥- ١٧٩.
- إسماعيل، سليمان مختار محمد. "توظيف مبدأ الجبر لدى مداح بني أمية". **مجلة الساتل- جامعة مصراتة- ليبيا،** ٢٠٠٨م، س٢، ع٤، ص ٣٥- ٤٩.
- البطاينة، محمد ضيف الله. "سياسة بني أمية في اختيار الولاة". **مجلة العرب،** مركز حمد الجاسر الثقافي، السعودية، ١٩٨٤م، مج١٩، ع٧- ٨، ص ٤٥١- ٤٦٥.
- البكر، منذر عبد الكريم. "الصراع السياسي والاقتصادي حول السلطة في بداية العصر الأموي". **مجلة المورد،** وزارة الثقافة والإعلام- دائرة الشؤون الثقافية، العراق، ١٩٧٤م، مج٣، ع٣، ص ١٢٨- ١٣٢.
- الجبيلي، علياء يحيى علي. "العلاقات الإسلامية البيزنطية في العهد الأموي". **مجلة كلية الآداب،** جامعة القاهرة، ٢٠١١م، مج٧١، ع٤، ص ٣٧٣- ٤٢٩.
- جوبان، محمد محفوظ. "دور قبائل يمن الشام في تأسيس الحكم الأموي في الفترة من ٤١- ٦٥هـ". **الكراسات التونسية،** كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تونس، ٢٠٠٧م، ع٢٠١، ص ٥٧- ٩٤.
- جودة، جمال. "الخلافة في صدر الإسلام". **مجلة جامعة النجاح للأبحاث- العلوم الإنسانية،** فلسطين، ٢٠٠٤م، مج١٨، ع١، ص ٥١- ٨٢.
- خريسات، محمد عبد القادر. "دور جذام في الحياة العامة في بلاد الشام منذ الفتح الإسلامي حتى سقوط الدولة الأموية". **دراسات العلوم الإنسانية- الأردن،** ١٩٨٩م، مج١٦، ع٣، ص ٧- ٢٩.

- ---------. "القطـائع فـي العصـر الأمـوي". **دراسـات العلـوم الإنسـانية**، الجامعـة الأردنية، ١٩٨٩م، مج١٦، ع٣، ص ٣٠- ٦٢.
- خطـاب، أدهم فاضـل وعبـد، فاضـل غـزاي. "زفـر بـن الحـارث الكلابـي ودوره فـي أحــداث عصــره". **مجلـــة أبحـــاث كليـــة التربيـــة الأساســـية- جامعـــة الموصـــل**، ٢٠٠٩م، مج٨، ع٤، ص ٢٢٩- ٢٤٩.
- خمـيس، عبـد الخـالق وكنعـان، عاصـم إسـماعيل. "أهـل الذمـة فـي العصـر الأمـوي (٤١- ١٣٢هــ/ ٦٦١- ٧٥٠م)". **مجلـــة ديـــالي- كليـــة التربيـــة للعلـــوم الإنســـانية**، العراق، ٢٠٠٧م، ع٢٥، ص ٢٩- ٤٣.
- الـدوري، عبـد العزيـز. "الديمقراطيـة فـي فلسـفة الحكـم العربـي". **مجلـة المسـتقبل العربـــي**، مركـــز دراســـات الوحـــدة العربيـــة، بيـــروت، ١٩٧٩م، مـــج٢، ع٩، ص ٦٠- ٧٦.
- الرحيلـي، سـليمان. "ولاة المدينـة فـي العصـر الأمـوي". **دارة الملـك عبـد العزيـز**، ١٩٩٤م، مج١٩، ع٤، ص ٣٠- ٥٧.
- رمـاش، إبـراهيم. "الوظـائف السياسـية للمـوالي فـي الدولـة الأمويـة: ٤١- ١٣٢هــ/ ٦٦١- ٧٤٩م". **دوريـــة كـــان التاريخيـــة**، دار ناشـــري للنشـــر الإلكترونـــي، الكويـــت، ٢٠١٦م، س٩، ع٣١، ص ١٢٨- ١٣٧.
- الزويـد، هـدى فهـد. "مصـاهرات بنـي أميـة وأثرهـا السياسـي والإداري علـى الدولـة الأمويـــة". **مجلـــة الآداب والعلـــوم الاجتماعيـــة**، جامعـــة السـلطان قـابوس، مسـقط، ٢٠١٨م، مج٩، ع٢، ص ٢٧- ٤١.
- السـيف، عبـدالله محمـد ناصـر. "الحيـاة الاقتصـادية والاجتماعيـة فـي نجـد والحجـاز فـــي العصـــر الأمـــوي". **مجلـــة كليـــة الآداب**، جامعـــة الريـــاض، ١٩٩٠م، مـــج٧، ص ٣١٣- ٣١٦.
- شـعيب، علـي حسـن أحمـد حسـن. "مجتمـع قضـاة المدينـة أبـان العصـر الأمـوي". **حوليـــة كليـــة اللغـــة العربيـــة بالزقـــازيق**، جامعـــة الأزهـــر، ٢٠٠٩م، مـــج٣، ع٢٩، ص٢٨٨١- ٢٩٧٨.
- الطراونـــة، مصـــطفى عبـــد العزيـــز جمعـــة. "تطـــور مفهـــوم اللامركزيـــة فـــي الادارة المحليـة مـن عهـد النبـي صـلى الله عليـه وسـلم إلـى أواخـر العهـد العباسـي: دراسـة مقارنـــة". **مجلـــة البحـــوث القانونيـــة والاقتصـــادية**، جامعـــة المنوفيـــة، ٢٠١٣م، مج٢٢، ع٣٧، ص ٦٧١- ٦٩٨.

- العـــاوور، صـــلاح حســـن. "المحـــاولات العربيـــة لفـــتح القســـطنطينية فـــي العصـــر الأمـــوي". **مجلـــة المـــؤرخ العربـــي**، اتحـــاد المـــؤرخين العـــرب بالقـــاهرة، ٢٠٠٠م، ع٨، ص ٣٦٣- ٣٩٣.
- العبـــد الغنـــي، عبـــد الـــرحمن محمـــد. "الحـــدود البيزنطيـــة الإســـلامية وتنظيماتهـــا الثغريـــة ٤٠- ٣٣٩هــــ/ ٦٦٠- ٩٥٠م". **حوليـــات كليـــة الآداب**، جامعـــة الكويـــت، ١٩٩٠م، الحولية١١، الرسالة٧١، ص ٦- ٦٧.
- عبـــد الجليـــل، رعـــد. "مفهـــوم الســـلطة السياســـية: مســـاهمة فـــي دراســـة النظريـــة السياســـية". **مجلـــة دراســـات دوليـــة**، مركـــز الدراســـات الاســـتراتيجية والدوليـــة- جامعة بغداد، ٢٠٠٨م، ع٣٧، ص ١١٩- ١٤٤.
- عبـد الحلـيم، راضـي عبـدالله. "المغـرب فـي العصـر الأمـوي ٤٠- ١٣٢هــ". **مجلـة المؤرخ المصري**، جامعة القاهرة، ١٩٩٣م، ع١٠، ص ١٢١- ١٧٨.
- عبـدالله، منيـرة محمـد. "أســاليب الخليفـة معاويـة بـن أبـي سـفيان للتأسـيس لولايـة العهـد". **مجلـة دراسـات حـوض النيـل**، جامعـة النيلـين- إدارة البحـوث والتنميـة والتطوير، ٢٠١٧م، مج١٠، ع٢٠، ص ٧- ٢٥.
- عـدوي، محمـد أحمـد علـي. "اللامركزيـة ودعـم المشـاركة السياسـية". **مجلـة الديمقراطية**، مؤسسة الأهرام، ٢٠١٠م، مج١٠، ع٤٠، ص ٢٥- ٣٤.
- عرفـات، عبـالله حسـين ولـي. "علاقـة الدولـة الأمويـة مـع الدولـة البيزنطيـة فـي عهـد معاويـة بـن أبـي سـفيان (٤١- ٦٠هــ/ ٦٦٠- ٦٨١م)". **مجلـة آداب الكوفـة**، كليـة الآداب، جامعة الكوفة، ٢٠١٢م، مج٤، ع١٠، ص ٢٦٧- ٢٩٢.
- أبـو العـز، عبـد الباسـط علـي. "اللامركزيـة بـين النظريـة والتطبيـق". **مجلـة مصـر المعاصـرة**، الجمعيـة المصـرية للاقتصـاد السياسـي والإحصـاء والتشـريع، ٢٠٠٨م، مج١٠٠، ع٤٩١، ص ٢٦٣- ٢٩٦.
- العشّـي، عمـار. "العصـبية القبليـة والمفهـوم الخلـدوني للدولـة: رؤيـة نقديـة لمقـال تحـول الخلافـة إلـى ملـك". **مجلـة المشـكاة**، جامعـة الزيتونـة، ٢٠٠٧م، ع٥، ص ٢٤٩- ٢٦٦.
- ----------. "دراسـة فـي علاقـة الإقلـيم بالسـلطة المركزيـة فـي تـاريخ الدولـة الإسـلامية: مثـال العـراق فـي العهـد الأمـوي ٤١- ١٣٢هــ/ ٦٦٠- ٧٥٠م". **مجلـة المشكاة**، جامعة الزيتونة، ٢٠٠٥م، ع٣، ص ٢٠٣- ٢٤٦.

- عكاشة، رائد. "النص والخلافة". **المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها،** ٢٠٠٦م، مج٢، ع٣، ص ١٢٥- ١٣٩.
- العلوي، بدر وباحشوان، خلود. "استحداث الخليفة معاوية بن أبي سفيان لنظام ولاية العهد وردود الأفعال التي واجهته ٤١- ٦٠هـ/ ٦٦١- ٦٨٠م". **مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية،** جامعة السلطان قابوس، مسقط، ٢٠١٤م، مج٢، ع٦، ص ٩٥- ١١٠.
- غني، أسماء عبدالله. "دور الموالي للحركات المناهضة في الكوفة ضد الحكم الأموي". **مجلة الآداب،** جامعة بغداد، ٢٠١٠م، ع٩٤، ص ٣٧- ٩٢.
- فاضل، أزهار هادي. "روح بن زنباع وأثره في السياسة الأموية"، **مجلة التربية والعلم- العراق،** ٢٠٠٨م، مج١٥، ع٢، ص ٨٣- ١٠٥.
- فاضل، نصير بهجت. "الطواعين في صدر الإسلام والخلافة الأموية". **مجلة جامعة كركوك للدراسات الإنسانية،** ٢٠١١م، مج٦، ع٢، ص ٩٨- ١١٥.
- فوزي، فاروق عمر. "الجند الأموي والجيش العباسي". **مجلة وزارة الثقافة والإعلام- دائرة الشؤون الثقافية،** بغداد، ١٩٧٩م، مج٨، ع٤، ص ٢٣٤- ٢٤٤.
- فوكو، ميشيل. "في السلطة". ترجمة: عبد السلام بنعبد العالي، **مجلة الفكر العربي المعاصر،** مركز الإنماء القومي، بيروت، ١٩٨٥م، ع٣٣، ص ٦١- ٦٣.
- الكريطي، جابر رزاق غازي. "سياسة عزل الولاة في الدولة الأموية: ولاة العراق أنموذجا". **مجلة الكلية الإسلامية الجامعة- العراق،** ٢٠١٣م، مج٧، ع٢٣، ص ٣٦٣- ٣٩٩.
- ----------. "طرق وموارد تجمع ثروات ولاة وعمال الدولة العربية الإسلامية حتى نهاية العصر الأموي". **حولية المنتدى للدراسات الإنسانية،** المنتدى الوطني لأبحاث الفكر والثقافة، ٢٠١٣م، مج٦، ع١٥، ص ١٩١- ٢١٧.
- مستوري، محمد. "مظاهر التنظيم الإداري الحديث في العصر النبوي". **مجلة الحقوق والعلوم الإنسانية،** جامعة عاشور زيان بالجلفة، ٢٠١٩م، مج١٢، ع١، ص ١٥٦- ١٧٠.
- المعايطة، زريف مرزوق. "الموالي والمناصب الإدارية في الدولة الأموية". **مجلة كلية الآداب- جامعة بغداد،** ٢٠٠٠م، ع٤٩، ص ٢٢٤- ٢٤٦.

- الملاح، هاشم يحيى. "أساليب تداول السلطة في الدولة العربية الإسلامية". **مجلة آداب الرافدين،** ١٩٧٦م، ع٧، ص ٧- ٣٣.
- الناصري، محمد. "مفهوم الحاكمية: مناقشات جديدة". **مجلة الكلمة،** منتدى الكلمة للدراسات والأبحاث، ٢٠١٢م، س١٩، ع٧٦، ص ١٦٤- ١٧٦.
- نوري، موفق سالم. "تحولات مفهوم السلطة السياسية في الدولة الإسلامية". **مجلة أكاديمية المملكة المغربية،** ٢٠٠٣م، ع٢٠، ص ١٩٧- ٢٢٥.
- اليعقوبي، حاتم كريم جياد والحيدري، عباس عاجل جاسم. "سياسة الدولة الأموية تجاه قبائل الشام والعراق: معاوية بن أبي سفيان أنموذجا". **مجلة الكلية الإسلامية،** الجامعة الإسلامية، ٢٠١٢م، مج٦، ع١٧، ص ٤٥٣- ٤٨٠.

سابعًا: المؤتمرات والندوات العلمية:

- البغيلي، محمد. نقد النظرية السياسية في الإسلام من بوابة المعارضة والاستخلاف وتداول السلطة. **أعمال ندوة: في ضرورة تجديد الخطاب الديني،** اتحاد كتاب المغرب ووزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، يونيو ٢٠١٥م، ص ٩- ١٣.
- النائب، احسان عبد الهادي. مفهوم السلطة وشرعيتها: إشكالية المعنى والدلالة. **أعمال المؤتمر العلمي الدولي الأول: رضا الناس هو مصدر لشرعية الحكومات،** د م، مايو، ٢٠١٧م، ص ٦٣- ٨٠.

ثامنًا: الرسائل الجامعية:

- أحمد، موسى عبد الغفار. **الأحوال الاجتماعية والاقتصادية في فلسطين في العهد الأموي ٤٠- ١٣٢هـ/ ٦٦١- ٧٥٠م.** رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم درمان الإسلامية، السودان، ١٩٧٩م.
- حمدان، سمير محمود عبد اللطيف. **الخلافة نشأتها وتطورها في المدينة زمن الراشدين.** رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، ١٩٧٥م.
- الخاطرية، خلود بنت حمدان بن سعيد. **أبعاد تأثير القبيلة في السياسة الأموية في بلاد الشام والجزيرة الفراتية (٦٤- ٧٣هـ/ ٦٨٣- ٦٩٢م).** رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة السلطان قابوس، ٢٠١٤م.

- أبو ستة، سليمان سعد حمد. **تطور النظام السياسي الإسلامي منذ الهجرة حتى نهاية العصر الأموي ١- ١٣٢هـ/ ٦٢٢- ٧٥٠م.** رسالة دكتوراه غير منشورة، الجامعة الإسلامية، غزة، ٢٠١٣م.
- عبد البارئ، هارون آدم يوسف. **شعر قبيلة كلب حتى نهاية العصر الأموي.** رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم درمان الإسلامية، ٢٠٠٦م.
- عبد اللطيف، زهير غنايم. **نظرية الأمويين السياسية في الخلافة والحكم.** رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، ١٩٨٨م.
- عثمان، معتصم شرف الدين محمد علي. **الشعر السياسي في العصر الأموي.** رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، أم درمان، ٢٠١٨م.
- عواد، محمود أحمد محمد. **الجيش في العصر الأموي ٤٠- ١٣٢هـ/ ٦٦١- ٧٤٩م.** رسالة دكتوراه غير منشورة، الجامعة الأردنية، ١٩٩٢م.
- عياش، حسن حسين عبدالله. **الولاة والعمال في الجهاز الإداري في صدر الإسلام منذ فترة الرسول (ص) وحتى نهاية الدولة الأموية (١هـ - ١٣٢هـ).** رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، ٢٠٠٢م.
- النوافعة، عبدالله موسى محمد. **المدينة المنورة في العصر الأموي.** رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، ٢٠٠٢م.
- ياسين، سهاد أحمد حسن. **الموارد والنفقات المالية في خلافة الفرع السفياني ٤١- ٦٤هـ/ ٦٦١- ٦٨٤م.** رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، الأردن، ١٩٩٨م.

تاسعًا: المراجع باللغات الأجنبية:

1. Arnold, Sir. T.W., **The Caliphate**, The Clarendon Press, Oxford, 1924 AD.
2. Hawting, G. R., **The First Dynasty of Islam: The Umayyad Caliphate AD 661-750,** Routledge, London and New York, 2000 AD.
3. Ibn Tenbak, Marzouk Ibn Sunitan, **Tribalism and Political Change as Reflected in the Poetry of the Early Umayyad**

Period, Un Published PHD Dissertation, University of Edinburgh, UK, 1982 AD.

4. Kennedy, H., "Egypt as a Province in the Islamic Caliphate 641–868", **The Cambridge History of Egypt,** 1998 AD, Vol. 1, P. 62-85.
5. Madelung, Wilferd, "The Sufyānī between tradition and history", **Studia Islamica,** 1986 AD, No. 63, P. 5-48.
6. Pay, Salih, "The Journey of Caliphate from 632 to 1924", **International Journal of Business and Social Science,** 2015 AD, Vol. 6, No. 4, P. 107-117.
7. Azmeh, Wayel, "Misconceptions About the Caliphate in Islam", **Digest of Middle East Studies,** 2016 AD, Vol. 25, No. 2, P. 227-263.